وزارة التعليـم العالــي و البحث العلمـي
جامعة قاصدي مرباح بورقلة
كليـة الآداب و العلـوم الإنسانيـة
قسم اللغة العربية و آدابها

سـورة الكـــهـف

دراسة وتحليل

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير
تخصص : لسانيات اللغة العربية و تعليميتها

إعداد الطالب :
إشراف الدكتور :

السنة الجامعية : 2005/2006 قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

رقم الترتيب : . . .

رقم التسلسل: . . .

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكـــــرة

مـقدمة لـنيل شـــهادة

الماجستير

الفـــرع : الأدب العرب

التخصص : لسانيات اللغة العربية وتعليميتها

من طرف الطالب : عبد الناصر مشري

تحت عنوان :

سـورة الكـــهـف

دراسـة دلاليـة

نوقشت يوم : 25 جانفي 2006م

أمام لجنة المناقشة المكونة من :

د / أحمد موساوي	أستاذ محاضر بجامعة ورقـــلة	رئيساً
د / لخضر بلخير	أستاذ محاضر بجامعة باتنـــــة	مناقشاً
د / أحمد بلخضر	أستاذ مساعد م . د بجامعة ورقلة	مناقشاً
أ / بوجملين لبوخ	أستاذ مساعد م . د بجامعة ورقلة	مناقشاً
د / أحمد جلايلي	أستاذ محاضر بجامعة ورقلـــة	مشرفاً

مقدمـة

تعود صلتي بالنص القرآني إلى أيام الطفولة الأولى حيث كنت أتلقاه تلقينا على يد والدي – رحمه الله – ، و هي علاقة انطباعية لم تتجاوز حدود الإعجاب بالحفظة والقراء ، و لكنها البذرة الأولى لحيرة ما انفكّت تحاصرني أسئلتها المتنوعة عن كنه هذا السموق البياني و السحر الإيقاعي و الكمال العلمي.

و ما إن لاحت لي فرصة البحث حتى بادرت إلى إشباع رغبتي في معايشة النص القرآني و البحث في جوانب إعجازه ، و قد وجدت ضالتي في الدلالة لسببين اثنين ؛ أما الأول فهو صلاحية النص القرآني للبحث الدلالي نظرا لما يتميز به من ثراء كبير في كل المستويات الدلالية ، و أمّا الثاني فإنه ذاتي يعود إلى رغبتي في استغلال هذه السانحة في مراجعة معارفي اللغوية و الاستزادة من علوم العربية و هو أمر يتيحه البحث في الدلالة أكثر من غيرها بالنظر إلى ما تتسم به من شمولية لعلوم اللغة و مستوياتها.

و كنت قد جرّبت البحث في النص القرآني أثناء مرحلة التدرج عندما جعلت " الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية – سورة الكهف نموذجا "موضوعا لمذكرة التخرج و هي تجربة على ما فيها من متعة وفائدة ينقصها النضج منهجا و معرفة ، و هو نقص قد تشفع له ظروف البحث.

فأحببت – وقد أعطيت فرصة أخرى – أن أواصل البحث في السورة ذاتها و لكن من وجهة لغوية بحتة تهتم أساسا بالبناء اللغوي في النص، و تتساءل عن قيمة المعجم في مقابل المستويات اللغوية الأخرى ، وهل يكفي في فهم النص التعرف على المعاني المعجمية لوحداته اللغوية ، فكان أن استهدفت لغة السورة و جعلت " سورة الكهف – دراسة دلالية " عنوانا للبحث الذي جاء في تمهيد و أربعة فصول و خاتمة.

اتخذت التمهيد مدخلا تعريفيا للسورة فذكرت فيه أهم ما تعلق بها من جانبي الشكل و المضمون كالتسمية و المناسبة و عدد الآيات و القصص و الأمثال وما اتصل بهما في سياق السورة.

و خصصت الفصل الأول للمستوى الصوتي الذي جاء في أربعة مباحث ؛ تناول الأول علاقة الصوت بالدلالة على مستوى الكلمة و تناول الثاني تكرار كل من الصوت و المقطع و علاقتهما بالمعنى فيما تعرضت في الثالث للإيقاع الداخلي و ما اندرج تحته من جناس وسجع وتطريز و تكرار و إيقاعات سعيت لمقابلة بناها الصوتية بالصرفية بالتركيبة بحثا عمّا تكنه من معان و ما بينها من تكامل في أداء المعنى و وقفت في الرابع عند ظاهرتي التنوين والتبديل و دورهما في توجيه الدلالة.

أما الفصل الثاني فجعلته للمستوى الصرفي و جاء في مبحثين :

– تناول الأول الاسم من ثلاثة جوانب هي التعريف و التنكير و العدد و الاشتقاق ، وعلاقة كل استعمال بالمعنى ، و تناول الثاني الفعل من جهة زمانه و بنائه للفاعل أو المفعول و لزومه أو تعديته وما تحت التعدية من صيغ ، و ما وراء كل استعمال من معان.

و أما الفصل الثالث فدرست فيه البنى التركيبية و منها على الخصوص : التركيب الاسمي ، التركيب الفعلي ، التركيب الشرطي ، التركيب الاستفهامي و دلالة التعبير بكل استعمال من هذه الاستعمالات ، ثم بحثت موضوع الرتبة و أثر التقديم والتأخير معنى وموسيقى.

وكان الفصل الرابع للمستويين المعجمي و السياقي ؛ وقد سعيت فيه إلى الإبانة عن دور السياق في توجيه المعنى و أثبت أنّ الدلالة المعجمية لكثير من الألفاظ قاصرة عن أداء المعنى ما لم تعتضد بالسيّاق الذي مثلت له بثلاثة أنواع هي : السياق اللغوي ، السياق الديني السياق العاطفي.

وأخيرا الخاتمة التي لخصت فيها أهم ما توصلت إليه من ملاحظات مرتبة حسب الفصول.

هذا عن خطة البحث أما عن منهجه فقد فرضت طبيعة الدراسة منهجي الوصف والإحصاء الذين كانا أداة طيعة مكنتنا من معالجة النص بنظرة أكثر علمية وموضوعية.

و أما عن المصادر و المراجع التي أخذت منها مادة هذا البحث فكثيرة و متنوعة ؛ منها ما هو في التفسير ؛ ككتاب "الكشاف" للزمخشري ، و"روح المعاني" للألوسي، و " تفسير القرآن العظيم " لابن كثير ، و "التحرير و التنوير" للطاهر بن عاشور الذي كان عمدة البحث في كثير من الآراء و الأحكام نظرا لشموليته و تنوع مادته ، و منها ما هو في علوم القرآن ، ككتاب " الإتقان في علوم القرآن " للسيوطي ، و " البرهان في علوم القرآن " للزركشي ، و " أسباب النزول " للرازي ، و ما هو في البلاغة كـ : "دلائل الإعجاز" للجرجاني و " الإيضاح " للقزويني ، و ما هو في علوم اللغة بشكل عام كـ"الخصائص" لابن جني و " المزهر " للسيوطي ، و ما هو متخصص في النحو كـ" قطر الندى و بل الصدى " و " مغني اللبيب " لابن هشام الأنصاري ، أو في الصرف كـ" شذى العرف في فن الصرف" لأحمد الحملاوي.

أما الدراسات الحديثة فأذكر منها.

"اللغة العربية معناها و مبناها" لتمام حسان ، "في النحو العربي – نقد و توجيه" لمهدي المخزومي ، "علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق" لصبحي إبراهيم الفقي ، "علم الأصوات" لكمال بشر ، "الأصوات اللغوية" لإبراهيم أنيس ، "التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث" للطيب البكوش.

و من المعاجم : "لسان العرب" لابن منظور ، "القاموس المحيط" للفيروز أبادي ، "مختار الصحاح" للنيسابوري.

و في الأخير أتوجه بخالص الشكر و العرفان للدكتور أحمد جلايلي الذي قبل الإشراف على هذا العمل و رعاه بالعناية و التوجيه إلى أن استوى على ما هو عليه.

و على الله قصد السبيل.

تمهيـد

البحث في الدلالة مساءلة للغة و استبطان للدليل بحثا عن المدلول، و المعنى هو القضية الجوهرية في الدرس الدلالي كله ، و لئن كان المعنى هو القضية الأولى في هذا البحث فإن دواعي المنهجية تقضي بأن نقدم بين يديه بسطا موجزا يتناول التعريف بالسورة من جوانب و إن لم تكن من صميم المدونة فإنها ذات أثر على معانيها.

أولا – التسمية : اسم السورة كالعنوان في النص؛ و عنوان النص أول ما يواجه المتلقي؛ لذلك فإن وقفة متملية عنده ضرورية لفهم النص ذلك أن « النص قد يكون مكملا للعنوان أو موضحا له و كذلك اسم السورة إذ أنه يمثل عنوانها» [1] هذا فضلا عن « قيمته الإشارية التي تفيد في وصف النص ذاته »[2] ، من أجل ذلك أولى القدماء من المفسرين اسم السورة عناية فائقة و خصوه بنصيب وافر من اهتمامهم في أغلب التفاسير؛ لأن النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به مما يجب الأخذ به عند التعرض للنص القرآني [3].

لذلك فإن أول ما يتبادر إلى الذهن لدى تناولنا هذه السورة التساؤل عن علة تسميتها بسورة "الكهف" أو سورة "أصحاب الكهف"؛ و حيث لا اعتباطية في القرآن فإن علاقة بين اسم السورة و نصها لابد من وجودها، و لأن القرآن بلسان عربي مبين فإنه جاء وفق عادات العرب الذين « يراعون في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيئ من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، و يسمون الجملة من الكلام و القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها و على ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز » [4] .

فهي إذا سورة "الكهف" أو سورة "أصحاب الكهف" لما روي عن النبي – صلى الله عليه و سلم – أنه قال : « من قرأ عشر آيات من آخر الكهف عصم من الدجال »[5] ، و في

---

1 – د/ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء ، القاهرة ، ط1 ، (1421هـ–2000م) ، 106/2.

2– محمد العبد : اللغة و الإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1989م ، ص 48.

3–ينظر : الزركشي البرهان في علوم القرآن ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1391هـ ، 270/1.

4– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5– ابن حبان : صحيح بن حبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، (1414هـ – 1993م) ، 66/3.

حديث أخرجه ابن مردويه عن النبي – صلى الله عليه و سلم– أنه سماها سورة "أصحاب الكهف"[1] و ذلك للقصة العجيبة التي تصدرتها، أما لماذا قصة أصحاب الكهف دون باقي القصص فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن العلة هي كون قصة أهل الكهف لم تذكر في غير هذه السورة خلاف بقية القصص فيها، و أكثر من هذا فإن كلمة كهف لا ورود لها في غير هذا الموضع من القرآن، و إذا اعتبرنا القيمة الإشارية للعنوان فإن الشيخ متولي الشعراوي يرى أن في التسمية إشارة إلى كهوف معنوية تحجب وراءها حقائق قعد بنا عن إدراكها قصور إدراكنا و وقوفنا عند ظواهر الأشياء تماما مثلما وقف موسى عليه السلام عند ظاهر تصرفات العبد الصالح التي بدت له غاية في الشناعة قبل أن يكشف له عن حقائقها[2].

2– سبب النزول : لما أعيت الحيلة قريشا في تعجيز الرسول – صلى الله عليه و سلم – طلبوا ما يعجزونه به عند اليهود فأوفدوا النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط إلى أحبار المدينة يستمدون منهم ذلك فكان أن أرشدوهم إلى ثلاث قضايا يسألون عنها الرسول – صلى الله عليه و سلم – فإن أجابهم بما وافق ما عندهم ثبتت نبوءته، و إلا بان عجزه وتحقق بطلان دعوته، و هذه القضايا هي : حقيقة الروح ، و قد أجابت عنها الآية ﴿ **و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ...**﴾[3] ، و خبر الفتية الذين فروا بعقيدتهم في الزمن الغابر ، و نبأ الرجل الطواف الذي بلغ مشارق الأرض و مغاربها وفيهما نزلت سورة الكهف[4].

و في مثل هذه الآيات تتجلى أهمية التنجيم الذي نزل وفقه القرآن في تأييد الرسول – صلى الله عليه و سلم – و دحض حجج خصومه بما يقيم الأدلة العقلية القاطعة على صدق نبوءته، و للناس بعد ذلك الاختيار حيث ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[5].

3 – مناسبتها : «لأن الاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى» [1] ، و لأن « الجملة الأولى في أي نص

1– ينظر: أبو الفضل محمد الألوسي ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثالي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت، 199/15. و محمد الطاهر بن عاشور، ؛ التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984،241/15.

2– ينظر : محمد متولي الشعراوي ؛ معجزة القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1990 ، 190/1.

3– سورة الإسراء : الآية 85.

4– ينظر : الفخر الرازي ؛ التفسير الكبير ، ط1 ، ميدان جامع الأزهر ، القاهرة ، 72/3.

5– سورة البقرة، : الآية 256.

تمثل معلما، عليه يقوم اللاحق منه و يعود، و داخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول منها معلما تقوم عليه سائر مكوناتها »[2] فإن افتتاح السورة بالحمدلة له أهمية من جهات عدة؛ أولاها أن "الحمد لله" لأنه لم يقطع نعمه على نبيه كما أرجف الكفار لما احتبس الوحي عنه – صلى الله عليه و سلم – مدة خمسة عشر يوما عتابا له عن عدم الاستثناء عندما وعد المشركين بالإجابة من غده و لم يقل "إن شاء الله"[3] فناسب « افتتاحها بالحمد على هذه النعمة و أن الله لم يقطع نعمه عنه – صلى الله عليه و سلم – » [4] ، و الثانية أن افتتاح السور بالحمد موزع على أرباع القرآن الأربعة ؛ الفاتحة في الربع الأول و الأنعام في الربع الثاني والكهف في الربع الثالث و سبأ و فاطر في الربع الرابع ، والثالثة أنها تالية للإسراء؛ والإسراء مفتتحه تسبيح؛ و « الحمد تال للتسبيح حيث جاء »[5] ، والرابعة أن بينها و بين خاتمة الإسراء مناسبة من حيث انتهاء الإسراء بقوله تعالى : ﴿ **و قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ...**﴾[6] فكأن حمد الله في بداية الثانية استجابة للأمر الوارد في نهاية الأولى، كما أن الله قد وصف في الأولى بأنه "لم يتخذ ولدا" و كان الإنذار في صدر الثانية موجها تخصيصا لمن ادعوا له الولد ﴿ **... و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ الآية: 2 ، هذا فضلا عن تشابه الفواصل بينها و بين كل من الإسراء و مريم ، و النظرة إلى علاقة السورة بما قبلها قضية حظيت باهتمام كبير لدى قدماء المفسرين و محدثيهم و منهم من أفردها بالتأليف والتصنيف[7] يقول الزركشي : « إذا اعتبرت افتتاح كل سورة و جدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ثم هو يخفي تارة و يظهر أخرى » [8] ، ذلك أن « اتساق السور كاتساق الآيات و الحروف؛ فكله عن محمد خاتم الأنبياء عليهم السلام عن رب العالمين ، فمن أخر سورة مقدمة

1- صبحي ابراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، مرجع سابق ، 65/1.

2- الأزهر الزناد : نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993م ، 67، 17.

3- ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ، ط1 ، (1410هـ – 1990م) ، 135/4.

4- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 39/1.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها و النيسابوري ؛ غرائب القرآن و رغائب الفرقات ، تح إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، ط1 ، (1384هـ– 1965م) ، 101/15.

6- سورة الإسراء: الآية 111.

7- مثل كتابي : "تناسق الدرر في تناسب السور" و " أسرار ترتيب القرآن " للسيوطي.

8- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 37/1.

أو قدم أخرى مؤخرة كان كمن أفسد نظم الآيات و غير الحروف و الكلمات »[1] و قد ثبت أنه – صلى الله عليه و سلم – << كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا و تتنزل عليه الآية فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا >>[2].

و هذه النظرة مترتبة عن رؤية شمولية تتجاوز حدود الآية و السورة إلى اعتبار القرآن كلا واحدا شكلا و مضمونا بل إن من المتأخرين من عده كالكلمة الواحدة[3] و هي الفكرة التي جعلت بعض اللغويين المحدثين يحطمون أسوار الجملة النحوية خدمة لمفهوم النص الذي يتأسس على فكرة توزع المعنى الكلي للنص بين جميع عناصر اللغة و يمتد من بداية الخطاب إلى نهايته آخذا في حسابه كل دقائق النظام اللغوي معتمدا وسائل نحوية جديدة قوامها التماسك النصي و الإحالات و الضمائر... [4] ، و إن كان في بعض آرائهم تطرف وصل إلى حد إلغاء إلغاء نحو الجملة و الاستعاضة عنه بنحو النص حيث يقول بعضهم « شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوربا و مناطق أخرى من العالم توجها قويا نحو الإعتراف بأجرومية النص بديلا موثوقا به لأجرومية الجملة ... » [5].

4 – ترتيبها : هي الثامنة و الستون في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى و هي مكية في المشهور نزلت جملة واحدة ؛ عن أنس قال قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : "أنزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألف ملك"[6] ، و عن ابن عباس (ت 62 هـ) أنها مكية إلا قوله تعالى : ﴿ **و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ...**﴾ فمدني، و قال مقاتل (ت 150 هـ) هي مكية إلا أولها إلى قوله تعالى جرزا ، والآيات "**إن**

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تح: أحمد عبد الحميد البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط2 ، 1372 هـ، 60/1.

2- الحاكم : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، (1411هـ – 1990م) ، 241/2.

3- هو سيد قطب في كتابه " في ظلال القرآن" ، دار الشروق ، بيروت ، ط10 ، 1982م ، 124/3.

4- الإشارة إلى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي الذي طبق منهج التحليل النصي على السور المكية في كتابه : "علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق" – دراسة تطبيقية على السور المكية ، مرجع سابق.

5- سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري ، مجلة فصول ج1 ، م 10 ، عدد : 1، 2 يوليو 1991م ص 153.

6- ينظر : الطاهر بن عاشور؛ التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 242/15 و الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 199/15 والبيضاوي ؛ تفسير البيضاوي ، تح : عيد حسونة ، دار الفكر ، بيروت ، (1416هـ– 1996م)، 474/3.

الذين آمنوا و عملوا الصالحات... إلى آخرها" فمدني[1] إلا أن صاحب التحرير والتنوير يضعف كل هذه الروايات و يرى أنها مكية كلها[2].

5 – عدد آياتها : هي مئة و إحدى عشرة آية عند البصريين و مئة و عشرة عند الكوفيين[3] و مئة و ست عند الشاميين ، و مئة و خمس عند الحجازيين[4] ، و معلوم أن لا علاقة لعدد الآيات بأصل النص من حيث الزيادة و النقصان و إنما مناط الاختلاف اعتبار الوقف وحدود الجمل.

6 – موضوع السورة : لم تخرج السورة عن مألوف القرآن المكي في تناول موضوع العقيدة و الإيمان ، و كان ذلك عن طريق القصص و الأمثال الهادفة إلى تصوير حال المؤمنين الموحدين المنتصرين أبدا و الترغيب فيه، ووضع الكفرة المشركين الخاسرين عاجلا أو آجلا و التحذير منه، و الكشف عن و هن عقيدة الشرك و تهاوي أباطيلها أمام قوة التوحيد التي لا يملك العقل إلا التسليم لسلطانها.

و إذا اعتبرنا الرأي الكوفي في عدد الآيات فإن مساحة القصص في السورة امتدت لتشمل إحدى و سبعين آية و لباقي النص تعلق بها من حيث هو تعقيب عليها أو عرض لمشاهد و أحداث تعضدها و تتصل بالموضوع على طريقة القرآن في التعبير بالقصص والأمثال و ما يتخللها من وعظ و إرشاد ، أو زجر أو ترغيب ، أو ترهيب بما يجلي الغاية ويستدعي العقول الشاردة إلى جلال الخطاب القرآني ، و عموما فإن نص السورة يمكن أن يقسم إجرائيا إلى مقدمة و ثلاث قصص و ثلاثة أمثلة و خاتمة[5] و هذا بيان ذلك :

6–1– مقدمة السورة :

كانت بداية السورة على سنة القرآن في افتتاح الأمور و اختتامها بحمد الله ، و لهذا ردّ الله تعالى الحمد لنفسه المقدسة على إنزاله الكتاب ؛ فهو أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج فيه لفظا و لا معني ؛ و جعل الغاية منه بشارة المؤمنين و إنذار المشركين الذين ادعوا له الولد ؛ و هي دعوى باطلة لم يؤيدها دليل بل هي محض الافتراء ، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم ، و قد دعا الله

1- ينظر : الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق، 199/15 و البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مصدر سابق ، 474/3.

2- ينظر : الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير : 242/15.

3- نختار هذا الرأي لاعتمادنا في البحث على رواية حفص.

4- ينظر : الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 199/15.

5- ينظر : محمد علي الصابوني ؛ صفوة التفاسير ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ط5 ، (1411هـ – 1990م) ، 181/2.

سلم – إلى عدم الاكتراث بأهل العناد منهم حيث قال : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم ...**﴾ تسلية له و تثبيتا لقلبه ، و قد قال في سورة أخرى ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾[1] أي لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة ربهم ﴿ **و من اهتدى فلنفسه و من ضل فإنما يضل عليها** ﴾[2] ، ثم أخبر عز وجل أن الدنيا لا تعدو كونها دار اختبار وأن أمرها إلى زوال قال تعالى في سورة أخرى ﴿ **... الذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾[3] ، و جاء في الحديث : « **إن الدنيا حلوة خضرة و إن الله مستخلفكم فيها فينظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** »[4].

و إذن فإن صدر السورة قد تضمن حمد الله و الإشادة بمنتهى كمال كتابه العزيز الذي أنزله من أجل غاية أساسية هي بشارة المؤمنين و إنذار المشركين و ذلك هو جوهر العقيدة التي عليها مدار السورة كلها.

6-2 – القصص في السورة :

أ – قصة أهل الكهف :

خلاصتها أن ملكا جبارا يسمى "دقيانوس" ظهر على بلدة من بلاد الروم تدعى "طرطوس" بعد زمن عيسى عليه السلام ؛ و كان وثنيا يقتل كل من يخالف عقيدته فعظمت الفتنة و أشتد الأمر على أهل الإيمان ، و كان في المدينة فتية عرفوا الحق فعبدوا الله من دون الأصنام ، و لما علموا بجور الملك حزنوا على ما أصاب مدينتهم وعقيدتهم و بلغ أمرهم الملك فأرسل في طلبهم و هددهم بالقتل إن لم يرجعوا عن دين التوحيد فوقفوا في وجهه و جاهروا بعقيدتهم ﴿ **ربنا رب السموات و الأرض** ﴾ فأمهلهم لصغر سنهم إلى غد ذلك اليوم من أجل مراجعة أمرهم ، فهربوا ليلا و مروا في طريقهم براع فآمن بما آمنوا به و تبعهم هو و كلبه ثم لجؤوا إلى كهف في جبل طلبا للأمن، وتقفى الملك آثارهم بجيشه و ما إن وصلوا إلى الكهف حتى فزعوا من الدخول إليه للهيبة التي ألقاها الله على المكان ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا** ﴾ فأمر الملك بأن يسد عليهم باب الكهف حتى عليهم النوم المدة التي ذكرت في السورة ، ثم أيقظهم و لم يشعروا بطول السنين التي

1- سورة الشعراء: الآية 3.

2- سورة الزمر : الآية 41.

3- سورة الملك : الآية 2.

4- مسلم : صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، 2098/4.

انقضت من يوم دخولهم بل ظنوا أن الأمر لا يتعدى اليوم أو بعض يوم. و بهدى الله لم يكن اختلافهم في مدة نومهم ليصرفهم عن الأهم ، و هو البحث عن الطعام فأرسلوا واحدًا منهم إلى المدينة طلبا لذلك و ألحوّا عليه في التخفي حيطة و حذرا من أن يعلم بهم الملك، و هم لا يعلمون أن دولة "دقيانوس" قد زالت و أن دفة الحكم قد آلت إلى ملك موحد عادل ، و لما وصل الفتى المدينة انكشف أمره من نقوده و ثيابه ، فهرع الملك و معه فضول الناس إلى كهف الفتية و علموا أمرهم بالعيان و أعاد الله قبض أرواحهم و أخلدهم في سجل العجائب واختلف الناس فيما يصنعون بهم فكان أن بنو عليهم مسجدا[1].

و القصة هذه مثال لاندحار القوة المادية أمام قوة العقيدة و صلابة الإيمان إلى حد التضحية بالنفس، ذلك أن ميزان القوة يبدو في صالح الملك لأنه ملك أسبابها و قد تجرد الفتية من كل سلاح إلا الإيمان بالله و إخلاص العبادة له، إلا أن المعركة الحقيقية لم تكن بين الملك القوي الطاغي و الفتية العزل، إنما هي بين عقيدة التوحيد و باطل الشرك ومن ثم فإن القصة تعضيد لمبدأ انتصار الطرف المؤمن مهما كان ضعيفا و هو المشهد المتكرر مع جميع الرسل عليهم السلام، و نهاية الفتية في حربهم العقدية تحيلنا إلى عاقبة المؤمنين الذين سبق عليهم القول بالبشارة في صدر السورة، و تلك العاقبة الواحدة القاضية بانتصار الطرف المؤمن هي التي تشد القصة إلى مقدمة السورة.

ب – قصة موسى عليه السلام و فتاه مع العبد الصالح :

موسى هو نبي بني إسرائيل و فتاه هو يوشع بن نون أما العبد الصالح فذهب أغلب المفسرين إلى أنه الخضَرُ[2] و اختلف فيه أنبي هو أم لا ؟ و يروى في تعليل القصة أن موسى – عليه السلام – قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل من أعلم الناس؟ فقال : "أنا" و لم يستثن فعاقبه الله على ذلك و قال له إن لي عبدا صالحا هو أعلم منك فقال موسى عليه السلام : وأنى لي به يا رب ؟ فقال تجده عند مجمع البحرين حيث تفقد حوتك[3]، فاصطحب موسى فتاه و قصد المكان، و كان أن فقد حوته و التقى العبد الصالح على المراحل التي فصلتها السورة فطلب إليه أن يعلمه مما علم فأخبره العبد الصالح أن علمه

1- ينظر : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، 183/2.

2- ينظر : البيضاوي ؛ تفسير البيضاوي ، مصدر سابق ، 509/3.

3- ينظر : المصدر السابق الصفحة نفسها.

لدني و أن لا قبل له به و لكن موسى عاهده أن يكون صابرا، فاستوثق الخضر من عهده بأن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له تفسيره، و لكنه أبدى أفعالا غاية في العجب و الغرابة و هو أمر سلب موسى صبره و جعله يستفسر مرة و يستنكر أخرى و كان الخضر يذكره كل مرة بالعهد الذي التزم به، إلا أن الاستياء الأخير من قتل الغلام و إقامة الجدار جعل حدا للرحلة و حرمنا متعة كانت ستطول لو لا ضيق صدر موسى عليه السلام؛ قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – : « رحمة الله علينا و على موسى لو كان صبر لقص الله تعالى علينا من خبره و لكن قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني »[1].

و بانتهاء الرحلة يستفيد موسى عليه السلام درسا في الصبر و أدب التعلم و من خلال موسى كل معلم و متعلم.

و أمر يجب أن لا يفوتنا هنا هو أن القصتين تشتركان في عتاب الله لنبييه موسى ومحمد عليهما السلام و أن العتاب للعلة نفسها و هي نسيان رد المشيئة لله تعالى في جميع الأمور و هو أمر جامع بين القصتين تجدر ملاحظته.

جـ – قصة ذي القرنين :

قيل إنه الإسكندر ذو القرنين و قيل هو أبو كرب بن شمر بن عبيد الحميري[2] الذي افتخر به أحد الشعراء الحميريين قائلا :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفندي
بلغ المشارق و المغارب يبتغي أسباب ملـك من كريم سيدي

و هو عبد صالح ملكه الله الأرض و مكن له فيها وآتاه

له رحلات ثلاث؛ الأولى إلى مغرب الشمس فحكمه الله في أهل تلك البلاد[3] ﴿ **إما أن تعذب و إما أن تتخذ فيهم حسنا** ﴾ (الآية 86) فكان مخيرا و منصفا قال : ﴿ **أما من**

1– البيضاوي، تفسير البيضاوي : 514/3.

3– ينظر : البيضاوي ؛ تفسير البيضاوي ، مصدر سابق ، 519/3 و ما بعدها و الفخر الرازي ؛ التفسير الكبير ، مصدر سابق ، 163/22، 164 ، إلا أن الطاهر بن عاشور يضعف كل هذا و يرجح أنه ملك من ملوك الصين لأسباب حرية بالمراجعة في" التحرير والتنوير" : 22/16.

1– يرى صاحب التحرير و التنوير أن البلاد هي بحيرة قزوين و أن العين الحمئة عين نفط، ينظر التحرير والتنوير، 28/6.

ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا، و أما من آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى ﴾ (الآيتان :87،88).

و كانت رحلته الثانية إلى جهة المشرق مع ملاحظة أنه لم توكل له في هذه الرحلة مهمة فدل ذلك على أن الرحلة لم تذكر إلا لإنباء الناس أن في المعمورة مناطق تغيب عنها الشمس مدة طويلة و تشرق مدة كذلك[1] قال تعالى : ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها شرا** ﴾ و الستر هو الظلام على رأي الشعراوي[2].

أما الرحلة الثالثة فهي إلى منطقة ما "بين السدين" و اختلف في تحديدها إلا أن أشهر الآراء على أنها تقع في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق و أن القوم هم الترك[3] و كانت مهمة ذي القرنين في هذه الرحلة إسعاف أهل هذه المنطقة – الذين عرفوا بضعف العقل و قلة الحيلة – و حمايتهم من ياجوج و ماجوج الذين يعرفهم ابن عباس بأنهم قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم المفرط في الطول و منهم المفرط في القصر و هم قوم مفسدون آكلون للحوم البشر يخرجون في الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا احتملوه[4] فكان أن حماهم ذو القرنين منهم ببناء السد وقد أشركهم في البناء تسليحا لهم بالفكر و تمليكا لوسيلة الدفاع.

و بانتهاء الرحلة تنتهي قصة ذي القرنين و ينتهي معها قصص السورة كله لنلاحظ:

– تشترك القصص الثلاث في عدم ذكر أسماء الأشخاص و الأزمنة و الأمكنة اسماء الـ الإطلاق ؛ ذلك أن ذكر الأسماء قد يفهم منه أن القصص معقودة لذاتها، و معلوم ان الغرض من القصص – زيادة عن تسلية الرسول – صلى الله عليه و سلم – الوعظ والإعجاز والاعتبار بأخبار الأمم الغابرة كما أن في الإغضاء عن ذكر الأسماء تعميما

1– ينظر : متولي الشعراوي ؛ معجزة القرآن ، مرجع سابق ، 193/1.

2– يرى صاحب التحرير و التنوير أن المكان هو ساحل اليابان شرقا، ينظر: التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 28/16.

3– ينظر : متولي الشعراوي ، معجزة القرآن ، مرجع سابق ، 193/1.

4– الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت : 402/2 ، ويرى الطاهر بن عاشور أن السدين في صحراء "قوبي" بين الصين و منغوليا ، التحرير و التنوير 35/16 و قال الفخر الرازي أن السدين جبلان بين أرمينيا و أدربيجان ، ينظر : النيسابوري ؛ غرائب القرآن ، تح : إبراهيم عطوة العوض ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ط1 ، (1384هـ–1965م) ، 25/16.

5– ينظر : محمد علي الصابوني ؛ صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، 206./2

للأحكام على الحوادث التي تشبه القصص ماضيا و حاضرا و إشارة إلى عدم استحالة حدوثها مستقبلا لذلك فإنه لم يرد في القرآن شخص معرف ما عدا عيسى بإضافته إلى أمه عليهما السلام لأن حادثة ميلاد عيسى غير قابلة للتكرار[1].

– تشترك القصص الثلاث في رد العلم لله تعالى في كل شيء ؛ فأصحاب الكهف يقولون ﴿ **ربكم أعلم بما لبثتم** ﴾ (الآية 19) و العبد الصالح يرجع ما فعل إلى الله ﴿ **و ما فعلته عن أمري** ﴾ (الآية 82) و ذو القرنين يعتبر عمله رحمة من الله ﴿ **هذا رحمة من ربي** ﴾ (الآية 98).

– يحظى ذو القرنين بشرف الذكر في القرآن لا لأنه ملك و لكن لأنه عبد صالح، و يذكر أصحاب الكهف لأنهم فتية صلحت عقيدتهم، و ينعت الخضر بالعبد الصالح و العامل الجامع في كل هذا هو الإشادة بالصلاح.

– يجمع بين هذه القصص تغيير المنكر الذي يظهر عند الفتية في إنكار الشرك أكبر المناكر و عند موسى عليه السلام في سخطه على الخضر حين قتل الغلام بغير ذنب ظاهر "لقد جئت شيئا نكرا" و عند ذي القرنين برفعه تسلط ياجوج و ماجوج على من لا حيلة لهم.

– يظهر في القصص اتجاه تعليمي يتجلى في ضرورة الانسحاب و عدم المواجهة عند ما يتبين تفوق العدو و هو ما يستفاد من فرار الفتية بعقيدتهم، و رحلة موسى مع الخضر كلها دروس متلاحقة في أدب التعليم و سلوك المتعلم، و من قول ذي القرنين ﴿ **آتوني أفرغ عليه قطرا** ﴾ نستشف أنه أشرك القوم في بناء السد تمكينا لهم من تعلم تقنية الدفاع وتسليحا بالوسيلة بدل إعطائها جاهزة.

تلك بعض العلائق التي تشد قصص السورة إلى بعضها و تجعل من استدعائها في سورة واحدة يحقق ما يسميه بعض المفسرين (الوحدة الموضوعية في السورة) مما يجعلها تسير في منحى يخدم القضية الأساسية التي عليها مدار السورة كلها ألا و هي العقيدة التي تتأسس على توحيد الله و الإيمان بقدرته المطلقة و النهي عن المنكر و كل ذلك كان أولى بالمشركين أن يتعلموه من الرسول – صلى الله عليه و سلم – كما تعلم من قبلهم بنو إسرائيل التي لا تستند على دليل عقلي أو نقلي.

6 – 3 – الأمثال في السورة :

أ– صاحب الجنتين :

---

1 – ينظر : الشعراوي ؛ معجزة القرآن ، مرجع سابق ، 199/1.

مثال لحال الغني الكافر تبطره النعمة فيغتر و يشرك، و المؤمن الفقير يكابد ويصبر احتسابا للحياة الأخرى فينصر الله المؤمن بخذلان الكافر و سلبه نعمه في الدنيا قبل الآخرة، و في قوله تعالى : ﴿ **و اضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ...** ﴾ (الآية 32) قيل رجلان على الإطلاق و التمثيل و قيل رجلان على التحقيق و هما أخوان من بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه فرطوس و قيل قطفير و الآخر مؤمن اسمه يهوذا و هما ابنا ملك من ملوك بني إسرائيل ورثا عنه مالا فتشاطراه فأنفق المؤمن ماله في سبيل الله ، و كفر الثاني فاشتغل بتنمية المال و أقبل على الدنيا يجمعها من كل طريق، و قيل إنهما حدادان كسبا مالا و روي أنهما ورثا من أبيهما ثماني آلاف دينار فاقتسماها، فأشترى الكافر أرضا بألف فقال المؤمن اللهم إني أشتري منك الجنة بألف و تصدق بها، ثم بنا أخوه دارا بألف فقال اللهم إني اشتري منك بيتا في الجنة و تصدق بألف، ثم تزوج أخوه امرأة ومهرها بألف فقال اللهم إني جعلت ألفا صداق الحور العين ، و تصدق بها، ثم اشترى أخوه خدما وحشما بألف، فقال اللهم إني أشتري منك الولدان المخلدين بألف و تصدق بها ... ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله ، و قيل هما أخوان من بني مخزوم ؛ كافر هو الأسود بن عبد الأشد و مؤمن هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد زوج أم المؤمنين "أم سلمة" قبل الرسول – صلى الله عليه و سلم –[1]. و قد أمكن الله المؤمن من الكافر بأن استجاب لدعائه بإهلاك جنته بآفة سماوية (حسبانا) أو أرضية (غور الماء) فأصبحت خرابا يبابا << كأن لم تغن بالأمس >> وأضحى يقلب كفيه حسرة و ندما ولات حين مندم.

و أيا ما كانت هوية الرجلين و حقيقة ما فعلا فإنهما بقصتهما تلك –حقيقة أو تمثيلا– نموذج لعصيان الكافر مع تقلبه في نعم الله و صبر المؤمن على الطاعة و مكابدة الفقر لقاء رضا الله تعالى، و أن النصر دائما للفئة المؤمنة.

ب – مثل الحياة الدنيا :

هو مثل بليغ ضربه الله تعالى تعقيبا على إزدهاء الكافر بجنته ثم تحسره عليها بعد ان أهلكها الله، و من خلال صاحب الجنة كل المشركين و من خلال الجنة الدنيا بأجمعها ذلك أن الدنيا كلها كمثل ماء أصاب نباتا فاخضر و ازدهى ثم ما لبث أن يبس و ذوى فصار هشيما تذروه الرياح في كل اتجاه، و لما كان هذا حال الدنيا فحقيق بالمؤمن أن يضرب عنها صفحا و يقبل على الآخرة يستكثر من الباقيات الصالحات ؛ لأن : ﴿ **المال و البنون زينة الحياة الدنيا**

1– ينظر : الألوسي ، روح المعاني ، مصدر سابق ، 273/15، 274.

و الباقيات الصالحات[1] **خير عند ربك ثوابا و خير أملا** ﴾ (الآية 46) و إنما ذكر المال و البنون لأن صاحب الجنة كاثر بهما أخاه في قوله : ﴿ **أنا أكثر منك مالا و أعز نفرا** ﴾ (الآية 34) ثم استعرض السياق جملة من الأهوال التي تنتظر الخلائق يوم القيامة كتسيير الجبال و بروز الأرض؛ وحشر الناس حفاة عراة وعرضهم صفا أمام الملك الديان، و وضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و إشفاق كل ذي كتاب من كتابه كل ذلك على سبيل الإنذار و التحذير الذي تصدر السورة علة لإنزال الكتاب: ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ...** ﴾ (الآيتان1، 2) ، ثم يتلو هذا الترهيب تطمين بعدله و إنصافه عز و جل : ﴿ **و لا يظلم ربك أحدا** ﴾ (الآية 49) بما لم يفعله و المراد أنه تعالى لا يتجاوز الحد الذي حده في الثواب والعقاب – و إ ن لم يجب ذلك عليه عقلا[2].

جـ – امتناع إبليس عن السجود لآدم :

هو حدث متكرر في أكثر من موضع و في << كل موضع يشتمل على شيء لم يشتمل عليه في الآخر وله في كل موضع ذكر فيه عبرة تخالف عبرة غيره >> [3]، وهي<< قصة تفصل فيها كل سورة بالقدر الذي يتناسب مع غرضها و مناسبتها >> [4]، و إذ تذكر حادثة السجود في هذا الموضع فإنها من باب التعجب والاستغراب من حال الذين يعبدون الشيطان بالرغم من عداوته لهم و موقفه من أبيهم، بل رغم توعده بإضلالهم و الترصد لهم ﴿ **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾[5]، كما أن في ذكرها تلويحا بعواقب إتباع الهوى و تبعات الكبر الذي أحال إبليس شيطانا رجيما بعد ما كان فيه من

أتباعه شأن مشركي قريش الذين ترفعوا عن مجالسة فقراء المسلمين أمثال صهيب و بلال ... ودعوا الرسول (ص) إلى أن يعقد لهم مجلسا يجنبهم المساواة بالفقراء والعبيد كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه**

1- جاء في الحديث : << استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل و ما هي يا رسول الله ؟ ، قال : التكبير و التهليل والتسبيح والحمد لله و لا حول و لا قوة إلا بالله >> ، ابن حبان ؛ صحيح ابن حبان ، 121/3.

2- الألوسي : روح المعاني ، مصدر سابق ، 292/15.

3- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 340/15.

4- صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، مرجع سابق ، 304/1.

5- سورة صَ: الآيتان 82 ، 83.

ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾[1]، كما أن ذكرها توطئة لما تلاها من تقريع للمشركين في قوله ﴿ **و يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ...** ﴾ (الآية 52) و في ذكرها أيضا مقابلة؛ ذلك أنها أول أيام الدنيا و قد ذكر آخر أيامها و ما فيه من أهوال و شدائد في الآيات المتقدمة؛ فمن لم يتعظ بآخر أيامها اتعظ بأول أيامها[2].

6 – 4 – الخاتمـة :

تضمنتها اثنتا عشرة آية و تناولت الحديث عن أهوال الساعة و شدائد القيامة و تصوير حال الناس يوم الحشر حفاة عراة يتلاطمون كالأمواج العاتية و قد عرضت جهنم و أعدت للكافرين نزلا بما في ذلك من التهكم و ما يعنيه من أن ما وراءها من العذاب ما تعد بإزائه كالنزل[3] و هو ما يعد للضيف من واسع المنزل و كريم المطعم، و تواصلت السخرية بالمشركين و تسفيه عقولهم التي أعجزها إدراك الحق – على جلائه – فكانت تحسب أنها تحسن صنعا فحبطت أعمالهم و صاروا إلى ما صاروا إليه من عذاب أليم، ثم تناول الحديث حال المؤمنين و ما أعد لهم من جنات الفردوس بما لا يبغون عنه حولا؛ فتم بذلك محسن رد العجز على الصدر لأن مفتتح السورة كان تبشير المؤمنين و إنذار الكافرين.

و أخيرا كان التنويه بسعة علم الله الذي منّ ببعضه على رسوله فبكتّ المشركين و أحبار اليهود بالإجابة عن أسئلتهم و هي ليست شيئا يذكر أمام سعة علمه– تعالى– و ما الرسول في النهاية إلا بشر يوحى إليه الأمر بالتوحيد و إخلاص العبادة لله جل شأنه.

الفصـل الأول

المستوى الصوتي

1– ينظر : محمد علي الصابوني ؛ صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، 189/2، 190 .

2– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 340/15.

3– ينظر : المصدر نفسه ، 45/16.

المبحث الأول : علاقة أصوات الكلمة بدلالتها.

المبحث الثاني : الإيقـاع الداخلـي :

-تكرار الصوت و علاقته بالمعنى.

-تكرار المقطع و علاقته بالمعنى.

المبحث الثالث : الإيقـاع الخارجـي.

المبحث الرابع : الفونيمات فـوق المقطعية.

المبحث الأول

علاقة أص دلالتها

كان من الطبيعي أن يتساوق اهتمام علماء اللغة العربية بالدراسات الصوتية مع بقية العلوم اللغوية من نحو و صرف و غيرهما ، و ما كان له أن يتأخر عن عهد الخليل الذي وسع حسه الموسيقي الشعر العربي في شتى أوزانه و صوره و عصوره ، و عن خلفه سيبويه الذي يعود له الفضل في تأسيس علم النحو ، و لم يفته أن يلتفت إلى الجوانب الصوتية للغة لدى تناوله صفات الحروف و مخارجها ؛ و ما كان من الجماعة – من بعده على حد تعبير ابن جني – إلا « أن تتلقى عنه هذا المذهب بالاعتراف و القبول»[1] ، ذلك أن << الأصوات هي اللبنات الأولى في البناء اللغوي و أساسه الذي يقوم عليه و لا خير في بناء تهالكت لبناته واهتز قوامه مادة و صنعة ، والمادة هي الأصوات و الصنعة الإتيان بها على الوجه الصحيح >>[2] ، و أي وجه أصح من نظم القرآن الذي شمل إعجازه المباني كما شمل المعاني ، فكان من أوكد الواجبات لدى التعرض للنص القرآني البدء بالجانب الصوتي ، ثم من بعده الكلمة و ما تلاها من نظم و سياق لأن << الفصل بين المستويات ليس إلا صناعة ولأغراض التحليل فقط >> [3] ، فبالرغم من أن الأصوات بصفاتها و مخارجها لا تقدم دلالات مستقلة قبل انتظامها في الكلمة إلا أن لهذه الصفات صلة وثيقة بدلالة الكلمة و معناها العميق ؛ تلك فكرة فطن لها قدماء اللغويين و عبر عنها ابن جني في قوله : « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع و نهج متلئب عند عارفيه مأموم و ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعد لونها و يحتذونها عليها و ذلك أكثر مما نقدره و أضعاف ما نستشعره ، و من ذلك قولهم خضم و قضم؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ و القثاء... القضم للصلب اليابس... نحو قضمت الدابة شعيرها... ؛ فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب و القاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث » [4].

من أجل ذلك فإن هذه الدراسة ستتناول جانبا من الفكرة [illegible]
نتخذها نماذج تقاس عليها مثيلاتها طلبا للاختصار لأن مساحة البحث لا تمكن من التعرض لكل ألفاظ السورة ولا هو من مقتضيات المنهجية، و قد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب هي:

أولا – الصوامت : ندرس أثرها في الدلالة من خلال أربعة ألفاظ هي :

1– ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، (1376هـ–1957م)،152/2.

2– كمال بشر : علم الأصوات ،دار غريب، القاهرة ، 2000 م، ص 26.

3– تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ت ، ص 38.

4– ابن جني : الخصائص ، مصدر سابق ، 157/2 ، 158.

1-" **كهف** " : تكررت ست مرات في الآيات : 9 ، 10 ، 11 ، 16 ، 17 ، 25.
و هي الكلمة المحورية في السورة كلها لأنها علم عليها لذلك كانت لها الصدارة في هذا المطلب ؛ و الكهف في حقيقته « مغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها ... فإذا صغر فهو غار يقال فلان كهف فلان أي ملجأ له » [1].
و إننا إذا ما تأملنا أصوات هذه الكلمة و المعنى الذي وردت فيه نجد المشاكلة التي تحدث عنها ابن جني ماثلة فيها لأن انتقال النطق من شدة صوت الكاف و وقفيته إلى الرخاوة والهمس في كل من الهاء و الفاء[2] شبيه بانتقال الفتية من حال الشدة والخوف لو بقوا مكشوفين خارج الكهف إلى حال الأمن و الدعة داخله ، كما أن شكل تجويف الفم و هو ينتقل من الفتحة القصيرة في صوت الكاف ليحقق صوت الهاء الساكن ثم الانغلاق الجزئي للشفتين لدى تحقيق صوت الفاء يعطي كهفا فمويا باباه الكاف و الفاء و بهوه الهاء؛ لذلك كانت هذه الكلمة أنسب مرادفاتها لهذا المكان.
2 . تخرج : من قوله تعالى ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾، الآية 5 حيث نجد في ترتيب أصوات الجذر (خ.ر.ج) تمثيلا بيانيا لفعل الخروج ذلك أن مخارج هذه الأصوات مرتبة من عمق الفم إلى وسطه إلى نهايته حيث إن الخاء صوت حلقي والراء ذلقي والجيم حنكي ولا شك أن التعبير عن معنى الخروج بهذا الترتيب لأصوات الكلمة فيه تمثيل لخروج
النفس من عمق الجهاز الصوتي إلى نهايته ولعل في ذلك تعليلا لاختيار هذا الترتيب (خ .ر.ج) من بين البدائل الستة(خ.ر.ج ، ر.خ.ج ، ج.خ.ر ، خ.ج.ر ، ر.ج.خ ج.ر.خ) للتعبير عن معنى الخروج.
3 .4 "**السندس**" ، و "**الإستبرق**" : وردتا مجتمعتين على هذا الترتيب في قوله : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب و يلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب و حسنت مرتفقا** ﴾ (الآية 31) ، كلا اللفظين معرب من الفارسية أو الرومية على خلاف – و « السندس رقيق الديباج ، والإستبرق ما كان منه صفيقا غليظا»[3].
و إنا لنلحظ أن همس السين و صفيره[4] و كذا احتواءه الكلمة بتموقعه في طرفيها يشاكل ما في المسمى من رقة و رهافة ذلك أن الفكرة الهادئة تترجم بأصوات رقيقة، والفكرة

1- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ك هـ ف.
2- ينظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ط5 ، 1979م ، ص 88/46.
3- ابن منظور : لسان العرب ، مصدر سابق ، 107/6، 5/10.
4- ابراهيم أنيس؛ الأصوات اللغوية ، مرجع سابق ، 74.

القوية تترجم بأصوات قوية[1] ، و ما اجتماع صوت الباء والقاف و التاء التي تشترك في صفة الشدة[2] في لفظ "الإستبرق" إلا للتعبير عما في المسمى من زيادة في الغلظة و لو لا ذلك لما قال بعض المفسرين :« لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظ ويأتوا بلفظ يقوم مقامه في الفصاحة لعجزوا »[3] لأنه « لا يوجد في العربية لفظ واحد يدل على ما يدل عليه الإستبرق »[4].

ثانيا : الصوائت :

1-**الصوائت القصيرة :** نتعرف على علاقة الصوائت القصيرة بالمعنى من خلال نموذجين:

أ- جدلا : جاء اللفظ في قوله تعالى : ﴿ **و لقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل و كان الإنسان أكثر شيء جدلا** ﴾ ، (الآية 54). و الجدل :« اللدد في الخصومة والقدرة عليها و مقابلة الحجة بالحجة »[5] و منه جدل محمود كالذي في قوله تعالى : ﴿ **و جادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[6] أو ما سميت به سورة المجا

هو المنهي عنه ، و أيا كان الجدل فإنه يتضمن مفهوم التحاور و التداول في الكلام ، أي وجود تتابع في فترات التكلم و المحاججة لدى كلا المتجادلين ؛ و هذا ما يعكسه تتالي الفتحات القصيرة الثلاث على فترات زمنية متساوية ، تماما كما ينبغي أن يكون الجدل ، و لأن الجدل لابد يفضى إلى إفحام أحد المتجادلين ، و بالتالي السكوت فقد أبان عن هذا سكون نون التنوين في اللفظ ، فكان توالي الأصوات على سمت تتالي الأحداث.

ب- مددا : من قوله تعالى : ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا** ﴾، (الآية 109). و اللفظ مثال آخر لترجمة مفهوم المشاكلة بين تتابع الأصوات و تتابع الأحداث التي تتضمنها الدلالة ذلك أن اللفظ في أصله إنما جعل « للعساكر التي تلحق بالمغازي ... و الممد هو من يناول الرامي سهما

1- ينظر : Marcel Cressot ; le style et ces techniques – ed , p . uf . Paris , 7eme ed , la rousse , 1989 , p21.

2- ابراهيم أنيس؛ الأصوات اللغوية ، مرجع سابق ، 61 ، 84 ، 87.

3- السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تح محمد شريف سكر و مصطفى القصاص ، مكتبة المعارف ، الرياض ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط1 ، (1407هـ - 1987م) ، 368/1 .

4- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 314/15.

5- ابن منظور : لسان العرب ، ج.د.ل.

6 سورة النحل: الآية 125.

بعد سهم ..... وما سمى المداد إلا لأنه يمد الكاتب »[1]، و في كل هذه المعاني تتابع للأحداث ، أما التتابع الصوتي فهو ماثل كذلك في الفتحات القصيرة الثلاث المتلاحقة ؛ ولعدد الثلاثة أهمية خاصة لأنه بداية الجمع في العربية ، و المدد دلالته الجمع و إن كان ظاهر لفظه الإفراد ، لذلك فإن الثلاثة أدلَ ُ من الاثنين و حتى مما فوقها لأنها تمثل معلم البداية في الجمع ، و قد عبر سُكون التنوين عن النهاية الحتمية لكل مدد ، لذلك فإن المدد في هذه الآية على « التمثيل لا على الحقيقة »[2] حيث لا انقضاء لكلمات الله ، على أن مفهوم المشاكلة بين التتابع الصوتي و تتابع الأحداث قد تكرر كثيرا في متن السورة وبخاصة في فواصلها (قَصَصًا ، سَبَبًا ، عَدَدًا ، شَطَطًا ...) و هو ما ستتولى الإبانة عنه الصفحات الموالية من البحث لدى دراسة المقطع.

2- **الصوائت الطويلة :** نبحث علاقة الصوائت الطويلة بالمعنى من خلال ثلاثة نماذج هي :

أ- " **قاموا** " : من قوله تعالى : ﴿ **إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض، لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا** ﴾ ، (الآية 14) ، و لقد ورد فعل القيام في هذه الآية كما في آيات كثيرة منها قوله جل شأنه : ﴿ **و إنه لما قام عبد الله** [3]

كلام العرب الذين « يرتجلون لفظ القيام بين يدي الجمل فيصير كاللغو» قال النابغة الذبياني :

نُبِّئتُ حصنًا وحيا من بني أسد قاموا فقالوا حِمَانا غيرُ مقروب[4]

إلا أنها في هذه الآية – كما الذكر الحكيم كله – أبعد ما تكون عن اللغو ؛ وأي مكان للغو في كتاب ﴿ **أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[5] ؛ فهي بمعنى« العزم و الوقوف والثبات »[6] ذلك أن قبلها قوله تعالى : ﴿ **و ربطنا على قلوبهم** ﴾ فكان العزم و الثبات وكان وكان الوقوف في وجه الملك و التحدي بالمجاهرة بعقيدة التوحيد بين يديه و هو المشرك المستبد، و إنا لنجد أثر هذا الثبات في صفات صوت القاف الفخم الشديد ، و إن الفتحة

---

1 ابن منظور : لسان العرب ، م د د.

2 الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 54/16.

3 سورة الجن : الآية 19.

4 ابن منظور : لسان العرب ، ق و م.

5 سورة هود : الآية 1.

6 ابن منظور : لسان العرب ، ق و م.

الطويلة بعده لتحمل من دلالة الثبات على الحق والاستمرار في نهجه ما تحمله الضمة الطويلة بعد صوت الميم الذي نجد في صفته الجهرية رمزا للمجاهرة بالحق ، ذلك أن حروف الجهر تدل على القوة و الشدة كما أن الفكرة القوية تترجم بأصوات قوية و الفكرة الهادئة بأصوات رقيقة[1] ، والذي نجده في الفتحة الطويلة من لفظ "قاموا" يتكرر بعدها مباشرة في لفظ "قالوا" ، والشأن نفسه في الضمة الطويلة في "قاموا" و نضيرتها في "قالوا" فكأن طول الصوت إشارة إلى شدة جرأة الفتية و أهمية فعلهم.

ب- أيقاظا : ورد اللفظ في قوله جل شأنه : ﴿ **و تحسبهم أيقاظا و هم رقود ...**﴾ (الآية 18) و« اليقظة نقيض النوم ... و المتيقظ الحذر » [2] و قد وصف الله تعالى هيئة الفتية بأنها توهم من يراهم بأنهم أيقاظ بل يكاد يقطع بذلك لما كانوا فيه من تقلب دائم وعيون مفتّحة ، و لِمَا ألقي على المكان من هيبة ، و شدة يقظتهم البادية لكل راء تعكسها أصوات الكلمة صوتا صوتا ؛ و بخاصة شدة الهمزة و القاف واستطالة الأخير فضلا عن شكل الألف بقامته الهيفاء التي سورت الكلمة بداية و نهاية حتى لكأن إشالة الظاء مَدَدُ لأَلِفَات الكلمة كي يتم بناؤها عموديا ، تماما كحال اليقظ القائم استعدادا لكل طارق ، و الفتحة الطويلة بعد القاف الشديد تعكس استمرارية اليقظة ودوامها.

جـ - رقود : الذي عبرً فيه صوت الضمة الطويلة عن طول الرقدة تماما مثلما عبرت الفتحة الطويلة في اللفظ السابق عن طول اليقظة و سواء بسواء لأن الفترة واحدة ، ومن العرب من يفرق بين الرُّقودِ و يجعله لنوم الليل و الرقاد و يخص به نوم النهار ، و لا يخلو ورود اللفظ بهذا العدد من الضمات المتتابعة من إشارة إلى ما في الضمة من شبه بحال النائم نوما عميقا إذا كان يتنفس من فيه لأن الضمة وسط بين سعة الفتحة و حدّة الكسرة و هو ما يعطي الفم وضعا وسطا بين الانفتاح والانغلاق تماما كحال الفتية بين الموت و الحياة، بل إن الإشارة قد تكون في شكل الضمة نفسه وحتى في بقية الحروف التي افتقرت جميعها إلى الاستقامة افتقار النائم إلى الوقوف وأخذت كلها شكل الأقواس كانحناء النائم في بعض أحواله.

5- ينظر : Marcel Cressot : le Style et ces techniques, P 21

2- ابن منظور : لسان العرب ، ي ق ظ.

و فوق هذا فإن من دلالة صوت الراء الذي وقع في بداية الكلمة ثبوت المكان والاستقرار فيه و منه قولهم: ربع ، و رجن ، و ربد[1] و كلها بمعنى الإقامة، ولاشك أن رقدة الفتية في الكهف ثبوت في المكان و استمرار فيه.

ثالثا – الصوامت مع الصوائت :

1-" **فراق** " : وَرَدَ اللفظ في قوله تعالى حكاية عن العبد الصالح : ﴿ **قال هذا فراق بيني و بينك سأنبؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** ﴾ ، (الآية 78). و الفراق في اللغة التشتت و التباعد[2] ، و قد كانت هذه اللفظة إيذانا بتشتت شمل موسى عليه السلام والعبد الصالح بعدما كان بينهما من التئام ، و قد عكس همس الفاء شوق موسى عليه السلام للقاء العبد الصالح و صورت صفة التكرار في الراء تلاحق الأحداث واضطراب نفسية موسى- عليه السلام- من فرط الاستغراب و الدهشة وتولت الفتحة الطويلة بعد هذا الصوت تجسيد زمن الرحلة، و ظهر أخيرا عسر الفراق و مرارته في شدة القاف و وقفيته التي كانت علامة على توقف الرحلة، وكأن أصوات الكلمة تلخيص للقصة كلها ، و لا عجب أن تصدر هذه الكلمة من الخضر بعدما كان من موسى- عليه السلام- إذ إن « مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي و أن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه من مد و غنة أو لين و شدة، و بما هيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه و تتابعه على من أصولها »[3].

2-" **أفواههم** " : من قوله تعالى : ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم** ﴾ ، (الآية 05). وهي كلمة << تشارك بجرسها الخاص في تكبير هذه الكلمة و تفظيعها ، فالناطق بها يفتح فاه في مقطعها الأول بما فيه من مد "أفوا..." ثم تتوالى الهاءان فيمتلئ الفم بهما قبل أن يطبق على الميم >>[4] ، و بذلك تكون أصوات الكلمة قد أسهمت مفردة و مجتمعة في تمثيل المعنى من خلال تصويره بيانيا في شكل الفم الممتلئ المفتوح ، و الصوت المتواصل الذي يعبر بتواصله و امتداده في الهواء عن فظاعة الكلمة.

1- حسن عباس : خصائص الحروف العربية و معانيها ، نشر إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، http :www.awu dam.org/book/98/189-h-a/book98

2- ينظر : الفيروز أبادي ؛ القاموس المحيط ، مصدر سابق ، ف ر ق.

3- الرافعى : الإعجاز القرآني ، 245.

4- سيد قطب : في ظلال القرآن ، 1260/4.

3-" **وزنا** " : أما لفظ "وزنا" من قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ ، (الآية 105). فإن التناوب الحاصل فيه بين الحركات و السكنات (حركة – سكون – حركة – سكون)
يمثل بصورة حسية حركة الميزان (في شكله التقليدي) ، و كأن ورودها في الآية بصيغة المصدر و بالتنوين توخيا لهذا، يقول الزجاج : << اختلف الناس في ذكر الميزان يوم القيامة وجاء في التفسير أنه ميزان له كفتان >>[1].

المبحث الثاني

الإيقاع الداخلي

تكرار الصوت و علاقته بالمعنى

1. **تكرار الصوت في الكلمة :** إذا كان لصفة الصوت مفردا دور في توجيه دلالة اللفظ فإن تكراره فيه أدعى للبحث عن علاقة بين قيمته الموسيقية و القيمة الدلالية التي ينطوي عليها اللفظ ؛ ذلك لأن « الخطاب القرآني قد اتخذ من الصوت المفرد – و خاصة ما تكرر منه– وسيلة بلاغية لتصوير المواقف المختلفة »[2] من أجل ذلك عقدنا مبحثا لموضوع تكرار

1- ابن منظور : لسان العرب ، مصدر سابق ، و.ز.ن.

2- زبيدة بن السبع : سورة الرحمن ، دراسة دلالية ، مذكرة ماجيستر ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ص90.

الصوت في اللفظ و ما يمكن أن يحيل إليه من دلالات تتصل بالمعنى فاستعرضنا الكلمات التي تكررت فيها الأصوات و رتبناها ألف- بائيا مع إهمال الحرف[1] لأنه لا يحمل قيمة دلالية في نفسه كما هو مقرر عند أهل اللغة ، و الجدول التالي يبين ذلك :

الصوت	الكلمات التي تكرر فيها	العدد
أ	آباء، آتنا، أولئك، الأرائك، آتت	05
ب	سببا، سببا، سببا، سببا	04
ت	تستفت، تحت، تحت	03
ث	ثلاثة، ثلاث	02
ج	ياجوج، ماجوج	02
ح		00
خ		00
د	شديدا، الحديد، مدادا، مددا	04
ذ		00
ر	فرارا	
ز		00
ط	شططا	01
ظ		00
ك		00
ل	الله، الله، الله، الله، يضلل، الله، قليل، الله، المهل، خلالها، الله، الله، الله، الله، الولاية، لله، الله، الجبال، للملائكة، المضلين، المرسلين، الغلام، الله، الله، الله	26
م	المؤمنين، المجرمين، المجرمون، مجمع، مجمع، مؤمنين	06

1- المقصود بالحرف : قسيم الاسم و الفعل في تصنيف الكلمة.

ن	المؤمنين، سنين، نحن، بنيانا، سنين، نطفة، البنون، الإنسان، متذرين، عندنا، القرنين، القرنين، القرنين، بيننا، نارا، نهرا، نفرا، نصبا، نكرا، نكرا، نارا، نقبا، نزلا، نزلا.	24
ص	قصصا	01
ض		00
ع		00
غ		00
ف	حففناهما	01
ق		00
س	سادسهم، سندس	02
ش		00
هـ	هذه، هذه	02
و		00
ي	يتيمين	01

إن تحليل الجدول أعلاه يعطي النتائج التالية :

1- أعلى نسبة تكرار كانت في الأسماء (82/78).

2- التكرار في الأفعال كان بنسبة ضئيلة جدا (82/5).

3- أكثر الأصوات تكرارا هو اللام (تكرر في ستّ و عشرين كلمة) يليه النون (تكرر في أربع و عشرين كلمة) ثم الميم (في ست كلمات) ، و بقية الأصوات تراوحت بين مرة واحدة و خمس مرات ، في حين لم تتكرر أصوات ح ، خ ، ذ ، ز ، ظ ، ك ، ض ، ع ، غ، ش و ، و لو في كلمة واحدة فهي لا تعنينا في هذا المطلب.

4- تشترك الأصوات الأكثر تكرارا (ل.م.ن) في كونها أصواتا مائعة[1].

1- الأصوات المائعة هي التي تجمع بين الشدة و الرخاوة و يجمعها تقارب المخرج و الوضوح السمعي ، بنظر: إبراهيم أنيس؛ الأصوات اللغوية ، مرجع سابق ، 65/27.

و فضلا عن كون اللام و النون من الأصوات الأكثر استعمالا في العربية كلها[1] فإن تكرارها يعود من جهة أخرى إلى ارتباط النون بكل فواصل السورة لأنها داخلة في تركيب التنوين ، و كذا ارتباط اللام بلفظ الجلالة الذي تكرر ست عشرة مرة فضلا عن المرادفات والضمائر التي تحيل إليه و التي كانت مكثفة بشكل لافت للانتباه و في ذلك إشارة إلى أن << الله وحده من يعلم حقيقة القصص الواردة في السورة لأنها كلها غيبية >> [2].

و لأن الأصوات المائعة الثلاثة (ل.م.ن) لها حضور مكثف كذلك على مستوى الجملة أو الآية فإننا نرجئ بحثها إلى المطلب الموالي ، و نرصد علاقة تكرار الصوت بالمعنى على مستوى اللفظ من خلال ثلاثة نماذج من الجدول هي : (فِرَارًا، قصَصًا، يُضْلِلْ).

أ- **فرَارًا :** وردت في قوله تعالى : ﴿ **و تحسبهم أيقاظ و هم رقود و نقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا**﴾ (الآية 18).

و الفرار « الروغان و الهرب »[3] ، و لا يكون الهرب إلا مما يخيف، و قد نصب لفظ "فرارا" على المفعول المطلق المبين لنوع فعله "وَليت"، و ليس ذلك الرعب من ذواتهم إذ ليس في ذواتهم من اختلاف عن البشر ما يخيف، إنما الهرب من توقع شر منهم لأن الكهوف كانت مخابئ لقطاع الطرق[4].

و لشدة الهيبة التي ألقاها الله عليهم فإن المار قبالة الكهف

ذعرا و يولي هاربا توجسا لشر يصيبه منهم، و قد تولى صوت الراء بصفته التكرارية تصوير فعل الهروب و كأن التكرار في صفة الصوت تمثيل لوقع الخطى المتسارعة أو لوجيف القلب المنذعر ، و لعل و جود هذا الصوت في الألفاظ : ذعر، هرب، فرار روغان- و هي في معناها العام متقاربة جدا – مما يؤكد هذا التمثيل ، كما أن وجوده مكررا في لفظ "فرارا" ثالث المترادفات يؤكد أنه أبلغها تعبيرا عن الخوف فكان الأنسب لتصوير شدة الفزع المقصود ؛ ثم إن التكرار في هذه الآية متأت من ثلاثة طرق؛ أولها ورود لفظ الفرار بعد الفعل "وليت" و هو ضرب من التكرار التوكيدي لأن اللفظين مترادفان، و الثاني التكرار في صفة الصوت ، و

1- بنظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مصدر سابق : 67 و عبد الملك مرتاض ؛ نظام تحليل الخطاب القرآني ، تحليل سيميائي لسورة الرحمن ، دار هومة ، الجزائر ، 278 .

2- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، مرجع سابق ، 45/2.

3- ابن منظور : لسان العرب ، ف ر ر.

4- بنظر : الطاهر بن عاشور ؛ لتحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 282/15.

الثالث – وهو المقصود – تكرار صوت الراء مرتين؛ مرة محركا بالفتحة الطويلة بما فيها من مد للصوت و ما يعكسه من شدة الخوف وسرعة الفرار ، و مرة بالفتح متبوعا بالسكون الناتج عن التنوين و ما يحيل إليه من سكون و خور ينتهي إليهما ركض كل فار.

ب- **قصصا :** جاء اللفظ في قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى – عليه السلام – : ﴿ **قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ﴾ ، (الآية 64). جاء في اللسان : « قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئًا بعد شيء و يجوز بالسين قسست »[1].

و قد مثل همسُ الصاد و صفيرُه حالة الحرص و الترقب الذي سكن فؤاد موسى قبل أن يلقى الخضر عليهما السلام، كما جسد تتابع الصوتين تتبع الآثار أثرا بعد أثر ومما يؤكد ذلك ورود اللفظ بصوت السين أخت الصاد في الهمس و الصفير مكررا كذلك والشيء نفسه نجده في مرادف اللفظ "تتبع" ، و هو أمر يؤكد الفكرة التي أنف الكلام عنها في المطلب السابق و هي فكرة المشاكلة بين تتابع الأصوات و تتابع الأحداث خصوصا لما كان تكرار صوت الصاد بفتحتين قصيرتين و كان التكرار تجاوريا وكأن الصوت الأول لمرة من مرات التتبع و الصوت الثاني للمرة التي تليها. ذلك أن « المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها »[2] لينتهي الأمر إلى توافق تام بين وقف التنوين و سكونه وتوقف البحث عند الاهتداء إلى مكان الخضر عليه السلام.

ج- **يضلل :** جاء اللفظ في الآية : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾، (الآية 17). و الإضلال« ضد الهداية و الإرشاد ، و يقال أضللت فلانا إذا وجهته للضلال عن الطريق »[3].

و قد ورد الإضلال في هذه الآية في مقابل الهداية التي تعلق ذكرها بقصة أهل الكهف الذين هداهم الله للعقيدة الحقه و إلى طريقة في التخفي عن الملك الجائر، فكان الإضلال في المقابل – فضلا عن عموم اللفظ – إشارة إلى أن غير هؤلاء الفتية من أهل بلدتهم كانوا على ضلال؛ ثم إن للإضلال تعلقا آخر و هو إضلال الملك و جنده عن كهف الفتية حين خرجوا في طلبهم، و آخر هو إخفاء حقيقتهم عن الملك العادل بعد أن كشف أمرهم

1 ابن منظور : لسان العرب ؛ ق ص ص.

2 ابن جني : الخصائص ، مصدر سابق ، 153/2.

3 ابن منظور : لسان العرب ، ض ل ل.

ووقف على باب الكهف[1] ؛ و آخر هو إضلال الناس قديما وحديثا عن عددهم، وآخر أكثر أهمية هو إضلال مشركي قريش و من أملوا عليهم القصة من أحبار اليهود عن اتباع دين الإسلام الذي جاء به الرسول محمد – صلى الله عليه و سلم – ... و هذه كلها أنواع من التكرار يترجمها تكرار الصوت ، و في خصوصية اللام – الذي ينطق بالتصاق اللسان بأعلى الحنك فترة – تصوير لتشبث كل فريق من الضالين برأيه و تعلقه به ، تماما كتعلق اللسان بأعلى الحنك في تحقيق صوت اللام و في تكراره تأكيد لذلك التعلق لأن « التكرار يزيد الشيء المكرر تميزا عن غيره »[2].

2. – تكرار الصوت في الآية و علاقته بالمعنى :

قبل البدء في عرض مادة هذا المبحث نشير إلى وجود ظاهرتين صوتيتين لفتتا نظرنا ونحن ندرس علاقة الصوت المكرر بالدلالة على مستوى الآية الواحدة و سنكتفي بعرضهما دون التحليل لأنهما متضمنتان في التكرار على مستوى الآية من جهة ، و من جهة أخرى فإن دورهما في وصل الكلام و تنغيمه أقوى من تأثيرهما في الدلالة ؛ هاتان الظاهرتان هما ؛ وجود كلمات تبدأ بصوت النون و تنتهي به و هي : نطفةً ، نارًا ، نهرًا ، نفرًا ، نصبًا ، نكرًا ، نقبًا ، نزلاً ؛ و هو أمر ناجم عن فاصلة التنوين التي عمت السورة كلها ، و كذا وجود كلمات تبدأ بالصوت الذي انتهت به سابقتها نجتزي بالتمثيل لها .

1. حرف التاء : قوله تعالى : ﴿... كلمة تخرج .... ﴾ الآية 05.
2. حرف الحاء : قوله تعالى : ﴿ ... أبرح حتى .... ﴾ الآية 60.
3. حرف الراء : قوله تعالى : ﴿... أذكر ربك ..... ﴾ الآية 24.
4. حرف اللام : قوله تعالى : ﴿... نجعل لكم .... ﴾ الآية 48.
5. حرف الميم : قوله تعالى : ﴿... بينهم موبقا .....﴾ الآية 52.
6. حرف النون : قوله تعالى : ﴿... نحن نقص ..... ﴾ الآية 13.
7. حرف العين : قوله تعالى : ﴿... تستطيع عليه ... ﴾ الآية 78.
8. حرف الفاء : قوله تعالى : ﴿... الكهف فقالوا ... ﴾ الآية 10.
9. حرف الياء : قوله تعالى : ﴿... العشي يريدون ..﴾ الآية 08.

1 ينظر: ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، 142/4.

2 عز الدين علي السيد باكثير : التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1986 ، ص 136 ، 137.

و سنكتفي هنا بالإشارة إلى أن الظاهرتين كانتا مكثفتين في الأصوات (ل م ن) وهي نفسها التي سنكتشف حضورها الدائم على مستوى الآية.

و لأن تكثيف أصوات معينة لابد وراءه قصد و له دلالة ما فإننا سنرصد هذه الظاهرة و نحاول الكشف عن علاقة الأصوات بالدلالة العامة للآية من خلال المقابلة بين صفات الأصوات و تفسير الآيات.

و إذ ربطنا التحليل بالحروف الأربعة (ل م ن ر) فإن ذلك راجع لما لاحظناه من حضور شبه دائم لها في كل الآيات وقد كشفت الإحصائية التي أجريناه على متن السورة عن :

أولا: – حضور صوت النون في كل الآيات أي 110/110.

- حضور صوت اللام في 106 آية أي 110/106.
- حضور صوت الميم في 104 آية أي 110/104.
- حضور صوت الراء في 98 آية أي 110/98.

ثانيا: – أعلى نسبة لورود صوت النون في الآيتين 21، 31 بـ 18 مرة في كل منهما.

- أعلى نسبة لورود صوت الميم في الآية 22 بـ 18 مرة.
- أعلى نسبة لورود صوت اللام في الآيتين 19، 22 بـ 18 مرة ، 19 مرة على الترتيب.
- أعلى نسبة لورود صوت الراء في الآيتين 31، 49 بـ 07 مرات في كل منهما.

ثالثا: – أكبر تجمع لهذه الحروف كان في الآيات 22 ، 21 ، 19 ، 82 بـ : 56 مرة ، 52 مرة ، 50 مرة ، 48 مرة على التوالي ، و عليه فإن تحليل إحدى هذه الآيات كفيل بالتمثيل لباقيها وهذا ما نتناوله من خلال الآية : (21) و الآية (22).

إن تكثيف الأصوات الأربعة (ل.م.ن.ر) في الآيتين لا يعود إلى طولها كما قد يبدو من الملاحظة الأولى لأن حضور هذه الأصوات ماثل في جميع جمل الآيتين ذلك أن الآية (21) اشتملت على إحدى عشرة جملة لم تخل واحدة منها من أحد هذه الأصوات ولنتتبع ذلك:

– الآيـة 21 :

العدد	الجملة	ل	م	ن	ر	المجموع
1	أعثرنا عليهم	1	1	1	1	4
2	ليعلموا	2	1	0	0	3

3	أن وعد الله حق	2	0	3	0	5
4	أن الساعة لا ريب فيها	1	0	2	1	4
5	يتنازعون بينهم أمرهم	0	2	3	1	6
6	قالوا	1	0	0	0	1
7	ابنوا عليهم بنيانا	1	1	4	0	6
8	ربهم أعلم بهم	1	3	0	1	5
9	قال الذين ...	3	0	1	0	4
10	غلبوا على أمرهم	2	2	0	1	5
11	لنتخذن عليهم مسجدا	2	2	4	0	8

و الشأن نفسه في الآية (22) التي ضمت أربع عشرة جملة ما من واحدة إلا و بها صوت أو أكثر من هذه الأصوات (الجدول) :

العدد	الجملة	ل	م	ن	ر	المجموع
1	يقولون	1	0	1	0	2
2	ثلاثة (عل تقدير "هم ثلاثة")	1	0	1	0	2
3	رابعهم كلبهم	1	2	0	1	4
4	يقولون	1	0	1	0	2
5	خمسة (على تقدير "هم خمسة")	0	1	1	0	2
6	سادسهم كلبهم	1	2	0	0	3
7	يقولون	1	0	1	0	2
8	سبعة (على تقدير "هم سبعة")	0	0	1	0	1
9	ثامنهم كلبهم	1	2	1	0	4
10	قل	1	0	0	0	1
11	ربي أعلم بعدتهم	1	2	0	1	4
12	ما يعلمهم إلا قليل	5	3	0	0	8
13	لا تمار فيهم	1	2	0	1	4
14	لا تستفت فيهم منهم أحدا	1	2	2	0	5

– خصائص هذه الأصوات :

- **النون :** أكثر الأصوات تكرارا في آيات السورة كلها ، يوصف بأنه حرف « نشط في العربية و كثير التوارد[1] » كما أن كونه مجهورا يتوسط الشدة والرخاوة جعله أسرع تأثرا بما يجاوره من الأصوات و أشدها تأثرا حين يقترن بالسكون ، فحينئذ يتحقق اتصاله بما بعده اتصالا مباشرا[2] ، و هذا حال جميع فواصل السورة.

1 عبد الملك مرتاض : نظام تحليل الخطاب القرآني ، مرجع سابق ، 278.

2 ينظر : إبراهيم أنيس ؛ الأصوات اللغوية ، مرجع سابق ، 67.

- **الميم** : مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة[1] ، من معانيه الانجماع ، يوحي بالرقة والإحاطة في الأمومة و هو من الحروف الإيمائية غير الشاعرية كما أنه لضعفه وشدة تأثره بالأصوات المجاورة له « يكاد يكون معدوم الشخصية »[2].
- **الراء** : مجهور يتوسط الشدة و الرخاوة و هو حرف رشيق مرن أشبه ما يكون بالمفصل ، لذلك فإن القرآن قد استنفذ كل خصائصه الحركية[3].
- **اللام** : مجهور يجمع بين الشدة و الرخاوة[4] و اللام أخت الراء توصف بأنها ضعيفة الحجز[5].

و « من النتائج التي حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحا و أقربها إلى طبيعة أصوات اللين ...، ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة (الصوامت) و أصوات اللين (الصوائت) ، إذ فيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل و من صفات الثانية أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف و أنها أكثر وضوحا في السمع »[6].

فهذه الأصوات – إذن – أخوات و صفة تأثرها بما يجاورها أمر جامع بينها لذلك فإنها تقوم – فضلا عن الخصائص المميزة لكل منها – بدور الجسور التي تصل الأصوات الشديدة المحملة بمعاني القوة بالأصوات المهموسة و ما تحمله من أفكار هادئة، و تخفف من حدة الانتقال بينها مما يجعل وجودها – في أغلب أحواله – مقرونا بالحروف الشديدة و الرخوة و هذا ما استنتجناه من تحليل الآيتين السابقتين؛ فالآية (21) تناولت حدث الإعثار عن الفتية و اختلاف الناس في شأنهم، و هو موضع العبرة من القصة كلها لأنها إنما سيقت من أجل إثبات أمر البعث الذي كان مناط الاختلاف و هل تبعث الأرواح فقط أم حتى الأجساد فكانت القصة دليلا على بعث الأرواح و الأجساد معا ، و هي فكرة جوهرية في العقيدة و هذا ما عكسه جهر الدال و شدته في لفظ "وعد" و جهر كل من القاف في لفظ "الحق" و الباء في لفظي "ريب" و "ربهم" ، و تولت الحروف الأربعة المكثفة (ل م ن ر) – بضعف مخارجها و تأثرها بجوارها –

---

1 ينظر : المرجع نفسه : 45.

2 حسن عباس : خصائص الحروف العربية و معانيها ، مرجع سابق ، 18، 19.

3 المرجع نفسه و إبراهيم أنيس ؛ الأصوات اللغوية : 66.

4 المرجع نفسه ، 64.

5 ابن جني : الخصائص ، مصدر سابق ، 1/ 62 ، 93.

6 إبرهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مرجع سابق ، 27.

التوسط بين هذه الشدة و سياق الكلام القصصي الذي يقتضي الهدوء وصلا للأحداث و طلبا للاسترسال.

كما أن مدار الآية (22) حول الاختلاف في عدد الفتية و هي الفكرة الجوهرية التي شغلت – خطأ – بال الخائضين فيها ، و هي متعلقة بثلاثة ألفاظ في الآية هي "ربي" ، "عدتهم"، "قليل" ، و لم يفتقر واحد من هذه الألفاظ إلى حرف مجهور أو شديد يعبر عن قوة الفكرة بل إن تضعيف الباء من "ربّي" و الدال من "عدّتهم" يزيد الفكرة قوة تماما مثل "ربّهم" و "الحقّ" في الآية السابقة ، و يعطي الانطباع بكمال علم الله تعالى بهم و بغيرهم وأن هذا "القليل" و إن عَلِم بهم فإن علمه يبقى قليلا ضئيلا.

إلا أن احتواء الآية كثيرا من الأصوات المهموسة أو الرخوة كالسين و الثاء و الخاء و الجيم و الظاء و الغين يجعل الانتقال منها إلى الأصوات الشديدة نشازا يتولى تكثيف الحروف المائعة رفعه فيستوي الكلام دلالة و تلاوة.

تلك أهم الوجوه التي تبينت لنا بشأن هذه الحروف و دورها في النص و هو أمر جعلنا نقف على حقيقتين :

الأولى : أن الأصل في اللغة هو المنطوق و ما المكتوب إلا وسيلة لحفظه و طريقة للتواصل بين المتباعدين.

الثانية : أن تجاور هذه الحروف و ترتيبها (ل م ن ر) في الألفبائية يشير إلى أن ترتيب الألفبائية العربية ليس اعتباطيا بل ينم عن إدراك مبكر لخصائص الصوت اللغوي.

II : تكرار المقطع و علاقته بالمعنى

لقد شكل الاعتراف بالمقطع و أهميته بؤرة اختلاف كبير بين الباحثين اللغويين العرب و غيرهم و وصل الأمر إلى حد نفيه من الأساس و اعتباره غريبا عن التحليل اللغوي غرابة الربيب عن زوج الأم[1]، يرى العالم SWEET أن لا ضرورة لاعتماد المقطع و أن « القسم الوحيد الذي يتحقق عمليا هو المجموعات النفسية التي تعود إلى الضرورة العضوية للتنفس »[2] في حين رأى فريق آخر بأن المقطع من صميم البحث اللغوي لأنه « في المقطع يخرج

1– أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1990 ، 279.

2– المجموعة النفسية هي " تتابع صوتي تحدد بدايته و نهايته طاقة التنفس " ، المرجع السابق ، 162.

الفونيم إلى الحياة لأن المتكلمين ينطقون اللغة في شكل تجمعات صوتية هي المقاطع، و كثير من طرق الكتابة و ضعت على أساس مقطعي »[1].

أما اهتمام قدامى اللغويين العرب بالمقطع فأمر مختلف فيه كذلك ؛ يرى الطيب البكوش أن « النحاة لم يذكروا المقطع و لم يهتموا به حتى في العروض فهو مفهوم غربي»[2] و يقف الدكتور كمال بشر على الطرف الآخر ؛ فيرى أن تسمية المقطع – وإن كانت بمعنى غير ما هو عليه اليوم – تعود إلى ابن جني في تعريفه الصوت و الحرف[3]، أما استعماله بمعنى قريب مما هو عليه عند المحدثين فيورد فيه نصا للفارابي في "الموسيقى الكبير" : « كل حرف غير مصوت (أي صامت) اتبع بصوت قصير (أي حركة) قرن به فإنه يسمى المقطع القصير ، و العرب يسمون الحرف المتحرك من قبيل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ، و كل حرف يتبع بصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل»[4] و يعقب على هذا النص بقوله : « و هذا يعني أن الفارابي يدرك مفهوم المقطع بصورة تشبه مضمونها عند المحدثين »[5].

و سواء أكان المقطع مفهوما غربيا أم عربيا و سواء أ أذعن القائلون بعدميته في البحوث اللغوية أم لم يذعنوا فإن أهمية المقطع أمر أثبتته الدراسة التجريبية الحديثة حيث إن « عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع »[6].

و بالرغم من كل هذا فإنه « لا يزال تعريف المقطع علميا يشكل صعوبة لأن من العلماء من اعتمد الجانب الصوتي و منهم من اعتمد الوظيفة»[7].

ولأن اهتمامنا ينحصر في الجانب الوظيفي فإننا نصرف النظر عن التعريف الفونيتيكي ونورد التعريف الفونولوجي الذي يعتبر المقطع « وحدة في كل لغة على حدة »[8]

1- كمال بشر، علم الأصوات ، مرجع سابق ، ص 282.

2- الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث،نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله،تونس،ط2، 1987، 77.

3- ينظر : كمال بشر ؛ علم الأصوات ، 507.

4- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

6- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

6- أحمد مختار عمر، : دراسة الصوت اللغوي ، 280.

7- كمال بشر : علم الأصوات ، ص 504.

8- المرجع السابق ، الصفحة 284.

أو « وحدة تحتوي على صوت علة واحد، إما وحده أو مع سواكن بأعداد و نظام معينين »[1]
و هو التعريف الذي نعتمده و نبسطه في الشكل :

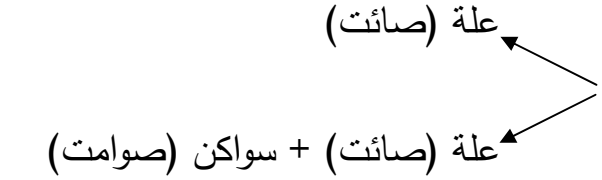

و عليه فإن الكلمة تتكون من المقاطع و المقاطع تتشكل من السواكن و العلل.
و المقاطع الصوتية ثلاثة أنواع :

1- المقطع القصير : صامت + حركة
(ص + ح) [2] مثاله ك من كتب

2- المقطع المتوسط : له نوعان : أ) صامت + حركة قصيرة + صامت
(ص + ح + ص) مثاله يك من يكتب
ب) صامت + حركة طويلة
(ص + ح + ح) مثاله كا من كاتب

3- المقطع الطويل : له نوعان : أ- صامت + حركة + صامت + صامت
(ص + ح + ص + ص) مثاله قفل (بالسكون)
ب- صامت + حركة طويلة + صامت
(ص+ح+ح+ص) و مثاله ضال من ضالين

و قد اكتفى الدكتور إبراهيم أنيس بهذه المقاطع و كذا فعل الدكتور تمام حسان إلا أنه أضاف مقطعا جديدا هو (ح + ص) مثل له بـ "الـ" التعريف بإسقاط همزة الوصل واحتساب حركتها.

و يسمى المقطع مفتوحا إذا كان منتهيا بعلة (صائت) ، أو مغلقا إذا كان منتهيا بساكن (صامت).

و قد ربطنا الدراسة التطبيقية لمقاطع السورة بفواصلها لان الفاصله اخر كلمات الفريه تمثيلا للإيقاع الذي هو جوهر الدراسة الصوتية مما حصر الدراسة في المقطع المتوسط المغلق

1- المرجع نفسه ، الصفحة 286.

2- ص : صامت ، ح : حركة.

(ص ح ص) لأن جميع فواصل السورة مقترنة بالتنوين الذي يعتبره علماء الأصوات « حركة قصيرة بعدها نون »[1] ، و لما كانت النون الساكنة هي آخر ما ينطق في كل فاصلة وجب البحث في دلالاتها المختلفة و خصائصها و كذا خصائص الصوت الذي يسبقها في كل فاصلة ذلك أن « تسلط الحروف القوية على الحروف الضعيفة يكون في أقصى شدة عندما تكون الضعيفة في نهاية المصدر ».[2] كما أن الحروف الضعيفة أشد ما تكون تأثرا بجاراتها حينما تكون ساكنة.[3] (و هو حال نون التنوين في جميع الفواصل) دون أن نغفل البحث في دلالة ملازمة المقطع المتوسط المغلق لفواصل السورة ، و سنبين كل هذا بعد عرض فواصل السورة مصنفة حسب الصوت الذي يسبق النون الساكنة من كل فاصلة (الجدول التالي) :

الصوت	الفواصل و أرقام آياتها	التكرار
ب	كذبا(5)، عجبا(9)، كذبا(15)، رعبا(18)، منقلبا(36)، طلبا(41)، عقبا(44)، حقبا(60)، سربا(61)، نصبا(62)، عجبا(63)، غصبا(79)، سببا(84)، سببا (85)، سببا(89)، سببا(92)، نقبا(97).	17
ج	عوجا(1)	01
د	أبدا(3)، ولدا(4)، رشدا(10)، عددا(11)، أمدا(12)، هدى(13)، مرشدا(17)، أحدا(19)، أبدا(20)، مسجدا(21)، أحدا(22)، غدا(23)، رشدا(24)، أحدا(26)، ملتحدا(27)، أبدا(35)، أحدا(38)، ولدا(39)، أحدا(42)، أحدا(47)، موعدا(48)، أحدا(49)، عضدا(51)، أبدا(57)، موعدا(59)، رشدا(66)، سدا(94)، مددا (109)، أحدا(110).	29

1- إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1972 ، 239.

2- حسن عباس : خصائص الحروف العربية و معانيها ، مرجع سابق ، 18.

3- المرجع نفسه.

ر	نهرا(33)، نفرا(34)، منتصرا(43)، مقتدرا(45)، صبرا(67)، خيرا(68)، أمرا (69)، ذكرا(70)، إمرا(71)، صبرا(72)، عسرا(73)، نكرا(74)، صبرا(75)، عذرا(76)، أجرا(77)، صبرا(78)، كفرا(80)، صبرا(82)، ذكرا(83)، نكرا (87)، يسرا(88)، سترا(90)، خيرا(91)، قطرا(96).	24
ز	جرزا(08).	01
ط	شططا(14)، فرطا(28).	02
ل	عملا(07)، عملا(30)، رجلا(37)، أملا(46)، بدلا(50)، جدلا(54)، قيلا(55)، مؤلا(58)، قولا(93)، نزلا(102)، أعمالا(103)، نزلا (107)، حولا(108).	13
م	علما(65)، رحما(81)، ردما(95).	03
ن	حسنا(02)، حسنا(86)، وزنا(105).	03
ص	قصصا(64).	01
ض	عرضا(100).	01
ع	تسعا(25)، زرعا(92)، جمعا(99)، سمعا(101)، صنعا(104).	05
ف	أسفا(06)، مصرفا(53).	02
ق	مرفقا(16)، مرتفقا(29)، مرتفقا(31)، زلقا(40)، موبقا(52)، حقا (98).	06
و	هزوا(56)، هزوا(106).	02

و يمكن ترجمة نتائج الجدول في الهرم البياني أدناه :

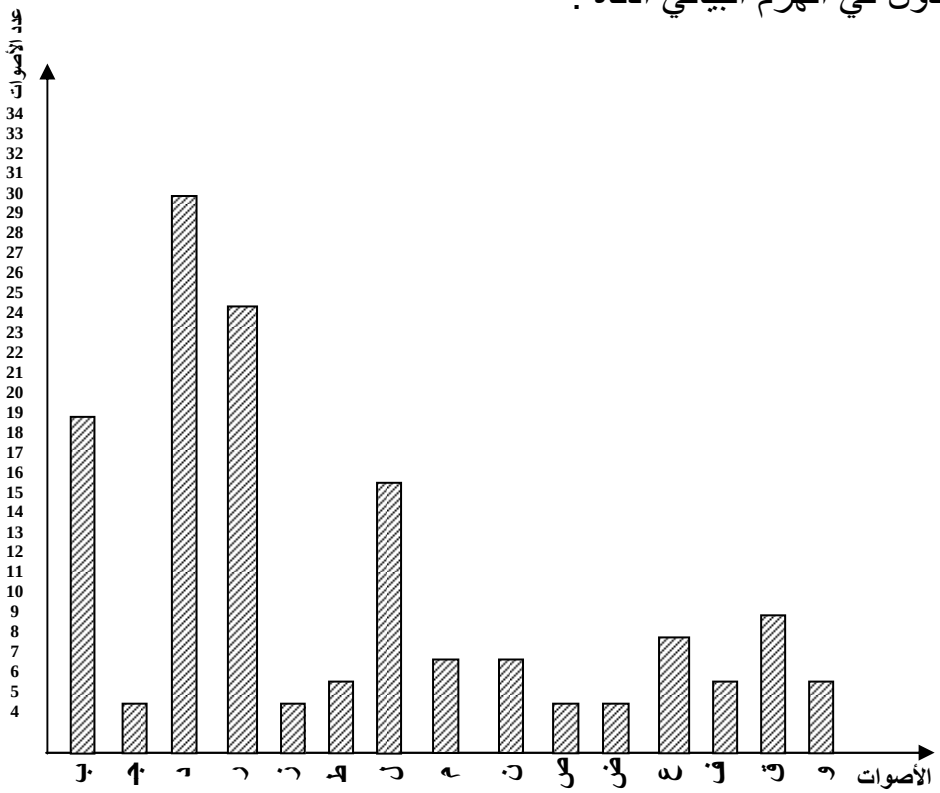

- الشكل (1) -

إن تحليل البيان السابق يعطي النتائج التالية :

1-تغيّر روي الفواصل بين الأصوات : جـ.ز.ط.م.ن.ص.ض.ع.ف.ق.و. في مجال محصور بين مرة واحدة و ست مرات و هو تغير يعكس ثراء السورة و تنوع أحداثها و تغير سياقاتها بين الأغراض البلاغية المختلفة لذلك فإنه لا يشكل خصوصية لغوية.

2-يوجد تكثيف للأصوات الأربعة (د.ر.ب.ل) في آيات بعضها متفرق و البعض الآخر يشكل تجمعات صوتية كما هو الحال في صوت الدال الذي كان رويا في الآيات

المتجاورة (19، 20، 21، 22، 23، 24)، (26، 27)، و صوت الراء الذي لزم اثنتي عشرة آية متتابعة هي: (67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 78). و الباء في أربع آيات هي (60 ، 61 ، 62 ، 63).

و إذا كان تواجد هذه الأصوات في الآيات غير المتجاورة يمكن أن يعزى إلى ثراء السورة فإن تواجدها في الآيات المتجاورة لابد يحمل دلالة نعتقد أن البحث في صفات الصوت و مقابلتها بمعنى الآية يمكّن من الوقوف على بعض معالمها.

إن الآيات المتجاورة التي اتخذت من الدال رويا لها كلها متعلقة بقصة الكهف و هي محورية في السورة كلها لأن السورة متعلقة بالأساس بها و بقصة ذي القرنين[1] و من علامات ذلك أنها علم عليها، و لما كانت الفكرة القوية يعبر عنها بالأصوات القوية و كان الدال شديدا مجهورا كان الأنسب لها، ثم إن تحريكه بالتنوين يعني اتباعه بصوت النون الضعيف الذي لا يؤثر على شدته بل يمكن إلغاؤه أصلا عند مد الدال بألف الإشباع الذي يمكن من الترنم و قد نقل السيوطي عن سيبويه أنهم << إذا ترنموا يلحقون الألف و الياء و النّون لأنهم أرادوا مّد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، و جاء في القرآن على أسهل موقف و أعذب مقطع >>[2]، أما إذا أريد الوصل فإن النون الساكنة تعطي بغنتها إيقاعا أنيسا يتواءم مع الجو القصصي و تتابع الأحداث.

أما صوت الراء فقد تعلقت الآيات التي كان فيها رويا بقصة موسى عليه السلام أطول قصص السورة و قد تناسب طول القصة مع تكثيف هذا الصوت الذي وصل إلى اثنتي عشرة مرة في الآيات المتجاورة إذا ما أضفنا لها الآيتين (80) و (82) كان العدد أربع عشرة فاصلة من أصل اثنتين و عشرين (مساحة القصة) ، و الملاحظ أن قصة موسى عليه السلام حركية حافلة بالأحداث إذا ما قورنت بقصة أهل الكهف و قد تناسبت حركية القصة مع صفة من صفات صوت الراء و هي التكرار فكأن حركة اللسان في تحقيق صوت الراء تماثل مواقع الحركة و كثرة الأفعال في القصة كما أن مرونة الراء و تمفصله[3] سهّل الانتقال من فعل لآخر ذلك أن بداية الفعل الثاني تكون عند نهاية الفعل الأول أي عند آخر الفاصلة أي على

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 244/15.

[2]– السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 291/2.

[3]– حسن عباس خصائص الحروف العربية و معانيها.

صوت الراء و هو ما يثبت له صفة المفصلية التي تحدث عنها الأصواتيون و هو – من جهة أخرى – إثبات للعلاقة بين صفة الصوت و المعنى المعجمي للكلمة التي يدخل في تكوينها.

أما الباء ثالث هذه الأصوات فقد شكل تجمعا صوتيا في الآيات 60، 61، 62، 63، وهي بدورها جزء من قصة موسى عليه السلام ، و قد عبّر عن معاني الشدة في الفواصل الأربعة التي كان رويا لها ف:"حقبا" فاصلة الآية 60 تشير إلى شدة إصرار موسى عليه السلام على لقاء العبد الصالح حيث جعل لسيره غاية وحيدة هي بلوغ مجمع البحرين حيث العبد الصالح أو السير أحقابا زمنية لا نهاية لها، و "سربا" و "عجبا" فاصلتا الآيتين 61، 63 على التوالي يعكس صوت الباء فيهما شدة العجب من تسرب الحوت إلى البحر تماما كما كان ينتظر موسى عليه السلام و "نصبا" من الآية 62 فيها تعبير عن شدة التعب الذي لقيه موسى عليه السلام و فتاه من السفر، و كلها أنواع من الشدة عكسها صوت الباء بجهره و شدة انفجاره.

و يبقى من الأصوات الأربعة اللام الذي لم يشكل تواجده تجمعات صوتية مكثفة بقدر ما كان بشكل شبه متوازن بين أجزاء السورة و من ثم فإنه لا يشكل ظاهرة صوتية خاصة ضمن النص.

أما النون بوصفه صوتا ملازما لكل روي الفواصل – استنادا إلى تعريف التنوين – فقد كان لحضوره وظيفتان :

الأولى تعود إلى طبيعته الأنفية و ما فيه من غنة أسبغت على السورة جوا من الأنس والهدوء و طبعتها بطابع واحد إذ لا يتلاءم الجو القصصي مع التنوع في الفواصل.

و الثانية شبيهة بوظيفتها على مستوى الكلمة الواحدة أو الكلمتين إذ إن ضعفها– خصوصا وهي ساكنة – يمكن من الانتقال في يسر من آية إلى أخرى و بالتالي وصل الأحداث لدى القارئ و المستمع معا.

و يؤدي التنوين دورا بارزا في ضبط الإيقاع العام للسورة بوتيرة تتلاءم مع الجو القصصي لما فيه من خصوصية هامة في هذا المقام و هي توفره على الخيارين ؛ إما الوصل بتسكين النون و استغلال خاصية ضعفه و بالتالي تحقق المقطع المتوسط المغلق (ص.ح.ص) الذي << يؤدي إلى سكونية النص و يتناسب مع حالات الكبت النفسي والشعوري >>[1] أو الوقوف بإشباع حرف الروي طلبا للترنم أو التأمل في معنى الآية وبالتالي تحقق المقطع

[1]– رجاء عيد : القول الشعري – منظورات معاصرة – منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1995م ، 222.

المتوسط المفتوح (ص.ح.ح) لأن << المقاطع المفتوحة تتناسب إلى حد كبير مع الحالات الشعورية الممتدة و خاصة حالات التطهير النفسي لأن النفس يمتد ويطول فيحدث تطهيرا و تفريغا للشحنة النفسية >>[1] ، و حيث إن الأمرين معا صحيحان فإن الخيار متروك لمهارة التالي و حذقه في تمثل المعاني، و تلك إحدى ميزات العربية.

المبحث الثالث

الإيقاع الخارجي

تقع تحت هذا المصطلح أنواع كثيرة أهمها :

1-**الجناس :** بنوعيه و قد وجدنا منه في النص :

[1]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

- **(قاموا – قالوا)** (الآية :14) : و هو جناس مماثلة[1] لأنه في فعلين ، ومطرف[2] لأن الاختلاف في الحرفين الأخيرين.
- **(أمرا – إمرا)** (الآيتان :69 – 71) : جناس تحريف[3] لأن الاختلاف في هيئات الحروف.
- **(يأجوج – مأجوج)** (الآية :94) جناس مماثلة لأنه في اسمين و جناس لاحق[4] لتباعد الياء و الميم.
- **(مدادا – مددا)** (الآية :109) : جناس ناقص لأن الاختلاف في عدد الحروف ومحرف لاختلاف حركة الميم في اللفظين.

2-**السجع :** « هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد »[5] و هو ثلاثة أنواع :

أ- **التطريف :** هو اختلاف الفاصلتين في الوزن كقوله تعالى : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا و قد خلقكم أطوارا** ﴾[6]

ب- **الترصيع :** أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ ، أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الأوزان و التقفية[7] و يسمى ترصيعا معنويا إذا وقع التوافق في الأوزان و التقفية و التركيب[8].

جـ – التوازي : هو اتفاق الفاصلتين في الوزن ومنه قوله تعالى : ﴿ **[illegible] مرفوعة و أكواب موضوعة** ﴾[9].

إلا أنه لا يقال في القرآن أسجاع تنزيها له عن سجع الطير[1] لكنهم وظفوا في التفسير و الدراسات القرآنية أنواع السجع المذكورة كلها من تطريف و تواز و ترصيع مما بدعونا إلى الفهم بأن غير المقبول هو المعني اللغوي لا الاصطلاح البلاغي.

1- المماثلة : أن يكون اللفظان المتجانسان من نوع واحد (اسمين، فعلين، حرفين)، ، ينظر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط4 ، 1998م ، 354/1.

2- التطريف : اختلاف اللفظين المتجانسين في الحرف الأخير ، المصدر نفسه : 357/1.

3- التحريف : اختلاف اللفظين المتجانسين في هيئات الحروف ، المصدر نفسه : 355/1.

4- اللاحق : اختلاف اللفظين المتجانسين في حرفين متباعدين ، المصدر نفسه : 357/1.

5- المصدر نفسه ، 362/1.

6- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

7- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

8- ينظر: الزركشي ؛ البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 496/2.

9- القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، مصدر سابق ، 363/1.

3-**الموازنة** : أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى : ﴿ **نمارق مصفوفة و زرابي مبثوثة** ﴾[2].

4-**التطريز** : يقول فيه أبو هلال العسكري : « هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب »[3]. و من أنواعه التكرار الذي شكل ظاهرة لافتة في السورة حيث نجد :

- تكرار الجذر " لـ – ب – ث " في الآية (195) ﴿ **قال قائل منهم كم لبثتم، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم** ...﴾ ثلاث مرات.
- و مرتين في الآيتين (25، 26) ﴿ **و لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين و ازدادوا تسعا، قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾.
- و في الآيتين (35) ، (36) تتكرر عبارة بأكملها : قال تعالى على لسان صاحب الجنة : ﴿ **ما أظن أن تبيد هذه أبدا و ما أظن الساعة قائمة** ﴾.
- و في الآيتين(34) ،(37) تتكرر عبارة كاملة كذلك قال تعالى : ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحوره ... قال له صاحبه و هو يحاوره** ...﴾
- و في الآيات (35، 39، 40) يتكرر ذكر الجنة ثلاث مرات : ﴿ **و دخل جنته و هو ظالم لنفسه ... و لو لا إذ دخلت جنتك ... خيرا من جنتك** ﴾.

و في الآيتين (44، 46) يتكرر لفظ "خير" أربع مرات قال تعالى : ﴿ **خير ثواب و خير عقبا** ﴾، ﴿ **خير عند ربك ثوابا و خير أملا** ﴾.

و هو نوع من التصدير لورود اللفظ نفسه في أول الآية.

- و في الآيتين (29، 31) يتكرر لفظ "مرتفقا" فاصلة مرتين؛ قال تعالى : ﴿... **بئس الشراب و ساءت مرتفقا** ﴾، ﴿... **نعم الثواب و حسنت مرتفقا** ﴾.
- و في الآية (17) يتكرر لفظ "ذات" مرتين قال تعالى : ﴿... **تزاور عن كهفهم ذات اليمين و إذا غربت تقرضهم ذات الشمال** ...﴾ و هو تصدير كذلك لورود اللفظ المكرر في بداية الآية. و اللفظة نفسها ترد مكررة مرتين أيضا في الآية (18) قال تعالى : ﴿

1- ينظر : الزركشي ؛ البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 54/1.

2- القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، مصدر سابق ، 366/1.

3- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ت علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (1406هـ-1986م) ، 465.

و نقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال ...﴾ هذا كله فضلا عن الجذر " ق ول" الذي لم تخل منه قصة من قصص السورة.

و إذا كان التكرار نوعا من التطريز يسبغ على النص و شيا يزيد من بهائه و أنس موسيقاه فإن هذا لا ينفي عنه التأثير في المعنى ذلك أن التكرار مما يثبت المسموع و يصنع له مكانا في الذاكرة و الفكر معا لذلك كان من الوسائل التعليمية الناجعة، فتعاقب جملة "ما أظن" على السمع مرتين متتابعتين ليس بينهما كلمة سوى حرف الربط كفيل أن يوقف القارىء ليتساءل عن جدوى عقيدة بنيت على الظن في مقابل يقين المؤمن و اعتزازه بعقيدته كما يترجم ذلك ضمير الشأن و النفي في الآية التالية لها، قال تعالى : ﴿ **لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا** ﴾، و ما يحمله اللفظ "خير" من معاني الخيرية زيادة عن معنى التفضيل في صيغته و ارتباطه بالباقيات الصالحات و الثواب و الأمل يجعل القارىء يستعذب تكراره، و إننا لنسمع كثيرا من المقرئين يعمدون إلى تكرار العبارة أو الآية في مواضع العقاب أو الثواب دعوة ضمنية إلى الاعتبار.

و البحث في هذه المفاهيم هو في النهاية مقابلة المقاطع الصوتية بالأوزان الصرفية فإذا كان الاتفاق تاما صوتيا و صرفيا قيل إن المناسبة تامة و إذا كان في الصوت دون الصرف قيل إنها ناقصة و كذا الحال في مقابلة هذه المقاطع و الأوزان بالبنى التركيبية لما يترتب عن الأخيرة من تأثيرات صوتية[1].

و هذه جملة من الإيقاعات نحاول من خلالها رصد بعض الأنواع المذكورة :

الإيقاع الأول : (ذات اليمين – ذات الشمال) الآيتان (17)-(18)

1) البنية الصوتية :

– ذات اليمين :

ذا ← ت ← ال ← ي ← مي ← ن

ص.ح.ح ← ص.ح ← ح.ص ← ص.ح ← ص.ح.ح ← ص.ح

مقطع متوسط مفتوح ← قصير مفتوح ← قصير مغلق ← قصير مفتوح ← متوسط مفتوح ← قصير مفتوح

– ذات الشمال :

1– ينظر : عبد الملك مرتاض ، نظام تحليل الخطاب القرآني ، مرجع سابق ، 287.

ذا ← ت ← الشـ ← شـ ← ما ← ل

ص.ح.ح ← ص.ح ← ح.ص ← ص.ح ← ص.ح.ح ← ص.ح

مقطع متوسط مفتوح ← قصير مفتوح ← قصير مغلق ← قصير مفتوح ← متوسط مفتوح ← قصير مفتوح

2) البنية الصرفية :

الكلمة	وزنها
اليمين	الفعيل
الشمال	الفعال

3) البنية التركيبية :

ذات اليمين ← (ظرف) مضاف + مضاف إليه

ذات الشمال ← (ظرف) مضاف + مضاف إليه

كشف التحليل عن توافق تام في البنية الصوتية و التركيبية دون الصرفية و نلاحظ أن التوافق الصوتي ناجم عن التوافق التركيبي في علاقة الإضافة.

الإيقاع الثاني : ﴿ **لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا** ﴾ الآية (18).

1) البنية الصوتية :

- لوليت منهم فرارا :

لـ ← ول ← ليـ ← ت ← منـ ← هم ← فـ ← را ← را

ص.ح← ص.ح.ص← ص.ح.ص← ص.ح← ص.ح.ص← ص.ح.ص← ص.ح← ص.ح.ح← ص.ح.ص

مقطع قصير مفتوح ← متوسط مغلق ←متوسط مغلق ← قصير مفتوح ← متوسط مغلق ← متوسط مغلق← قصير مفتوح ← متوسط مفتوح ← متوسط مغلق.

- لملئت منهم رعبا :

لـ ← مل ← لئ ← ت ← منـ ← هم ← رعـ ← با

ص.ح← ص.ح.ص← ص.ح.ص← ص.ح← ص.ح.ص← ص.ح.ص← ص.ح.ص ← ص.ح.ص

مقطع قصير مفتوح ← متوسط مغلق ←متوسط مغلق ← قصير مفتوح ← متوسط مغلق ← متوسط مغلق← متوسط مغلق ← متوسط مغلق.

2) البنية الصرفية :

الكلمة	وزنها
لولّيت	لفعّلت
فرارا	فعالا

الكلمة	وزنها
لملّئت	لفعّلت
رعبا	فعلا

3) البنية التركيبية :

– لوليت منهم فرارا.

لـ + ولّيـ + ت + منهم + فرارا

حرف توكيد + فعل ماض + فاعل + شبه جملة + مفعول مطلق

– لملّئت منهم رعبا.

لـ + ملئ + ت + منهم + رعبا

حرف توكيد + فعل ماض مبني للمجهول + نائب فاعل + شبه جملة + تمييز نسبة

و نلاحظ من التحليل توافقا صوتيا تاما بين ﴿ **لوليت منهم** ﴾ و ﴿ **لملئت منهم** ﴾ وتوافقا نسبيا على مستوى التركيب في حين يغيب أي تقارب صرفي، و يمكن أن نتبين أن البناء التركيبي علة التوافق الصوتي لوجوب تأخير شبه الجملة كما تقضي القاعدة النحوية ولكون كل من الفاعل و نائبه في الفعلين ضميرا متصلا بدلا من الاسم الظاهر.

الإيقاع الثالث : ﴿ **فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** ﴾ الآية (29)

1) البنية الصوتية :

– فمن شاء فليؤمن.

فـ ← من ← شا ← ء ← فل ← يؤ ← من

ص.ح←ص.ح.ص ← ص.ح.ح ← ص.ح ← ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح.ص

– و من شاء فليكفر.

و ← من ← شا ← ء ← فل ← يك ← فر

ص.ح ←ص.ح.ص ← ص.ح.ح ← ص.ح ← ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح.ص

2) البنية الصرفية :

الكلمة	وزنها
شاء	فعل
يؤمن	يفعل

الكلمة	وزنها
شاء	فعل
يكفر	يفعل

3) البنية التركيبية :

– فمن شاء فليؤمن.

فـ + من + شـاء + فـ+ لـ + يؤمـن

حرف ربط+مبتدأ+فعل ماض و فاعله+حرف ربط+حرف جزم+فعل مضارع مجزوم و فاعله.

– و من شاء فليكفر.

و + من+ شـاء + فـ + لـ + يكفـر

حرف ربط +مبتدأ +فعل ماض و فاعله+حرف ربط+أداة جزم+فعل مضارع مجزوم وفاعله.

نلاحظ توافقا كليا بين الصوت و التركيب في التعبيرين، وواضح أن حرف الجزم في كل من الفعلين "يؤمن"، "يكفر" وراء توحيد المقطع الأخير في كل من التركيبين "من" : (ص.ح.ص) = "فر" : (ص.ح.ص).

الإيقاع الرابع : ﴿ **خير ثوابا و خير عقبا** ﴾ الآية (44).

1) البنية الصوتية :

– خير ثوابا.

خيـ ← ر ← ث ← وا ← با
ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح ← ص.ح.ح ← ص.ح.ص

- خير عقبا.

خيـ ← ر ← ع ← ق ← با
ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح ← ص.ح ← ص.ح.ص

2) البنية الصرفية :

الكلمة	وزنها
خير	فعل
ثوابا	فعالا

الكلمة	وزنها
خير	فعل
عقبا	فعلا

3) البنية التركيبية :

- خيـر ثوابا : خبر + تمييز اسم التفضيل
- خيـر عقبا : خبر + تمييز اسم التفضيل

و نلاحظ أن التوافق الكلي في التركيب يقابله توافق نسبي في الصوت حيث يكشف التحليل المقطعي عن تطابق بين كل المقاطع باستثناء المقطع ما قبل الأخير الذي كان في "ثوابا" متوسطا مفتوحا و في "عقبا" قصيرا مفتوحا و هو ناتج عن الفتحة الطويلة في لفظ "ثوابـا" و لعل لهذا الطول تعلقا ببعض معاني الثواب و هو طول المدة لأن ساكن الجنة مخلد فيها و كذا بكم الثواب لأنه لا يدخل تحت حصر لقوله صلى الله عليه و سلم في ما يرويّه عن ربه : « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر** »[1].

الإيقاع الخامس : ﴿ **بئس الشراب و ساءت مرتفقا** ﴾ الآية (29).

﴿ **نعم الثواب و حسنت مرتفقا** ﴾ الآية (31).

1) البنية الصوتية :

1- البخاري : صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ،ط3 ، (1407هـ-1987م) ، 1794/4.

– بئس الشراب و ساءت مرتفقا.

بئـــس←الشـ ← شـــ← را ← ب← و← سا ← ء ت ← مر ← ت ← ف ← قا

ص.ح.ص←ص.ح←ح.ص ← ص.ح ←ص.ح.ح←ص.ح←ص.ح←ص.ح.ح←

ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح ← ص.ح ← ص.ح.ص

– نعم الثواب و حسنت مرتفقا.

نعـــم←الثـ ← ث←وا ←ب ← و←حـ ←سـ← نت ← مر← ت ← ف ← قا

ص.ح.ص←ص.ح←ح.ص←ص.ح←ص.ح.ح←ص.ح.ح←ص.ح←ص.ح←ص.ح←

ص.ح.ص ← ص.ح.ص ← ص.ح ← ص.ح← ص.ح.ص

2) البنية الصرفية :

الكلمة	وزنها
الشراب	الفعال
ساءت	فعلت
مرتفقا	مفتعلا

الكلمة	وزنها
الثواب	الفعال
حسنت	فعلت
مرتفقا	مفتعلا

3) البنية التركيبية :

بئس + الشراب + و + ساءت + مرتفقا

فعل جامد لإنشاء الذم + فاعله + حرف ربط + فعل و فاعل مستتر + تمييز

نعم

+ الثواب+ و + حسنـت + مرتفقا

فعل جامد لإنشاء المدح + فاعله + حرف ربط + فعل و فاعل مستتر + تمييز

و نلاحظ التوافق الكلي صوتا و صرفا و تركيبا بين "الشراب" و "الثواب" أي أن المناسبة تامة، و لأن التوافق قائم في التركيب أيضا فإن الترصيع معنوي، و إننا إذا ما تأملنا الإيقاعات الثلاثة الأخيرة ﴿ **فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** ﴾، ﴿ **خير ثوابا و خير عقبا** ﴾، ﴿ **بئس الشراب و ساءت مرتفقا، نعم الثواب و حسنت مرتفقا** ﴾ و ما بين قرائنها من توافق تام على مستوى البنية التركيبية، ثم عدنا إلى ما يحمله كل إيقاع من تقابل في المعنى (يؤمن – يكفر)، (ثوابا – عقبا)، (بئس الشراب – نعم الثواب) ألفينا أن البنية التركيبية تؤازر المعنى المعجمي القائم على ثنائية الإيمان و الكفر و ما يستتبعه كل منهما من معاني الثواب

و العقاب و الإنذار و البشارة الذين جاء ذكرهما في بداية السورة ونهايتها، ووقفنا على حقيقة العقيدة القائمة على عدم الإكراه في الدين ؛ قال تعالى ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[1] ، ومفهوم المشيئة في قوله جل شأنه : ﴿ **فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** ﴾ و من ثم ساغت التسرية المتضمنة في الآية : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾ ، (الآية 29). و تحددت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ ﴿ **و ما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[2].

و لما كانت مقاطع الكلام و أواخره من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة و كانت فواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك[3] لم يكن بد من تناول المناسبة على مستوى الفاصلة ، و قد وجدنا ثراء موسيقيا كبيرا في هذا المستوى من التحليل حيث أعطى الاتفاق في الروي و الاختلاف في الوزن ما يعرف بالتطريف بين الفواصل :

- (أمدًا (12) – هدى (13))
- (أبدًا (20) – مسجدًا (21))
- (مسجدًا (21) – أحدًا (22))
- (أحدًا (22) – غدًا (23))
- (غدًا (23) – رشدًا (24))
- (أحدًا (26) – ملتحدًا (27))
- (أحدًا (47) – موعدًا (48))
- (موعدًا (48) – أحدًا (49))
- (حقبًا (60) – سربًا (61))

أما الاتفاق بين الوزن و التقفية فقد وصل بالتوازي إلى أكثر من إحدى وعشرين حالة في الفواصل الآتية :

- (أبدًا (3) – ولدًا (4))
- (عددًا (11) – أمدًا (12))
- (أحدًا (19) – أبدًا (20))
- (نهرًا (33) – نذرًا (34))
- (أحدًا (38) – ولدًا (39))
- (خيرًا (68) – أمرًا (69))
- (أمرًا (69) – ذكرًا (70))
- (ذكرًا (70) – إمرًا (71))
- (إمرًا (71) – صبرًا (72))
- (صبرًا (72) – عسرًا (73))

1 سورة البقرة، : الآية 256 .

2 سورة النور : الآية 54 .

3 ينظر : الزركشي ؛ البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 78/1.

- (نصبًا (62) – عجبًا (63))
- (صبرًا (67) – خبرًا (68))
- (صبرًا (75) – عذرًا (76))
- (عذرًا (76) – أجرًا (77))
- (أجرًا (77) – صبرًا (78))
- (صبرًا (78) – ذكرًا (83))
- (عسرًا (73) – نكرًا (74))
- (نكرًا (74) – صبرًا (75))
- (سببًا (85) – سببًا (86))
- (نكرًا (87) – يسرًا (88))
- (سترًا (90) – خيرًا (91))

و من الترصيع قوله تعالى : ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم** ﴾ الآية (22) حيث يتفق كل من لفظي "رابعهم"، "سادسهم" مع لفظ "ثامنهم" وزنا و تقفية؛ و الذي دعا إلى هذا الاعتبار هو وجود علامة الوقف بعد لفظ "الغيب" مما يسمح بتقسيم الفقرة إلى قرينتين.

أما الموازنة فلكثرتها نمثل لها بالنموذجين الآتيين :

- ﴿ **قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا(2) ماكثين فيها أبدا** ﴾ (3).
- ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا (9) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيىء لنا من أمرنا رشدا (10)** ﴾.

و الفاصلتان في القرينة الأولى و الثانية في كلا المثالين متفقتان وزنا مختلفتان قافية.

و قد لاحظنا أن للموازنة أهمية دقيقة لأن الاتفاق في الوزن ضبط الإيقاع في حين كان الاختلاف في الروي – في كثير من المواضع – معْلَمًا على نهاية الحديث في موضوع و بدايته في آخر، فقد أشار الانتقال من روي الزاي في الفاصلة الثامنة (جرزا) إلى روي الباء في الفاصلة التاسعة (عجبا) إلى الانتقال من الحديث عن مصير الدنيا إلى الحديث عن أصحاب الكهف، و كان في الانتقال من روي القاف في الفاصلة الحادية و الثلاثين (مرتفقا) إلى روي العين في الفاصلة الثانية و الثلاثين (زرعا) دليلا على تغيير السياق من التعقيب على قصة أهل الكهف إلى بداية الحديث عن قصة صاحب الجنتين، و كان روي الباء في الفاصلة الرابعة والأربعين (عقبا) معلم النهاية في قصة صاحب الجنتين و الراء في الفاصلة التالية لها (مقتدرا) معلم البداية لمثل الحياة الدنيا وفنائها، و الشأن نفسه نجده في :

- الفاصلتين (49–50) (أحدا – بدلا) : فالأولى هي الفاصلة الأخيرة في مثل الحياة الدنيا والثانية هي الفاصلة الأولى في قصة السجود.
- الفاصلتين (59 – 60) (موعدا – حقبا) : و الأولى هي آخر فواصل قصة السجود والثانية هي أولى فواصل قصة موسى عليه السلام.
- الفاصلتين (98 – 99) (حقا – جمعا) و الأولى هي آخر فواصل قصة ذي القرنين والثانية أولى فواصل خاتمة السورة المتضمنة الحديث عن يوم القيامة و ما فيه من أهوال.

و شذت عن هذا النظام الفاصلتان "صبرا" (82) آخر فواصل قصة موسى عليه السلام ، و "ذكرا" (83) أولى فواصل قصة ذي القرنين و كأن حرف الراء رويا كان ضروريا لكلتا القصتين لما بينهما من شبه كون الأولى رحلة لنبي و الثانية رحلة أو رحلات لعبد ممكن في الأرض ، و حركية الزمن في الرحلة لا تبين عنها إلا صفة التكرار التي يتفرد بها صوت الراء.

و لا نغادر هذا الموضع من البحث دون أن نشير إلى علاقة الموسيقى الداخلية بالموسيقى الخارجية من خلال ما وقفنا عليه من زخم كبير في الجانب البديعي و ماله من صلة وطيدة بالتكرار إذ ليس الجناس أو السجع – مثلا – إلا صورة من صور التكرار إن بين لفظين أو بين عبارتين و ما لكل ذلك من انعكاس على المعنى بما يؤكد فكرة التآزر في تشكيل المعنى بين جميع عناصر اللغة لا على المستوى الدلالي العام فحسب بل داخل المستوى الواحد و هو هنا الصوت.

المبحـث الرابـع

الفونيمات فوق المقطعية

يتناول هذا المبحث مفهومي التنوين و التبديل بوصفهما ظاهرتين صوتيتين على صلة وثيقة بالمعنى.

أولا – التنوين : من الظواهر الصوتية التي تميز اللغة العربية؛ يعرفه اللغويون بأنه « إلحاق نون ساكنة زائدة آخر الاسم لفظا لا كتابة »[1] ، و هو من علامات الاسم ؛ قال ابن مالك :

" بالجر و التنوين و الندا و "ال" و مسند للاسم تمييز حصل

و هو أربعة أقسام[2] :

1–**تنوين التمكين :** هو اللاحق للأسماء المعربة كـ "زيد" و "رجل".

2–**تنوين التنكير :** هو اللاحق للأسماء المبنية فرقا بين معرفتها و نكرتها كسيبويه وسيبويه آخر.

3–**تنوين المقابلة :** هو تنوين جمع المؤنث السالم لأنه في مقابل النون في جمع المذكر السالم.

4–**تنوين العوض :** و يكون :

أ– عوضا عن جملة : و هو اللاحق لـ "إذ" عوضا عن جملة تكون بعدها.

ب– عوضا عن اسم : هو اللاحق للفظ "كل" عوضا عما تضاف إليه ، نحو "كل قائم" أي كل إنسان قائم

جـ) عوضا عن حرف : هو اللاحق بجوارٍ و غواشٍ و نحوهما رفعًا و جرًا.

و قد وجدنا من هذه الأنواع في النص :

1– **تنوين التمكين :** عمّ كثيرا من فواصل السورة نمثل له بلفظ "ولدا" من الآية الرابعة : ﴿ **قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ و لفظ "رجلا" من الآية السابعة والثلاثين ﴿ ... **ثم سواك رجـــلا** ﴾.

2– **تنوين العوض** : في قوله تعالى : ﴿ **و تركنا بعضهم يومئـ يـــن ي جـــ** ﴾ (الآية 99) ، و هو عوض عن جملة والتقدير « يوم إذ تم بناء السد »[3] ، وفي قوله تعالى : ﴿ **و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ (الآية 100) ، أي يوم ينفخ في الصور.

و وجه تعلق التنوين بالمعنى في مثل هذه الآيات هو :

1– محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط2، 1986م، 233.

2– ابن عقيل : شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ط 16 ، (1394هـ–1974م) ، 17 ، 18 ، 19 .

3– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 40/16.

- كون التنوين من مخصوصات الاسم و من ثم الاستعاضة عن الفعل بالاسم في كل هذه المواضع و لا يخفى ما في التعبير بالاسم من دلالة على تعلق الفكر بالذات الفاعلة أو المفعول بها بدل الحدث.
- الإختزال اللغوي الذي يحققه التنوين و خاصة تنوين العوض فهو يعوض ما أريد له أن لا يظهر حرفا كان أم اسما أم جملة و هذا ما هو ماثل في لفظ "يومئذ" الذي اختصر جملتين هما "تم بناء السد"، "ينفخ في الصور".
- و يمكن أن يضاف إلى علاقة التنوين بالمعنى دلالته على التهويل و التفخيم في مثل لفظ "نارا" من قوله تعالى : ﴿ **إنا اعتدنا للظالمين نارا** ﴾ الآية (29)، لأن التهويل و التفخيم دل عليهما التنكير[1] و التنكير يلزمه التنوين حيث لا يجتمع التنوين و التعريف. و هو أمر نجده كذلك في لفظ "جمعا" من قوله تعالى : ﴿ **و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا** ﴾ الآية (99)، و لفظ "عرضا" من الآية الموالية لها ﴿ **و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾.

ثانيا – التبديل : نقصد بالتبديل تغيير حرف مكان آخر أو حركة مكان أختها أو تضعيف غير مضعف أو تسكين متحرك أو تحريك ساكن، و في النص منه أنواع منها ما له صلة بالمعنى و منها ما يقف تأثيره عند حدود الصوت ، وسنقصر الكلام على النوع الأول لصلته بمجال الدراسة و نذكر منه.

أ- **لملئت / لملّئت :** من قوله تعالى : ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا** ﴾ الآية (19) ؛ قرأ نافع و ابن كثير " لملّئت " بالتشديد على المبالغة في الملء وقرأ الباقون بتخفيف اللام على الأصل[2] ؛ و معلوم أن تضعيف الصحيح يفيد من نحو إلى "فعّل" من معانيه المبالغة و التكثير، و في التعبير بـ "ملّئت" عوضا عن "ملئت" دلالة على شدة الفزع و الرعب الذي ينتاب المطلع على الفتية.

ب- **ثمر / ثمر / ثمر :** من قوله تعالى ﴿ **و كان له ثمر** ﴾ ، ﴿ **و أحيط بثمره** ﴾ (الآيتان 34 ، 42). قرأ الجمهور "ثمر" و قرأ أبو عامر و يعقوب "ثمر" و قرأ عاصم "ثمر" قالوا إنه جمع "ثمار" الذي هو جمع "ثمر" فيكون دالا على أنواع كثيرة مما تنتج المكاسب و قد قال الحجاج : << لو سمعت أحدا يقرأ ثمر لقطعت لسانه >> إلا أن الأعمش لم يعتد بذلك ،

1- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 308/15.

2- المصدر السابق : 283/15.

والمعنى كان لصاحب الجنتين مال غير الجنتين[1] و التغير في المعنى بين اللفظين كمي إذ إنه ينقل اللفظ من حال الإفراد في "ثمر" إلى حال الجمع في "ثمر" أو "ثمر".

جـ- **قبلا / قبلا :** من قوله عز ذكره : ﴿ **و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى و يستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا** ﴾ الآية (55)، قرأ الجمهور قبلا على أنها حال من العذاب و هي بمعنى المقابل الظاهر، و قرأ حمزة و الكسائي و عاصم و أبو جعفر و خلف "قبلا" جمع قبيل أي << يأتيهم العذاب أنواعا >>[2] و الفرق بين اللفظين يجعل للعذاب أنواعا في قراءة "قبلا"، و نوعا واحدا في قراءة "قبلا" إلا أن المقصود من العذاب و هو التخويف أو التحذير قائم في كلتا القراءتين؛ فهو في الأولى بكونه ظاهرا مقابلا و لا شك أن في المشاهدة مزيد تخويف، و في الثانية بكونه أنواعا و ألوانا إذا لم يخف نوع أخاف آخر، أي أن التخويف كان في الأولى بالكيف و في الثانية بالكم و من ثم فإن القراءتين أفادتا التنويع.

د- **مهلكهم / مهلكهم / مهلكهم :** من الآية (59) : ﴿ **و تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا و جعلنا لمهلكهم موعدا** ﴾؛ مهلك مصدر ميمي من "أهلك" أي << جعلنا لإهلاكهم وقتا معينا >>[3] بهذا قرأ الجمهور "مهلك" : اسم زمان على وزن مفعل به ، قرأ حفص عن عاصم "مهلك" : مصدر ميمي من الفعل "هلك" به قرأ أبو بكر عن [4]

في الصوائت القصيرة بين "مهلك" و "مهلك" نقل الفعل من التعدية إلى اللزوم فهل أهل القرى هلكوا أم أهلكوا ؟ و هل يجوز الأمران معا؟ هذا ما تحيلنا عليه القراءتان، ولأن المسألة كلامية فلسفية من حيث تعلقها بمسؤولية الإنسان عن أفعاله و هل هو مسير أو مخير و ما إلى ذلك مما قال به المتكلمون فإننا نقف عند ظاهر اللفظ الذي يعني أن أهل القرى هلكوا لأنهم انتهكوا حدود الله و أن الله أهلكهم لفعالهم تلك.

هـ- **لتغرق / ليغرق :** من قوله تعالى : ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها** ﴾ الآية (71). قرأ الجمهور "لتغرق" على الخطاب و قرأ حمزة و الكسائي و خلف "ليغرق" بإسناد الفعل لـ : أهلها[5] ، والتبديل في هذا

1- المصدر نفسه : 319/15.

2- المصدر نفسه : 352/15.

3- المصدر نفسه، : 358/15.

4- المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

5- المصدر نفسه : 375/15.

اللفظ وقع بين صامتين هما التاء و الياء و به نقل إسناد الفعل من العبد الصالح إلى راكبي السفينة و به كذلك انتقل الفعل من اللزوم في "يغرق" إلى التعدية في "تغرق".

و- **يبدّ لهما / يبد لهما** : من قوله تعالى : ﴿ **فأردنا أن يبد لهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما** ﴾ الآية (81)؛ قرأ الجمهور " يبد لهما " من التبديل و قرأ ابن كثير و ابن عامر وعاصم و حمزة و الكسائي و خلف " يبد لهما " من الإبدال[1].

ر- **حمئة / حامية** : من قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس و جدها تغرب في عين حمئة و وجد عندها قوما ...** ﴾ الآية (86)؛ "حمئة" مشتقة من الحمأة و هي الطين الأسود أي عين مختلط ماؤها بالحمأة فهو غير صاف و هي قراءة نافع و ابن كثير وأبي عمر وحفص ، "حامية" بمعنى حارة من الحمو و هو الحرارة أي ماؤها ساخن وبها قرأ ابن عامر و حمزة والكسائي و أبو بكر عن عاصم، و أبو جعفر و خلف[2] ، والتبديل في هذه القراءة وقع بين الفتحة القصيرة بعد الحاء و الفتحة الطويلة التي حلت محلها و كذا بين الهمزة و الياء، أي أن التبديل شمل الصوائت (القصيرة والطويلة) والصوامت و هو أمر غّير المعنى و نقله من الحمأة إلى الحمو، و قد أوحت القراءة الأولى لصاحب التحرير و التنوير إلى اعتبار العين المذكورة عين نفط من العيون الواقعة على ساحل بحر الخرز حيث مدينة "ياكو" التي يسميها المسلمون البلاد المنتنة[3].

الفصـل الثانـي

المستوى الصرفي

1- المصدر نفسه : 14/16.

2- المصدر نفسه : 16/ 25 ، 26.

3- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

المبحث الأول : الاسم و اشتقاقاته

المبحث الثاني : الفعل و أبنيتـه

تعرف القواميس و كتب اللغة الصرف من الوجهة اللغوية بأنه << التغيير و منه تصريف الرياح أي تحويلها من وجه إلى وجه ، و تصريف الآيات تنبنها >>[1].

أما من الوجهة الاصطلاحية لأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها >>[2] ، و باقي ر << علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية

[1]– الفيروز أبادي: القاموس المحيط ؛ مصدر سابق ، ص.ر.ف ، و أحمد الحملاوي ، شذى العرف في فن الصرف ، تح: مصطفى أحمد عبد العليم ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع الرياض ، ط1 ، (1422هـ–2001م) ، 9.

[2]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

الكلمة التي ليست بإعراب و لا بناء، و يختص بالأسماء المتمكنة و الأفعال المتصرفة>>[1] و << مادة هذا العلم هي الوحدات الصرفية ، أي المورفيمات سواء كانت حرة أم مقيدة >>[2].

أما علة تناولنا الدلالة الصرفية في هذا الموضع من الدراسة فلا تعدو الارتقاء من المستوى الأدنى للغة (الصوت) إلى المستوى الموالي (الكلمة) توطئة للمستوى الأعلى (التركيب) و بالرغم من اقتصار الصرف على الفعل المتصرف والاسم المتمكن فإنه مجال واسع << يكاد يشمل النحو لولا اختصاص النحو أساسا بالتغيير الذي يلحق أواخر الكلمات>>[3]

و يشمل الصرف ثلاثة أنواع من التغيير هي :

- تغيير صوتي بحت : يتعلق بتعامل الأصوات و منه الإعلال و الإبدال.
- تغيير صرفي بحت : يتعلق أساسا بالاشتقاق (اشتقاق الاسم و تصريف الفعل).
- تغيير صوتي صرفي : يتناول تأثير التغيير الصوتي في بنية الصيغة صرفيا[4].

و الذي يعنينا في هذه الدراسة هو النوع الثاني المتعلق بالتصريف و الاشتقاق لأنه الوحيد الذي له صلة بالمعنى بؤرة الدراسات الدلالية كلها ، و تأسيسا على أن موضوع هذا النوع هو الاسم المتمكن و الفعل المتصرف فقد جاء الفصل في مبحثين ؛ تناول الأول الاسم و متعلقاته المختلفة ؛ من تعريف و تنكير ، و إفراد و تثنية و جمع ، و اشتقاق و ما يدخل تحت هذه الصيغ من معان ، فيما قصرت الثاني على الفعل و زمانه انطلاقا من صيغه المختلفة و ما تضمنته من دلالات أمكن الوقوف عليها.

المبحث الأول : الاسم

نعني في هذا المبحث بالاسم من حيث هو أول أقسام علم الصرف و نتناوله من ثلاثة جوانب هي : التنكير و التعريف ، و العدد ، و الاشتقاق و كلها على صلة وطيدة بالمعنى.

أولا : التنكير و التعريف :

***I*-التنكير** : يقصد بالنكرة ما شاع في جنس ؛ موجود أو مقدر، و محلها التقديم لأنها الأصل[1].

---

[1]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[2]– زبيدة بن السبع : سورة الرحمن دراسة دلالية، رسالة ماجيستر ، جامعة باتنة، الجزائر ، 137.

[3]– الطيب البكوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، مرجع سابق ، 18.

[4]– المرجع نفسه : 20.

و قد كان للتعبير بالنكرة في النص معان أهمها :

1- التهويل : منه قوله – تعالى – : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا** ﴾ الآية 29، و قوله : ﴿ **فجمعناهم جمعا و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ الآية 100. لأن التنوين في : "نارا"، "جمعا" ، "عرضا" للتهويل و التعظيم[2] ، و الذي يمكن أن نضيفه في هذا المنحى هو أن التنكير فرض نفسه لأنه لا سبيل لتعريف هذه الألفاظ لكونها متعلقة بالآخرة ، و الآخرة غيب غير معروف ، فهذه الألفاظ ليس لها نظائر في الدنيا، فلو أخذنا لفظ "نارا" مثلا وجدنا أن تعريفه بالعهد غير ممكن لأنه لا عهد للناس بالنار المقصودة ، و ليست من جنس نار الدنيا فيكون التعريف فيها بالجنس ، و لا هي علم متعارف عليه بحيث يمكن تعريفها من طريق العلمية ، وإنما هي نار لا نظير لها ، و التعبير بها نكرة كقولنا "نار أي نار ?!" و ما قيل في هذا اللفظ يقال في اللفظين الآخرين.

2- التهويل و الشمولية : نجده في قوله – تعالى – : ﴿ **لينذر بأسا شديدا من لدنه** ﴾ الآية 2 ، وقد اختلف في المقصود أهو بأس الدنيا أم بأس الآخرة أم الاثنان معا ، و الذي يظهر لنا أن صيغة النكرة فضلا عما فيها من تهويل و تعظيم تفتح اللفظ على القراءات الثلاث بما لا تتيحه صيغ التعريف المختلفة.

3- التشويق : في قوله – تعالى – : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب و يلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق** ...﴾ الآية 31. إذ إن << تنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن >>[3] ، و حال المسلمين في هذه الآية كحال الموعود بهدية فإن شوقه إليها يزداد كلما لفها الغموض أما إن هي عرفت فإن الشوق إليها يزول. و قد اعتضد معنى التكثير بمعنى الجمع الدال على الكثرة و التنوع في تقوية الشوق و التلهف.

4- التأكيد و الشمولية : في قوله – تعالى – حكاية عن العبد الصالح : ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآية 67 ، ﴿ **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآية 72 ، ﴿ **ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآية 78.

و قد جاء لفظ الصبر نكرة مسبوقا بنفي في الآيات الأربع فكان أبلغ في التأكيد على انعدام صبر موسى عليه السلام لأن التعريف يعني تحديد نوع من أنواع الصبر ، أما التنكير

---

[1]– ينظر: ابن هشام ؛ قطر الندى و بل الصدى ، المتكتبة التجارية الكبرى و مطبعة السعادة ، مصر ، ط11 ، 1963م ، ص 93 و تمام حسان ، الأصول ، عالم الكتب ، القاهرة ، (1420هـ–2000م) ، ص 120.

[2]– اينظر : الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 380/15 و 42/16.

[3]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 389/2 و النيسابوري ، غرائب القرآن ، مصدر سابق ، 130/15.

ففيه الشمولية أي أنه لن يستطيع أي نوع من أنواع الصبر أو درجة من درجاته (مع العبد الصالح) ، ذلك أن الذي شاهده من أفعال العبد الصالح ظاهره منكر و الأنبياء مكلفون بتغيير المنكر.

5- الوصف : في قوله – تعالى – : ﴿ **و عرضوا على ربك صفا** ﴾ الآية 48. حيث أفاد لفظ "صفا" وصف الهيئة التي يعرض عليها المشركون يوم القيامة و هي حالة الاصطفاف << يقفون واحدا حذو واحد بحيث يبدو جميعهم لا يحجب أحد منهم أحدا ... و هو إيذان بأنهم أحضروا بحال الجناة ... إيقاعا للرعب في قلوبهم >>[1]. و في الوظيفة الإعرابية الحالية للفظ "صفا" دليل على أنه للتعبير عن الهيئة لأن الحال وصف نكرة يبين هيئة صاحبه وقت حدوث الفعل.

II-التعريف : عدد المعارف ستة هي : الضمير و العلم و اسم الإشارة و الاسم الموصول و ذو الأداة و المضاف إلى واحد من هذه الأصناف.

1- الضمير : اعتبر القدماء الضمير أعرف المعارف و خصوه بالصدارة في المباحث الاسمية[2] و أفرد له المتأخرون فصولا أثناء كلامهم عن موضوع التماسك النصي و أدواته حيث تجسد فيه مفهوم الإحالة بأنواعها (قبلية، بعدية، داخلية، خارجية) ، و مفهوم الربط الذي اعتبروه الوظيفة النصية الأولى للضمير[3].

و إنما كانت للضمير هذه الأهمية لأنه اسم والاسم محل الإسناد الذي يعتبر جوهر الفعل الكلامي كله ، كما أنه يمكن من الاقتصاد في اللغة بتلافي ـرـ

و نكتفي في الحديث عن الضمائر المتصلة بالإشارة إلى كثرتها و تنوعها و بخاصة ضمائر الغيبة و الخطاب اللذين أملتهما الطبيعة القصصية ، و نخص بالمناقشة الضمائر العائدة على الذات الإلهية و على الرسول – صلى الله عليه و سلم – دون سواها.

1- الضمائر العائدة على الذات الإلهية : بلغ عددها اثنين و ثمانين ضميرا منها ثلاثون ضميرا بصفة الإفراد ممثلا في ضميري التكلم و الغيبة ، و اثنان و خمسون بصفة الجمع ممثلا في نون العظمة.

---

[1]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير، مصدر سابق 336/15.

[2]- ينظر : ابن هشام ، قطر الندى وبل الصدى ، مصدر سابق ، 94.

[3]- ينظر : إبراهيم صبحي الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، مرجع سابق ، 13/1 ، 14.

و إذا كان من مألوف التعبير القرآني استعمال الضمائر الثلاثة المذكورة في كلام الله – تعالى – عن نفسه[1] فإن استقراء الاستعمالات المتقدمة يقود إلى أن استعمال الضمير "نحن" العائد على الله – تعالى – من أهم دلالاته التعبير عن العظمة و التفخيم ، و لذلك – فيما نرى – علاقة خفية تتصل بما حوته السورة من أخبار غيبية كانت مناط اختلاف بين الناس على مر عصور كثيرة لم يستطيعوا فيها القطع بصحتها لدرجة اتخاذها وسيلة لتعجيز النبي – صلى الله عليه و سلم – و امتحانه، فكان مناسبا لها أن يتحدث الله عن نفسه – وقد فصل فيها بعلمه الواسع الذي ألهمه بعضا من خلقه كالرسل و الصالحين – بضمير العظمة و هو أهله.

أما ضمير الغيبة فإننا نرى أنه أشرب معنى التعظيم بمجرد تعبيره عن الله الذي لا ينعت بالغياب كيف و هو ﴿ **الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة و لا نوم** ﴾ ، و نرى أنه يشترك مع الضمير "أنا" في التعبير عن الوحدانية و التفرد اللذين يختص بهما الله – جل جلاله – ، و لذلك فإن الإفراد فيهما دليل تعظيم و تفخيم أيضا.

2- الضمائر العائدة على الرسول – صلى الله عليه و سلم : و بلغ عددها نحو خمسة وأربعين ضميرا ، منها ثمانية و ثلاثون ضمير مخاطب ، و الرسول – صلى الله عليه و سلم – هو المخاطب الأول بالقرآن الكريم و من خلاله بقية الناس و من ذلك يستمد ضمير الخطاب تكثيفه ، و سبع ضمائر للمتكلم تضمنت معنى التشريف في إضافتها إلى الله في مثل "ربي" و معنى التخصيص في مثل قوله ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ... ﴾.

أما الضمائر المنفصلة فهي ثلاثة أنواع :

أ- ضمائر الرفع : ورد ضمير المتكلمين "نحن" مرة واحدة في قوله – ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** ﴾ و فيه معنى التعظيم الذي سبق الكلام عنه ، و التدليل على أن ما يقصه الله هو الخبر اليقين فلا التفات لما يتداولونه من ظنون ، و ضمير المتكلم المفرد ثلاث مرات ؛ الأولى في قول صاحب الجنتين ﴿ **أنا أكثر منك مالا و ولدا** ﴾ و عبر عن تكبره وإزدهائه بنفسه ، و الثانية في قول صاحبه : ﴿ **إن ترن أنا أقل منك مالا و ولدا** ﴾ و أفاد تواضعه و إيمانه عكس الأولى ، و الثالثة في قوله – تعالى – : ﴿ **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**﴾ و يعود على الرسول – صلى الله عليه و سلم – ليعبر عن حقيقة الرسول الذي لا يختلف عن الناس في خلقه أو طبيعته ، و لكن في اصطفائه و تكليفه.

---

[1]– ينظر: محمود أحمد نحلة ، لغة القرآن في جزء عم ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1981م ، 409.

أما بقية الضمائر و عددها عشرة فكلها تعبر عن الغائب مفردا كان أم جماعة ، ولذلك اتصال بخصوصية السورة من حيث كونها تتناول جانبا من الحياة الماضية أو الغيبية.

ب- ضمائر النصب : غائبة تماما في النص.

جـ- ضمير الشأن : في قوله – تعالى – حكاية عن الرجل المؤمن في قصة صاحب الجنتين: ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ الآية 38، و الأصل في الضمير أن يعود على متقدم لكن ضمير الشأن يشكل استثناء هذه القاعدة لذلك حظي باهتمام كبير لدى القدماء الذين اشتقوا تسميته من وظيفته لأنه يستعمل في مواضع التفخيم و التعظيم[1]، و المحدثين الذين يعتبرونه على قدر كبير من الأهمية في تحقيق التماسك النصي لأنه يمثل الإحالة البعدية[2].

و لم يخرج ضمير الشأن في هذه الآية عن المعنيين المذكورين، لأنه استعمل في أهم موضوع في الحياة ذلك أن الجدال بين الرجلين كان في شأن العقيدة و الإيمان بالله وبالبعث ، كما أنه أسهم في تحقيق الربط لأنه أحال على لفظ الله المتأخر عليه ، و ذكره قبل لفظ الجلالة توطئة و تحضير للنفس كي تتلقاه بكثير من العناية و الاهتمام.

2) العلم : هو << الاسم الذي يعين مسماه مطلقا أي بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة>>[3].

و من الأعلام التي كان لتكثيفها دور في شحن الدلالة العامة للنص لفظ الجلالة "الله" الذي أضفى بحضوره الدائم عبر كامل مساحة النص شعورا مستمرا بهيبة الله و جلال سلطانه الذي لف الوجود من لدن خلق آدم و قصة السجود إلى النفخ في الصور و حشر الخلائق بين يديه ، أما بقية الأعلام فقد ارتبطت مجموعة منها كل بالقصة التي ورد فيها : كلفظ آدم و إبليس في قصة السجود، و لفظ موسى عليه السلام في قصة موسى مع العبد الصالح ، و لفظ ذي القرنين و ياجوج و ماجوج في قصة ذي القرنين ، و ارتبطت مجموعة أخرى بمفهوم الجزاء بشقيه و هذه الألفاظ هي (عدن، الفردوس، جهنم).

و هو استعمال ليس فيه خصوصية باستثناء ثنائية الخير و الشر ، أو الإيمان والكفر التي تظهر في مقابلة لفظ آدم عليه السلام بلفظ إبليس أو الشيطان ، و مقابلة الملك الصالح ذي القرنين بياجوج و ماجوج مصدر الشر و الخراب ، و كذا في مقابلة جزاء المسلمين ، وعدن

---

[1]- ينظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب، بيروت و مكتبة المتنبي ، القاهرة، د،ت ص 114/3.

[2]- ينظر : إبراهيم صبحي الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، مرجع سابق: 40/1.

[3]- ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مصدر سابق 118/1.

و الفردوس بجزاء الكافرين جهنم. فيظهر بذلك كيف أسهمت هذه الأعلام في إبراز ثنائية الخير و الشر ، و الإيمان و الكفر، و هما في صراع دائم منذ خلق آدم عليه السلام وقد أبانت نهايات قصص السورة و أمثالها أن الغلبة الحقيقية للطرف المؤمن.

3) اسم الإشارة : اسم الإشارة هو << ما وضع ليدل على مسمى محسوس مشار إليه، فإن استعمل في غير المحسوس كان استعمالا مجازيا تنزيلا للمعقول منزلة المحسوس >>[1].

تواترت أسماء الإشارة في النص اثنتين و عشرين مرة ؛ منها ما كان لمحض الإشارة كما في قوله – تعالى – : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة** ﴾ الآية 19، وقول صاحب الجنتين ﴿ **ما أظن أن تبيد هذه أبدا** ﴾ الآية 35 ، إشارة إلى الجنة التي هو فيها.

و منها ما يشير إلى حاضر في الذهن كقوله – تعالى – : ﴿ **إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾ الآية 6 ، إشارة إلى القرآن و هو حاضر في أذهان المتلقين ، و قوله ﴿ **تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ الآية 59 و الإشارة إلى الأمم البائدة ؛ و << العرب يعرفون ديار عاد و ثمود و مدين، و يسمعون بقوم لوط و قوم فرعون، فكانت كالحاضر حين الإشارة >>[2] ، و قول العبد الصالح : ﴿ **هذا فراق بيني و بينك** ﴾ الآية 78 و الإشارة إلى ما أبداه موسى عليه السلام من اعتراض أخير على العبد الصالح عند إقامته الجدار وهو حاضر في ذهن كليهما.

و منها ما تضمن معاني زائدة عن مدلول الإشارة نذكر منها :

أ– التعبير عن البعد المعنوي بالبعد الحسي : تحقق هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ الآية 44 ، حيث استعيرت إشارة المكان البعيد إلى الحالة العجيبة ، ووجه الشبه بين بعد المكان و غرابة الحالة ندرة وقوعها[3] و قد أدى لام البعد في اسم الإشارة دورا أساسيا في إبراز الحالة النفسية التي كان عليها صاحب الجنتين بعد أن حلت الكارثة بجنتيه حيث كان في استعمال اللام تعبير عن الأسف و الحسرة الذين تضمنهما أسلوب التمني قبله في قوله : ﴿ **يا لبتني لم أشرك بربي أحدا** ﴾ لأن التمني يتعلق بما يبعد أو يستحيل تحققه و قد اعتضد في أداء معنى البعد لام البعد و حرف الياء في أسلوب النداء حيث يعبر عن نداء البعيد في مقابل الهمزة المختصة بنداء القريب.

---

[1]– علي توفيق الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، ليبيا، ودار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط1، 1992، 162.

[2]– الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير ، مصدر سابق، 358/15.

[3]– ينظر : المصدر السابق ، 329/15.

و قول موسى لفتاه : ﴿ **ذلك ما كنا نبغ** ﴾ الآية 64 ، إشارة إلى فقد الحوت حيث كان هذا الحدث غاية يتطلع إليها موسى – عليه السلام – منذ عزمه على السفر و في هذه اللام إشارة إلى أهمية الغاية التي ما كانت لتثنيه عنها أحقاب من السير.

ب– التمييز : نجد ذلك في قول الفتية : ﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ...**﴾ الآية15، << الإشارة بهؤلاء لتمييزهم بما سيخبر به عنهم و فيها تعريض بالتعجب من حالهم و تفظيع صنعهم >>[1] ، فكأن الفتية حينما أشاروا إلى قومهم بقولهم "هؤلاء" يقصدون إلى تمييزهم بغية الفصل بين المعتقدين و إبطال عقيدة القوم بإفحامهم بقولهم ﴿ **لو لا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ ، و إذ لم يأتوا بالسلطان تبين فساد عقيدتهم فوجب تمييزهم لئلا يختلطوا بهم.

وفي قوله – تعالى – : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه ...**﴾ الآية 105، << اسم الإشارة لتمييز الكفار أكمل تمييز لئلا يلتبسوا بغيرهم >> [2] على نحو قوله تعالى ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾، و قد سبق هذه الآية قوله – تعالى – : ﴿ **قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا** ﴾ الآية 103، فكان في اسم الإشارة تحديد للأخسرين أعمالا و تعيينهم بأنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ... ذلك أن التعبير باسم التفضيل يعني وجود تفاوت في الوصف بالخسارة ، لأن قابلية التفاضل أو التفاوت شرط في صياغة اسم التفضيل ، والتعبير "فلان خاسر" لا يستلزم وجود أكثر من واحد موصوف بالخسارة أما "فلان الأخسر" ففرض وجود أكثر من واحد متصف بالخسارة ، و من هنا تجيء أهمية التمييز و بلاغة الوصف باستعمال اسم التفضيل ثم اسم الإشارة الذي يضع الكفار في أقصى غاية للخسارة ثم يشير إليهم لتنحصر صفة الخسارة فيهم دون غيرهم.

جـ– التنبيه إلى أهمية المشار إليه : يظهر في الآية 105 كذلك حيث << يحمل اسم الإشارة دلالة التنبيه على أن المشار إليهم أحرياء بما بعد اسم الإشارة من حكم بسبب ما أجري عليهم من الأوصاف >>[3] تماما كما في الآية (31) : ﴿ **أولئك لهم جنات عدن ..**﴾ حيث نبه اسم الإشارة إلى أن المشار إليهم أحرياء بما بعد اسم الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبله[4].

د– تيسير الانتقال من كلام لآخر : قال – تعالى – : ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، كذلك و قد أحطنا بما لديه خبرا ...**﴾

---

[1]– المصدر نفسه : 274/15.

[2]– المصدر نفسه : 47/16.

[3]– المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[4]– ينظر: المصدر نفسه : 311/15.

الآيتان 90-91 ، و قد وقع اسم الإشارة في هذا التعبير بين الحدث و التعقيب عليه فكان بمثابة الفاصلة التي تؤذن بنهاية معنى و الدخول في آخر ، و قد شكل مع حرف الجر شبه جملة أو << جزء جملة جلب للانتقال من كلام إلى كلام فيكون فصل الخطاب كما يقال : هذا الأمر كذا ...>>[1].

هـ- الإيجاز : هي وظيفة تشبه وظيفة الضمير الذي يغنى استعماله عن تكرار ما يعود عليه ، حيث كان حضور كثير من أسماء الإشارة بديلا عن ذكر ما تشير إليه من كلام وصلا للأحداث، و تلافيا للإخلال ببلاغة الإيجاز .

و قد وجدنا هذا المعنى محققا في قوله – تعالى – : ﴿ **ذلك من آيات الله** ﴾ الآية17، حيث أشار "ذلك" إلى كلام طويل هو ﴿ **و ترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و إذا غربت تقرضهم ذات الشمال و هم في فجوة منه** ﴾ و ربما كانت الإشارة إلى قصة الفتية من بدايتها ؛ فكان ذكره مغنيا عن إعادة هذا الكلام بحرفيته فضلا عما فيه من إشارة إلى عظيم قدرة الله في ازورار الشمس عن الكهف بما يناسب المعجزة التي قدرها الله و ما فيه –إن نحن وقفنا عليه عند التلاوة – من فرصة للتفكير في هذه المعجزة.

و قوله ﴿ **عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا** ﴾ الآية 24 اشارة الى كل ما تقدم من قصة أهل الكهف ، و قول العبد الصالح إشارة إلى خرق السفينة و قتل الغلام وإقامه الجدار ﴿ **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا** ﴾ الآية 82 ، فقد اختصرت كل هذه الأفعال في لفظ "ذلك" ، و قوله : ﴿**و كذلك أعثرنا عليهم** ﴾ الآية 21 ، أي كما أنمناهم وكما بعثناهم أعثرنا عليهم . و قد حقق اسم الإشارة في كل هذه الآيات اختزالا كبيرا للمادة اللغوية ووفر على السمع كثيرا مما كان سيلحقه من رتابة و ملل لو أعيد ذكر كل مشار إليه.

4- الاسم الموصول : هو << ما دل على معين بواسطة جملة ؛ اسمية أو فعلية ، أو شبه جملة ، أو صفة صريحة لـ "ال" >>[2] و هو معدود من المعارف لأنه << موضوع على أن يستعمله المتكلم به في معلوم عند المخاطب بواسطة جملة الصلة >>[3].

و النص ثري بالأسماء الموصولة خاصها و مشتركها حيث بلغ عدد تواترها نيفا وأربعين مرة (بمراعاة الاختلافات بين المفسرين و اللغويين في الاسم الموصول "ما")، وهو

---

[1]– المصدر نفسه : 29/16.

[2]– علي توفيق الحمد ، و يوسف الزعبي ، المعجم الواقي في النحو العربي، مرجع سابق،61.

[3]– محمد محي الدين عبد الحميد، قطر الندى و بل الصدى، مصدر سابق، الحاشية، 101.

تكثيف يستمد علته – فيما نرى – من تعريف الاسم الموصول نفسه ذلك أن التعيين فيه يكون بواسطة جملة ، و هو أمر يتيح مساحة أوسع للتعريف بما يسمح باجتلاب الصفات و الخصائص التي تتصل بالاسم الموصول ، فتشحن الموصولات عن طريق الصلات بجملة من المعاني ما كانت لتكون لو أن التعريف كان من غير طريق الجمل، وأهم المعاني التي ظهرت لنا من استعمالات الاسم الموصول هي :

أ- **تعليل الإسناد الذي قبل الصلة أو بعدها :** من الأول قوله – تعالى – ﴿ **وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات** ﴾ الآية 2 ، حيث كانت الصلة "يعملون الصالحات" سببا في بشارة المؤمنين، و قوله ﴿ **ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ لأن الإنذار مترتب عن جريمة دعوى الولد لله تعالى ، و من الثاني قوله: ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ الآية 105 ، لأن إحباط العمل و عدم إقامة الوزن سببه فعل الصلة " كفروا " ، و قوله ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنت الفردوس نزلا** ﴾الآية 107 ، لأن جنت الفردوس جزاء لمن اتصف بفعلي الإيمان والعمل الصالح و هما مضمون الصلة المتقدمة ، و قد استعملت وظيفة التعريف التي تضمنتها الصلات (في هذه الآيات) في التذكير بصفات الموصول و أعماله بتصيص على انها الموجبة لما قبلها أو بعدها من ثواب أو عقاب.

ب- **التهكم و التوبيخ :** قال – تعالى – : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** ﴾ الآية 37 ، الخطاب لصاحب الجنتين من صاحبه المؤمن ، و قد كان في مضمون الصلة "**خلقك من تراب** ..." تذكير للكافر بوضاعة أصله التي تفرض عليه التواضع و تبطل ما كان منه من تكبر، و أن الله الذي سواه رجلا كاملا بعد أن كان ترابا وضيعا ونطفة حقيرة جدير بأن يعبد أكمل عبادة اعترافا بفضل الإيجاد ووفاء لحق الألوهية، فكيف به و قد كفره و أشرك به غيره ، و قد أبان سلوك الكافر عن مخالفته العقل و المنطق من جهتين ؛ مرة بتكبره ، فاستلزم التذكير بأصله الوضيع الذي يتنافى مع ما أبدى من تكبر وغرور، و مرة بكفره بمن أوجده و العقل يقضي غير ذلك، فكان مضمون الصلة تهكما بسخافة هذا العقل و تحقيرا لصاحبه.

و قال أيضا : ﴿ **و يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم** ﴾ الآية 52، الخطاب للمشركين و قد عرضوا يوم الحشر في حالة من الذل و الهوان و رأوا عيانا جهنم بما فيها من أهوال و عظائم ، و يطلب منهم بلغة الإفحام و التوبيخ أن ينادوا الشركاء الذين دعوهم في

الدنيا كي ينقذوهم مما هم فيه و << ينسون من شدة ذهولهم أنهم في الآخرة، فينادون ، لكن الشركاء لا يجيبون لأنهم بعض خلق الله الذين لا يملكون لأنفسهم و لا لغيرهم شيئا في الموقف المرهوب، و قد جعل الله بينهم مهلكة لا يجتازها هؤلاء و لا هؤلاء >>[1].

و لا يخفى ما يفيده فعل الصلة من سخرية و تهكم لاذع لأن الزعم يتضمن معنى الكذب و الافتراء ، و كان التعبير سيفقد كثيرا من المعنى المقصود لو قيل " الشركاء المزعومون " لأن التعبير بالصلة أفاد تحديد فاعل "زعم" ، و أتاح التعبير بالماضي الدلالة على التحقق التام بما لا يبقي مجالا للتنكر أو الإفلات من هذه الفرية العظيمة ؛ و كل ذلك من مستلزمات كمال التوبيخ حيث الحجة التي لا تترك شعاع أمل في النجاة.

و قال كذلك : ﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ الآية 102 ، و فيها إظهار مكان الإضمار حيث سبق ذكر الصلة في الآيتين اللتين قبل هذه الآية ، قال – تعالى – في الآية 100 : ﴿ **و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ ثم قال في الآية 101 : ﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري و كانوا لا يستطيعون سمعا** ﴾ فازدادوا تميزا بالصلة و ما عطف عليها، و حق الآيتين 101، 102 ان يذكر الذين كفروا فيهما بالضمير دون التصريح لتقدم ذكرهم ، و قد أفاد التصريح في الآية 101 تعليل الإسناد الذي سبق الصلة كما ذكرنا آنفا أما في الآية 102 فإنه فضلا عن إفادته استقلال الجملة بدلالتها ، يضيف دلالة أخرى مؤداها الاهتمام بالكفر أكثر من الكافر لأن << تعبير بالفعل يشير إلى أهمية الحدث و أنه مدار الكلام >>[2] و ما كان التعبير بالفعل ممكنا دون استعمال الموصول، و تتجلى أهمية الحدث في كون التوبيخ الذي أفادته جملة الصلة متأتيا من اقتران فعل الكفر فهو منصبّ على الفعل أكثر من الفاعل لأن الآية في سياق التهديد و الوعيد ، ومن دلالات التهديد رجاء ازدجار المخاطب و ارعوائه ، و الفعل متجدد مع فاعلين كثيرين و من ثم تتسع مساحة الخطاب لتشمل أنواعا من الفاعلين منهم من كان في حال الكفر وقت نزول الآية ، و منهم من تسول له نفسه الكفر أثناءها أو بعدها ، و من سيتلبس بالكفر في العصور المقبلة ... و دليل ذلك التعبير باسم الفاعل في الجزء الثاني من الآية ﴿ **إنا أعتدنا جهنم**

[1]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، مصدر سابق ، 2275/4.

[2] – محمد محمد داود : الصوائت و المعنى في العربية، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001م ،53.

للكافرين نزلا ﴾ لأن الذي تقرر دخوله جهنم مقطوع بكفره و لا أمل في اهتدائه و<< التعبير بالاسم يشير إلى أهمية فاعل الحدث >>[1] .

جـ- تحديد أحد الاختيارات : يظهر في آيتين : أما الأولى فهي قوله – تعالى – : ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ الآية 21 و قد سبق التعبير بالموصول في الآية نفسها قوله – تعالى – : ﴿ **إذ يتنازعون بينهم أمرهم** ﴾ و هي على احتمالات ثلاثة[2] ، أحدها أن أهل المدينة اختلفوا فيما يصنعون بأهل الكهف بعد أن عثروا عليهم و كيف يخلدون حادثتهم ، فأفاد فعل التنازع بصيغته الصرفية المقتضية للمشاركة تعدد الاقتراحات التي قد تتساوى أو تتباين من حيث الوجاهة و قابلية التنفيذ فكان في التعبير بالصلة "غلبوا على أمرهم" التي يعود الضمير فيها على أصحاب الكلمة و النفوذ[3] إشارة إلى أن مقترحهم هو الذي حظي بالقبول و التنفيذ و الله أعلم.

و أما الثانية فهي قول أحد الفتية ﴿ **فلينظر أيها أزكى طعاما** ﴾ الآية 19 ، حيث إن اسم التفضيل يعني وجود أنواع كثيرة فيكون الموصول لتحديد النوع الأزكى و هو الأطيب وليس الأكثر كما هو معنى الزكاة[4] ، و أي << ما صدقه أي مكان من [illegible] أجزاء كثيرة منها دكاكين الباعة >>[5] و استعمال الموصول يعني تحديد اختيار واحد فقط مما يتضمنه تعدد الماصدق ، و لما كان الأرجح في معنى الزكاة هو الطيبة (على ما تقدم) فإن لفظ "أي" يعكس حرص الفتية على الاحتياط في طلب الحلال من الطعام.

5- المعرّفة ذو الأداة : للتعريف في العربية أداة وحيدة هي "أل" على خلاف بين النحاة في المعرف أهو اللام وحده أم اللام و الهمزة ، و هل الهمزة وصلية أم قطعية[6] ، و الذي يتصل بمجال دراستنا هو المعنى الذي يفيده التعريف بالأداة ، و هو محدد في العهد أو الجنس أو الاستغراق[7].

---

[1]- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[2]- ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف، مصدر سابق، 384/2.

[3]- ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 142/4.

[4]- ينظر :المصدرالسابق ، 141/4 ، و سيد قطب ؛ الظلال ، مرجع سابق 2263/4.

[5]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 285/15.

[6]- ينظر : ابن عقيل ؛ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مصدر سابق ، 177/1.

[7]- ينظر : المصدر نفسه : 178/1 ، و ابن هشام ، قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق ، 112.

و لقد كان للتعريف بالأداة في النص حضور مكثف حيث تجاوز عدد المعارف بالأداة المئة اسم ، و قد أمكن تقسيم هذه الأسماء إلى ثلاث زمر ؛ تمثل الأولى أسماء الذوات منها : الملائكة، الجن، الناس، الإنسان، الفتية، الشيطان، الغلام ... ، و تمثل الثانية أسماء المعاني و منها : الحمد، الحق، الباطل، الهدى ، الرحمة ... ، أما الثالثة فقد أفادت معيّنات زمانية ؛ كالغداة و العشي و الساعة ، أو مكانية ؛ كالسماوات و الأرض و البحر والجبال والأنهار و المدينة و الصخرة و الجدار و الوصيد و اليمين و الشمال ...

و قد مكن هذا الثراء من الوقوف على أنواع التعريف الثلاثة :

أ-"ألـ" العهدية : العهد إما ذكري أو ذهني ، نمثل لـ "أل" العهدية في النص بقوله – تعالى – حكاية عن الفتية : ﴿ **فأووا إلى الكهف** ﴾ حيث << يجوز أن يكون الكهف المقصود كهفا كانوا يتعبدون فيه من قبل>>[1] فيكون العهد ذهنيا ، و قوله : ﴿ **حتى إذا ركبا في السفينة خرقها** ﴾ أي السفينة المعهودة و هو عهد ذهني كذلك ، و قوله : ﴿ **و يوم نسير الجبال** ﴾ ، أي الجبال المعروفة المعهودة.

أما العهد الذكري فأوضح ما يعبر عنه الآيات التالية :

- ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ﴾ حيث تقدم ذكر السفينة في قوله : ﴿ **إذا ركبا في السفينة خرقها** ﴾.
- ~~﴿ **و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين** ﴾~~ و قد تقدم ذكر الغلام **لقيا غلاما فقتله ...**﴾.
- ﴿ **و أما الجدار ...**﴾ و قد تقدم ذكره نكرة كذلك في قوله : ﴿ **فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض...**﴾. و كل ذلك عهد ذكري.

ب-"أل" الجنسية : و يعبر عنها بالتي لبيان الماهية أو الحقيقة[2].

منها قوله – تعالى –: ﴿ **الحمد لله** ﴾ حيث أفاد لفظ الحمد جنسه كله أي الحمد كل الحمد، و قوله : ﴿ **و كان الإنسان أكثر شيء جدلا** ﴾ حيث يعبر لفظ الإنسان عن البشر جميعا ، و قوله : ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي** ﴾ أي البحر بالإطلاق دون إرادة بحر معين.

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق 277/15.

[2]– ينظر: ابن هشام ؛ قطر الندى و بل الصدى، مصدر سابق، 113.

ج- "أل" الاستغراقية : و الاستغراق على نوعين؛ إما استغراق حقيقة الأفراد أو استغراق صفات الأفراد.

من الأول قوله جل شأنه : ﴿ **و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ ، الآية 50 ، حيث يفيد التعريف في "الملائكة" استغراق كل الملائكة، فهم جميعا مشمولون بالأمر بالسجود ، ولذلك كان الاستثناء ﴿ **إلا إبليس** ﴾ ، و هو مما يقوم به الدليل عند من يرى أن إبليس من الملائكة.

و قوله : ﴿ **و لقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل** ﴾ ، الآية 54 ، حيث يشمل لفظ الناس كل من بلغه القرآن.

و قوله : ﴿ **و ما منع الناس أن يؤمنوا** ﴾ ، الآية 55 ، و هي أعم من لفظ "الناس" المتقدم حيث يشمل كل الناس دون تخصيص.

أما النوع الثاني (استغراق الصفات) فمنه قوله – تعالى – : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا...**﴾ ، الآية 29 ، فالنار معدة لكل من اتصف بصفة الظلم و هو مشمول في لفظ الظالمين بصرف النظر عن اسمه أو جنسه...

و قوله : ﴿ **و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا** ﴾ ، الآية 46 ، لأن المقصود بالباقيات الصالحات الأعمال الموصوفة بصفتي البقاء و الصلاح.

و لئن كان التعريف بالأداة أحد أنواع المعرفة، فإن الذي وقفنا عليه من خلال هذا التحليل هو أن المحلّى بالأداة أقلّ المعارف تعيينا ، و بخاصة إذا كانت الأداة استغراقية أو جنسية ؛ لأن الأولى تتعلق إما بالجانب الكمي (العددي) كلفظ "الملائكة" في الشاهد السابق ، أو الجانب الكيفي (الوصفي) كما في لفظ "الظالمين" المتقدم، و لا يكفي الكم وحده او الكيف وحده في التعرف على كنه المسمى ، و الثانية أدخل في التنكير لأنها لا تعين جوهرا واحدا أو ذاتا مفردة بل جنسا كاملا بما فيه من تعدد، كما لفظ "الإنسان" أو "الجن" فيما تقدم، ومعلوم أن هذا التعريف دون التعيين بالجمل الذي تتيحه الأسماء الموصولة، أو التعيين الحسي الذي تتضمنه أسماء الإشارة أو ما في الضمير من الإشارة إلى التواطؤ بين المتكلم و المخاطب على ما يشار به إليه، أو ما في العلمية من كناية عن الشهرة تستمدها من التسمية المشتقة من الجبال لما فيها من شهرة بينة ظاهره.

6- المضاف : << هو ما أضيف إلى واحد من المعارف المذكورة ، و رتبته في التعريف كرتبة ما أضيف إليه >>[1].

و لأن التعريف متضمن بداهة في الإضافة فإننا نتجاوزه إلى ما وراءه من معان ، وقد وقفنا في هذا الصدد على جملة من المعاني التي تضمنتها علاقة النسبة بين المضاف والمضاف إليه نذكر منها :

أ-التنويه و التشريف : نمثل له بالآيات التالية :

- ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ الآية 1.
- ﴿ **و اذكر ربك إذا نسيت** ﴾ الآية 24.
- ﴿ **و عرضوا على ربك صفا** ﴾ الآية 48.

و نسبة الإضافة في هذه الآيات قائمة بين الله – تعالى – و الرسول – صلى الله عليه و سلم – إلا أنها على صنفين؛ ففي الآية الأولى النسبة من المضاف إليه إلى المضاف على الأصل حيث تعرف لفظ "عبد" النكرة بإضافته إلى الضمير "ه" العائد على لفظ الجلالة الذي سبق ذكره ، و في ذلك فوق التعريف تشريف حيث أضيف العبد إلى الخالق وانتظمهما لفظ واحد، و في صيغة الإفراد من تمام التشريف و التمييز ما تقصر عنه العبارة "عبدا من عبادنا" التي تعود إلى الخضر عليه السلام و بين العبارتين من الفرق ما بين الرجلين من الفضل ، و << ذكر النبي – صلى الله عليه و سلم – بوصف العبودية لله تقريب لمنزلته وتنويه به بما في إنزال الكتاب عليه من رفعة قدره ، كما في قوله : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده**[2] ﴾[3].

~~أما الآيتين الثانية و الثالثة~~ ، فقد تحقق العدول فيهما فِ

من المضاف إلى المضاف إليه ، لتعريف لفظ "رب" بإضافته إلى كاف الخطاب العائد على الرسول – صلى الله عليه و سلم – و في ذلك من كمال الملاطفة ما لا يخفى[4] .

و في قوله – تعالى – : ﴿ **و عرضوا على ربك صفا** ﴾ عدول عن الإضمار إلى الإظهار و التعريف بالإضافة <<لتضمن الإضافة تنويها بشأن المضاف إليه بأن في هذا

---

[1]- ابن هشام : قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق ، 116.

[2]- سورة الفرقان الآية 1.

[3]- الألوسي : روح المعاني ، مصدر سابق ، 200/15.

[4]- ينظر: الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 247/15.

العرض و ما فيه من التهديد نصيبا من الانتصار للمخاطب إذ كذبوه حين أخبرهم و أنذرهم بالبعث>>[1].

ب- التذكير : نمثل لهذا المعنى بقوله – تعالى – : ﴿ **و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** ﴾ الآية 29. و في هذه الآية كذلك عدول عن التعريف بالعلمية في اسم الجلالة إلى الإضافة إلى المخاطبين الذين يتضمنهم عموم الموصول "من" في الآية التي تليها ﴿ **و لا تطع من أغفلنا قلبه...**﴾ و في هذا العدول تذكير لهم بأن الله الذي هو ربهم أحق بالتوحيد و العبادة ، و إذا ما توصلوا بهذه الحقيقة و أدركوها تحملوا المسؤولية كاملة في تبني أحد الاختياريين المطروحين و هما الإيمان أو الكفر فيتحقق مفهوم العدل الإلهي في الجزاء الذي تضمنه التعبير اللاحق في الآية نفسها و في التي تليها حيث قال جل شأنه : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرا دقها...**﴾ ثم قال : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا، أولئك لهم جنات عدن...**﴾ فكانت هذه الإضافة تذكيرا أخيرا وتحميلا للمسؤولية.

ج- التفظيع : قال – تعالى – في قصة السجود : ﴿**...إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ الآية 50. و << الفسق في اللغة الخروج ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، و فسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها >>[2] ، و قد عدل عن التعريف بلفظ الجلالة إلى إضافة لفظ "رب" إلى الضمير "ه" العائد على إبليس و النسبة فيه من المضاف إلى المضاف إليه لأن المطلوب ليس التعريف و إنما هو الإبانة .

إبليس بعدم السجود لمن هو أهله لأنه أمر ربّه و موجده و هذا المعنى لا يتحقق بالدرجة نفسها لو كان التعريف بغير هذه الإضافة التي أفادت << تفظيع فسق الشيطان عن أمر ربه بأنه فسق عبد عن أمر من تجب عليه طاعته لأنه مالكه >>[3].

د- القصر : تحقق هذا المعنى في قول العبد المؤمن خطابا لصاحبه الغني في قصة صاحب الجنتين : ﴿ **لكنا هو الله ربي و لا أشرك بربي أحدا** ﴾ الآية 38. حيث أضيف لفظ "رب" إلى ضمير المتكلم "ي" مرتين لغير طلب التعريف فتعالى الله أن يعرف بواحد من خلقه ولكن لقصر صفة الربوبية على العبد المؤمن دون نظيره الكافر فكأنه قال ربي دونك أنت الذي عبدت غيره.

---

[1]- المصدر نفسه : 336/15.

[2]- ابن منظور : لسان العرب ، مصدر سابق ، ف.س.ق.

[3]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 341/15.

و الذي نقف عليه من خلال هذه النماذج من علاقات الإضافة أن النسبة تكون من المضاف إلى المضاف إليه ، و قد تكون من المضاف إليه إلى المضاف ، و أنها في الحالتين تحمل زيادة عن التعريف معاني أخرى تضمر لإغناء الإضافة عنها و هو نوع آخر من الإيجاز و الاقتصاد في اللغة.

ثانيا : الإفـراد و فـروعه

1- الإفـراد : << المراد بالمفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه >>[1] ، و قد دل المفرد على حقيقة الإفراد في مواضع ؛ خير ما يمثل لها لفظ الجلالة حيث كان لأن الإفراد فيه لفظا ومعنى و أهم دلالاته التعبير عن التفرد و الوحدانية في الذات الإلهية ، و في مواضع أخرى على المثنى كلفظ "كلتا" من قوله – تعالى – ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ لأن << كلتا اسم مفرد اللفظ مثنى المعنى عند البصريين و أصله عند سيبويه كلوا >>[2] و أهم ما أفاده اللفظ هنا التناهي في الدقة أي الجنتين معا آتتا أكلها دون نقصان كما تؤكد الجملة ﴿ **و**

[1]– ابن هشام : قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق ، 11.

[2]– الألوسي : روح المعاني ، مصدر سابق ، 274/15.

لم تظلم منه شيئا ﴾ ، و في مواضع أخرى على الجمع كما في لفظ "كلمة" من قوله – تعالى – ﴿ **كبرت كلمة تخرج ...** ﴾ لأن "كلمة" بمعنى الكلام و هو كثير في اللغة و منه كلمة التوحيد، كلمة الخطيب ... ، و كما في لفظ "صفا" من قوله : ﴿ **و عرضوا على ربك صفا** ﴾ حيث يدل لفظ "صفا" على الصفوف المتعددة ، قيل << الأنبياء - عليهم السلام – صف ، والأولياء صف ، و سائر المؤمنين صف ، و المنافقون صف ، و الكافرون صف ، و هم آخر الصفوف >>[1].

و لصيغة الإفراد معان و أغراض أخرى نذكر منها :

أ- **اشتمال العدد و الجنس مع ضبط الإيقاع :** في قوله – تعالى – : ﴿ **و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ الآية 4 حيث يستوي في "الولد" الواحد و الجمع و الأنثى و الذكر ، وقد قال ابن إسحاق : << إن المقصود مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة و هن بنات الله >>[2].

و في لفظ "ولدا" إيجاز بليغ لأن الله متنزه عن الولد و الأولاد، وعن الإناث والذكور (لم يلد و لم يولد) و كل ذلك في لفظ الولد فضلا عما فيه من ملاءمة إيقاعية حيث يناسب موقعه فاصلة في الآية الرابعة موقع "أبدا" فاصلة الآية الثالثة لتماثلهما مقطعيا ، وتلك منطقة تقاطع بين الصرف و الصوت في تأدية المعنى.

و في قوله – تعالى – : ﴿ و**ليتلطف و لا يشعرن بكم** أ

مفرد دال على العموم لأن << أحدا في معنى جميع الناس ، على حكم النكرة في سياق شبه النهي >>[3] ، فالمحذور هو اطلاع أي من الناس بصرف النظر عن الجنس و العدد ، و للفظ أيضا أثر إيقاعي لتساويه موسيقيا مع "أبدا" فاصلة الآية الموالية 20.

و الشأن نفسه و بشكل أعم في الآية الأخيرة ﴿ **و لا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ حيث يمتد مشمول "أحدا" إلى كل معبود غير الله حيا كان أم جمادا ، و لها تأثير إيقاعي كذلك لتساويها الموسيقي مع الفاصلة التي قبلها "مددا".

---

[1]– المصدر نفسه ، 310/15.

[2]– ابن كثير : تفسير القران الكريم ، مصدر سابق ، 135/4.

[3]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 286/15.

ب- إفادة غير العدد و الجنس : في قوله - تعالى - : ﴿ **و دخل جنته و هو ظالم لنفسه** ﴾ الآية 35. حيث تباينت قراءات المفسرين لدلالة الإفراد في لفظ الجنة ؛ فرأى الزمخشري أن الإفراد بعد التثنية لأنه << لا جنة له غيرها ، و لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون ، فما ملكه في الدنيا هو جنته >>[1]. و رأى الألوسي أن معناه << كل ما هو جنة له يتمتع بها بناء على أن الإضافة للاستغراق و العموم>>[2] ، و رأى ابن حبان أن الإفراد للترتيب أي أنه دخل جنة قبل جنة[3] ، و إلى مثل هذا ذهب الطاهر بن عاشور[4].

و الذي نراه أنه لا تعارض بين هذه الآراء إذ لا يمتنع أنه دخل جنة قبل جنة ، وكلا الجنتين مما يتمتع به ، و أنه لا حظ له في جنة الآخرة لكن الذي نؤكد عليه في هذا المقام هو أن الذي تشترك فيه كل هذه الآراء تجاوز الدلالة المعجمية و العددية إلى دلالات إضافية مؤداها تركيز المعنى في اللفظ الواحد و هو عين البلاغة و الإعجاز.

2- التثنية : ارتبط المثنى في السورة بثلاثة معان :

أ- التعبير عن الذات : في أربعة مواضع :

- ﴿ **و اضرب لهم مثلا رجلين** ...﴾ الآية 32.
- الضمير العائد على موسى عليه السلام و فتاه في قوله - تعالى - : ﴿ **فلما بلغا مجمع بينهما**... ﴾ الآية 61. و كل الضمائر المرتبطة به في سياق القصة.
- ﴿ **و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين** ﴾ الآية 80 ، و الضمائر التي تعود على الأبوين في القصة نفسها.
- ﴿ **و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين** ﴾ الآية 82.

و المثنى في كل هذه المواضع يعبر عن ذات إنسانية.

ب- التعبير عن الأعضاء : في ثلاث آيات هي :

- ﴿ **و لا تعد عيناك عنهم** ﴾ الآية 28.
- ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها** ﴾ الآية 42.
- ﴿ **و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾ الآية 18 ، و في بسط الذراعين معا تصوير لهيئة الكلب التي توحي بأنه قائم على الفتية يحرسهم ، و هي صورة تشترك مع غيرها في وصف

---

[1]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 390/2.

[2]- الألوسي، روح المعاني ، مصدر سابق ، 275/15.

[3]- ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[4]- ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 320/15.

الهيبة و الرعب الذي يحيط بالمكان ، فتكون صيغة التثنية الرامزة إلى الحراسة قد أسهمت في المعنى المطلوب وهو الهيبة والرهبة من المكان ومن فيه.

ج- **التعبير عن الطبيعة :** مثلته الألفاظ : جنتين ، البحرين ، السدين ، الصدفين من الآيات 32 ، 60 ، 93 ، 96 على الترتيب و كل هذه الألفاظ من مظاهر الطبيعة دلت على : الخير و النعمة في الجنتين ، و المعلم و التعيين المكاني مع الإشارة إلى الإعجاز في اجتماع الماءين ، المختلفين في لفظ البحرين ، و الحماية و الدفاع في لفظ "السدين" و"الصدفين" و في كل ذلك إشارة إلى وجوه الاستفادة من الطبيعة المسخرة للإنسان.

و يجمع هذه الاستعمالات أن الإنسان – و هو ذات – يمكنه الاستفادة من الطبيعة عن طريق تغييرها ببعض أعضائه التي منها اليدان ، و بكل عقله الذي ميزه الله به عن غيره من المخلوقات.

3- **الجمع :** كان الجمع حقيقيا في مواضع ، و دالا على المفرد في أخرى ، وعلى المثنى في ثالثة.

من النوع الأول – و هو كثير – قوله – تعالى – : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا** ﴾ الآية 29. وقوله : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين** ﴾ الآية 79 ، و قوله : ﴿ **و حففناهما بنخل**﴾ الآية 32 ؛ فالألفاظ : الظالمين ، مساكين ، نخل ، دالة على الجمع لفظا و معنى.

أما النوع الثاني فقد انحصر في ضمير المتكلمين من قوله – تعالى – على لسان موسى عليه السلام – ﴿ **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** ﴾ و ما عطف عليه في سياق القصة حيث دل ضمير الجماعة "نا" على اثنين (موسى و فتاه) و هو أمر مطرد في اللغة حيث يعبر عن المتكلمين بضمير الجماعة المنفصل "نحن" أو المتصل "نا".

و أما النوع الثالث فقد انحصر كذلك في نون العظمة العائدة على اسم الجلالة، ومنها قوله – تعالى – : ﴿ **و يوم نسير الجبال، و ترى الأرض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ الآية 47 ، و قوله – جل شأنه – : ﴿ **و جعلنا بينهم موبقا** ﴾ الآية 52 ، وقوله : ﴿ **و اضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعا** ﴾ الآية 32.

و لأن ضمير الجماعة في هذه الآيات و مثيلاتها مفرغ من معنى المشاركة (لتنزه الله – تعالى – عن الشريك) ، و معنى التعدد الحقيقي لأنه (**لا إله إلا الله**) فقد تعينت دلالته على المفرد المتفرد الذي ﴿ **لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفؤا أحد** ﴾.

و لصيغ الجمع معان أخرى غير الدلالة العددية نذكر مهما :

أ- **التنوع :** في قوله – تعالى – : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب** ﴾ الآية 31 ، << أساور جمع سوار على غير قياس، و قيل أصله جمع أسورة الذي هو جمع سوار، فصيغة جمع الجمع للإشارة إلى اختلاف أشكال ما يحلون به منها ، فإن الحلية تكون مرصعة بأنواع من اليواقيت >>[1] ، فتكون صيغة الجمع قد أفادت معنى التعدد المتضمن أصلا في الدلالة العددية لها لكن بحصره في الكثرة دون القلة لأن الجمع يبدأ من الثلاثة ، و زيادة على ذلك أفادت الصيغة التعبير عن اختلاف أشكال و أنواع الحلي.

و في قوله : ﴿ **و كان له ثمر** ﴾ الآية 34 ، دلالة الجمع في "ثمر" التنويع أي " أنواع من المال "[2] ، و رأى الطاهر بن عاشور أن الجمع في "ثمر" معناه المال الكثير المختلف من النقدين و الأنعام و الجنات و المزارع و هو من قولهم : ثمر الله ماله إذا كثر.

و قالوا إنه جمع ثمار الذي هو جمع ثمر مثل كتب جمع كتاب ، فيكون دالا على أنواع كثيرة مما تنتجه الأرض من المكاسب ، تماما مثل لفظ أساور المتقدم ، و المعنى : و كان لصاحب الجنتين مال أي غير الجنتين[3] ، فيكون الجمع "ثمر" دالا كذلك على التعدد و التنوع في المعدود .

ب- **التعبير عن عظمة الخالق :** يظهر في إيراد لفظ السماء جمعا في ثلاث آيات هي :

- ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم** ﴾ الآية 51.
- ﴿ **ربنا رب السماوات و الأرض** ﴾ الآية 14.
- ﴿ **له غيب السماوات و الأرض** ﴾ الآية 26.

حيث ارتبط لفظ "السماوات" جمعا في المواطن الثلاثة بمعاني : الخلق (في الآية الأولى) ، و الربوبية (في الآية الثانية) ، و الغيب (في الآية الثالثة) ، و هي معان خاصة بالله – تعالى –، تعكس قدرته و عظمته تولّي الإبانة عنها لفظ "السماوات" بصيغته الصرفية الدالة على الجمع و موسيقاه ، حيث مكنت الفتحتان الطويلتان المتتابعتان من إحداث الترنم و مد الصوت تصويرا لعظمة السماوات ، و تعبيرا عن عظمة خالق السماوات ، وهذا تقاطع آخر بين الصوت و الصرف في إثراء الدلالة.

---

[1]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 312/15.

[2]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 390/2.

[3]- ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 318/15 ، 319.

ثالثا : المذكر و المؤنث

الاسم إما مذكر أو مؤنث، و قد قادنا تتبع استعمال الجنس في النص إلى الوقوف على هيمنة صيغة المذكر حيث نجد أغلب الكلمات المحورية في جميع أجزاء السورة بصيغة المذكر ؛ ففي المقدمة : عبده، الكتاب، عوجا، قيما، ولدا... ،
و في قصة أصحاب الكهف : الفتية ، أصحاب ، الكهف ، الرقيم ، الحزبين ، أحدا... ،
و في مثل صاحب الجنتين : رجلين ، صاحبه ، أحدهما ، هو، دخل ، كفرت ، قلت... ،
و في مثل الحياة الدنيا : ماء ، المال ، البنون ، الكتاب... ،
و في قصة السجود : آدم ، إبليس،
و في قصة موسى عليه السلام : موسى ، فتاه ، عبدا ، الحوت ، الشيطان ، البحر ، الغلام،
وفي قصة ذي القرنين : ذو القرنين، مطلع ، مغرب ، موعد ، سببا... ،
و في الخاتمة : الصور، البحر، يرجو، يشرك... .

و زيادة على ذلك فإن ضمير الخطاب الذي عم أغلب النص كان مذكرا كذلك.

و هذه الصبغة الذكرية تستمد وجودها فيما نرى من أمرين :

الأول : اشتمال المذكر على المؤنث ضمنا و هي إحدى خصائص اللسان العربي.

الثاني : دلالة الجنس المذكر على مفهوم القوة و اشتماله على معاني الصبر و التحمل والثبات و هي في مجملها من الأسس التي تقوم عليها العقيدة ، و السورة موضوعها الأساسي تصحيح العقيدة ، و تقويم أسسها ؛ و قد ناب الرجل المرأة في تحمل رسالات السماء وتولى شؤون الملك و مكابدة مشاق الحياة ، و هي المعاني التي جسدتها شخصيات الرسل و الصالحين الذين اشتملتهم قصص السورة و أمثالها، و في ذكر آدم بوصفه أصل النوع كفاية عن تفصيل الجنس و العدد.

و قد استوقفنا قوله – تعالى – : ﴿ **و لم تكن له فئة ينصرونه** ﴾ من الآية 43، حيث عدل التعبير عن نسبة الضمير إلى ظاهر اللفظ (المؤنث) بأن يقال "فئة تنصره" إلى نسبته إلى حقيقة اللفظ ؛ إذ معنى << الفئة هنا العشيرة والولد >>[1] و قد حقق هذا العدول

[1]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 150/4.

تحاشي ما في التأنيث و الإفراد من ضعف ينبو به المكان إلى ما في الجمع و التذكير من قوة يلح عليها المقام.

و بالمقابل كان العدول عن المذكر إلى المؤنث في لفظ "الويل" من قوله – تعالى –: ﴿ **و يقولون يا ويلتنا...**﴾ الآية 49، حيث دلت "الويلة" مؤنث الويل – و هو سوء الحال والهلاك – عن المبالغة ، و إنا لنجد في الثقافة العربية اقتران لفظ "الأم" (المؤنث) بحالات الفزع ، و من ذلك قولهم "ويلمه" و كأن الحالة الموصوفة تضع المرء في ضعف و عجز عن دفع المكروه أشبه ما تكون بحال الصبي الذي لا يقوى على حماية نفسه ، و من دلالات التأنيث في السورة كذلك ما حمله لفظ الصالحات الذي تكرر أربع مرات في الآيات 25،30،46،107 ، حيث حل لفظ "الصالحات" بصيغته المؤنثة محل موصوفه "الأعمال" – و هو مذكر– ليعبر بجنسه الأنثوي عما في الأعمال الصالحة من نماء و كثرة ، و ازدياد و بركة ؛ و الأنثى رمز الخصب و العطاء.

كما تميز لفظ "الجنة" (المؤنث) الذي تكرر بين الإفراد و التثنية و الجمع سبع مرات بدلالاته على عطاء الله في الدنيا و الآخرة حيث عبر بصيغة الإفراد و التثنية عن عطاء الله في الدنيا في قوله : ﴿ **و اضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين** ﴾ الآية 32 ، و قوله : ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ الآية 33 ، و قوله : ﴿ **و دخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ الآية 35 ، و قوله : ﴿ **و لو لا إذ دخلت جنتك** ﴾ الآية 39 ، و قوله : ﴿ **فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك** ﴾ الآية 40.

و بصيغة الجمع عن عطاء الآخرة في قوله : ﴿ **أولئك لهم جنات عدن** ﴾ الآية 31 ، و قوله : ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾ الآية 107.

و قد أشارت صيغة الإفراد و التثنية إلى محدودية العطاء الدنيوي، فيما دلت صيغة الجمع على مطلقية العطاء الأخروي.

رابعا : الاشتقـاق

هي زاوية أخرى و أخيرة نظرنا من خلالها للمباني الاسمية و ما انطوت عليه صيغها الصرفية من معان، و قد حددناها في ست صيغ هي : المصدر (بوصفه أصل المشتقات على الرأي البصري) ، اسم الفاعل ، الصفة المشبهة باسم الفاعل ، اسم المفعول ، اسم المكان ، اسم الزمان.

1- المصدر : كان للمصادر صريحة و مؤولة الحضور المكثف في النص و سنقصر الدراسة على المصادر الصريحة لأن الفصل معقود لبنية الكلمة مفردة و ليست المصادر المؤولة من ذلك ، و قد أدت المصادر الصريحة في النص دورين أساسين هما الدور البلاغي و الدور الإيقاعي :

أ- الدور البلاغي : تمثل في الاستعاضة بالمصادر عن الأفعال و أسماء الفاعلين و أسماء المفعولين ، و مثال ذلك في الأفعال قوله – تعالى – :﴿ **و إما أن تتخذ فيهم حسنا** ﴾ الآية86، حيث عدل السياق عن التعبير بالفعل كما في الجملة قبلها "إما أن تعذب" إلى التعبير بالمصدر ، و ذلك للمبالغة في الإحسان إلى القوم << حتى كأنه اتخذ فيهم نفس الحسن >>[1].

و قوله : ﴿ **و كانوا لا يستطيعون سمعا** ﴾ الآية 101، و هو عدول عن التعبير بالفعل "يسمعون" إلى المصدر "سمعا" ، و في ذلك مبالغة لأن الذي لا يسمع (الأصم) << قد يستطيع السمع إذا صيح به ، و هؤلاء كأنهم أصمت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع>> [2].

و في أسماء الفاعلين قوله : ﴿ **أو يصبح ماؤها غورا** ﴾ الآية 41. أي غائرا ، والوصف بالمصدر فيه دلالة عن المبالغة.

و في أسماء المفعولين قوله : ﴿ **اتخذوا آياتي و ما أنذروا هزؤا** ﴾ الآية 106. و"الهزؤ مصدر بمعنى المفعول و هو أشد مبالغة من الوصف باسم المفعول، أى كانوا كثيرى الهزء بهم>>[3].

و إنما كانت المصادر للمبالغة في هذه الآيات و مثيلاتها لأن الوصف بالمصدر موضوع أصلا للمبالغة، و قولهم رجل عدل و رجل فضل من هذا القبيل[4] ، كما أن << المصدر هو المفعول الحقيقي لأن الفاعل يحدثه و يخرجه من العدم إلى الوجود >>[5]، وقد ورد المصدر في مواقع أخرى لغرض التوكيد من ذلك قوله – تعالى – : ﴿ **فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ ، الآيتان 99، 100 حيث كان المصدر في الآيتين مفعولا مطلقا مؤكدا لفعله.

---

[1]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 16/26،27.

[2]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 2/403.

[3]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 16/49.

[4]- ينظر : ابن يعيش ، شرح المفصل ، مصدر سابق ،3/50.

[5]- المصدر نفسه : 1/110.

ب- الدور الإيقاعي : أدت هذا الدور بصفة أكثر وضوحا المصادر التي وقعت فواصل في الآيات و قد تجاوز عددها نصف فواصل السورة ، حيث فرضت إيقاعا موسيقيا موحدا تمثل في المقطع المتوسط المغلق أو المفتوح (بحسب السكون أو المد في التنوين) الذي سبق عليه الكلام في الفصل الصوتي و بذلك تكون المصادر قد أدت دورا بلاغيا تمثل في المبالغة و التأكيد انطلاقا من أن التعبير بالاسم يعكس الثبات و الاستمرار ، و دورا إيقاعيا بتحملها (انطلاقا من اسميتها) التنوين الذي مكن من فرض المقطع المتوسط القابل للفتح أو الإغلاق بحسب القراءة.

2- اسم الفاعل : كان لأسماء الفاعلين الكثيرة دلالات مختلفة أهمها :

أ- التعبير عن الثبات : نمثل لذلك بقوله - تعالى - : ﴿ **و بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات** ﴾ الآية 2، حيث أفاد التعبير باسم الفاعل "المؤمنين" بدل الفعل "آمنوا" ثبات صفة الإيمان و استقرارها في قلوب المؤمنين بحيث لا ينتظر أي افتراق بين القلب المؤمن و صفة الإيمان ، لذلك كان لهم ما ذكر من وافر الجزاء.

و قوله ﴿ **و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾ الآية 18، حيث شذ الوصف باسم الفاعل "باسط" عن الأوصاف التي سبقته و هي (تزاور ، تقرضهم ، نقلبهم) التي تعبر بفعليتها عن الحركية و التجدد ، فدل ذلك على أن اسم الفاعل للإشارة إلى أن الكلب باق على تلك الهيئة لحكمة يعلمها الله ، لعل منها الهيبة و الرعب الذي ألقي على المكان.

ب- المبالغة : نمثل لها بقوله - تعالى - : ﴿ **ستجدني إن شا**

هو تعبير يعكس ثقة موسى عليه السلام في نفسه لأن << التعبير بالفعل يشير إلى حصول صبر ظاهري >>[1] ، و الصبر الظاهري يصحبه الامتعاظ و ليس ذلك مما قصده موسى عليه السلام لأنه ما سافر إلا ليتعلم.

ج- التعبير عن الاستقبال : في قوله - تعالى - : ﴿ **ولا تقولن لشيىء إني فاعل ذلك غدا** ﴾ الآية 23 ، و قوله : ﴿ **و إنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** ﴾ الآية 8 ، حيث أغنت صيغة اسم الفاعل عن حرف التنفيس و ساوته في الدلالة عن الاستقبال بزيادة معنى التوكيد الذي أفاده الحرف "إن".

3- الصفة المشبهة باسم الفاعل : تنوعت و تعددت صيغ الصفة المشبهة ؛

فمن صيغة "أفعل" قوله : ﴿ **لنبلوهم أيهم أحسن عملا** ﴾ الآية 7.

---

[1]- ينظر: الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 372/15.

و من صيغة "فعل" قوله : ﴿ **أن لهم أجرا حسنا** ﴾ الآية 2.

و من صيغة "فعل" قوله : ﴿ **تحسبهم أيقاظا** ﴾ (المفرد يقظ) الآية 18.

و من صيغة "فاعل" قوله : ﴿ **الذين يعملون الصالحات** ﴾ الآية 2.

و من صيغة "فعيل" قوله : ﴿ **فأصبح هشيما تذروه الرياح** ﴾ الآية 45.

و بالرغم من هذا التنوع فإن الصيغ كانت دالة في أغلب استعمالاتها على ثبات الصفة في الموصوف أو المبالغة في الوصف إلى حد أغنى فيه ذكر الصفة عن ذكر موصوفها ، و أظهر ما ورد ذلك في وصف الأعمال الخيرية بالصلاح حيث نابت صفة الصلاح (مفردا و جمعا) الموصوف (الأعمال) في خمسة مواضع هي :

- ﴿ **و بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات** ﴾ الآية 2.
- ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات** ﴾ الآية 30.
- ﴿ **و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا** ﴾ الآية 46.
- ﴿ **و أما من آمن و عمل صالحا** ﴾ الآية 88.
- ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات** ﴾ الآية 107.

و الموصوف في كل هذه الجمل هو العمل و قد لازمته صفة الصلاح حتى صارت كأنها هو ، بحيث إذا ذكرت تبادر إلى الذهن العمل و << حق الصفة أن تجري مع موصوفها إلا إذا ظهر أمره ظهورا يستغني معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه و إقامة الصفة مقامه >>[1].

4- اسم المفعول : كان في صيغة اسم المفعول الوحيدة في السورة في قوله – تعالى – : ﴿ **و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين و منذرين** ﴾ الآية 56 ، إشارة صريحة إلى أن وظيفة الرسل هي التبليغ بالبشارة أو الإنذار لا غير ، و في ذلك تعريض بمن سألوا الرسول – صلى الله عليه و سلم – عن خبر الفتية و الروح و الرجل الطواف لأنهم جهلوا أو تجاهلوا الغاية التي بعث من أجلها، و قد قال الله – تعالى – في آية أخرى ﴿ **و ما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾[2].

5- أسماء المكان و الزمان : بلغ عدد أسماء المكان اثني عشر اسما دلت جميعها على أمكنة وقوع أفعالها(كما هو الأصل) مع إضافة معنى التهكم في لفظ المرتفق من الآية 29

---

[1]- ابن يعيش : شرح المفصل ، مصدر سابق ، 59/3.

[2]- سورة العنكبوت : الآية 18

الا

لتعلقه بالنار حيث لا ارتفاق في النار لأن الارتفاق يعبر عن الرفق و الراحة و ليس أهل النار في شيء من ذلك و إنما سيق للتهكم و هو نظير التعبير عن العذاب بالغوث في قوله : ﴿ **و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل** ﴾ أو وصف النار بالسرادق[1] ، أو << للمقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا و عملوا الصالحات في الجنان وشتان شتان>>[2] ، و بذلك يكون اسم المكان قد أدى معنى بلاغيا زيادة عن معناه الصرفي.

أما أسماء الزمان فلم يتجاوز تواترها أربع مرات "موعد" في الآيات : 48، 49، 50 و "مهلك" في الآية 59 ، و قد عبرت جميعها عن يوم القيامة بوصفه الزمان المنتظر لحلول العذاب.

المطلب الأول : زمن الفعل :

الفعل ثاني أقسام الكلمة العربية ، يعرفه سيبويه بأنه << أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، و بنيت لما مضى ، و لما يكون و لم يقع ، و ما هو كائن لم ينقطع >>[3] ، وبتعبير آخر : << الفعل ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم و الزمن جزء منه >>[4].

و لأن الذي يعنينا من حال الأفعال في هذه الدراسة هو الفعل المتصرف فإننا نورد في تعريفه أن << الأفعال المتصرفة هي التي تختلف أبنيتها باختلاف أزمنتها؛ فيأتي من مادتها الماضي و المضارع و الأمر و المشتقات >>[5].

---

[1]- ينظر : الطاهر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، 309/15.

[2]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، 2269/4.

[3]- سيبويه: الكتاب، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ط3 ، (1408هـ1988م)، 12/1.

[4]- أحمد الحملاوي : شذى العرف في فن الصرف ، مصدر سابق ، ص 10.

[5]- المصدر نفسه : ص 09.

و الفعل بالتقسيم الزمني ثلاثة ؛ ماض و مضارع و أمر :

أولا – الفعل الماضي : هو << ما دل على حدوث شيء قبل زمن المتكلم نحو قام ، قعد ، أكل ، شرب ، و علامته أن يقبل تاء الفاعل ؛ نحو قرأت، و تاء التأنيث الساكنة نحو قرأت هند >>[1] ، و قد بلغ عدد الأفعال الماضية في السورة ستة أفعال و مئتين ، و هي الأفعال الماضية صيغة سواء أكانت دالة على الماضي أم خرجت إلى الاستقبال ، و سنهتم في هذا المبحث بالأفعال الماضية أصالة (صيغة و معنى) ، و بالتي خرجت دلالتها للاستقبال ، ونبحث في دلالة التعبير بصيغة المضي عن الاستقبال ، و نعتمد في تتبع هذه الصيغ والدلالات على الإحصاء ثم الوصف و التحليل كلما كان ذلك ممكنا ، و نجتزىء بالتمثيل حين يكون في الإحصاء إطناب تنوء به صفحات البحث.

1–**الأفعال الماضية صيغة و معنى** : جاءت على صنفين؛ أفعال مقترنة بالحرف " قد " وأخرى غير مقترنة به.

أ– الأفعال الماضية غير المقترنة بالحرف " قد " : هي أفعال كثيرة نكتفي بالتمثيل لها من خلال عينة اعتباطية من ثلاثة أفعال :

– " أوى " من قوله تعالى : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾ الآية 10 ،

– " ضرب " من قوله تعالى : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف**

– "قال" من قوله تعالى :﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ الآية 21.

وهي أفعال دالة على أحداث وقعت في الماضي سواء بالنسبة لزمن نزول الآيات أو لأي زمان يكون بعده لأنها متعلقة بوقائع ماضية و لم يقترن بها ما يخرجها عن دلالة وضعها الأول فهي ماضية صيغة و زمنا ، و لعل تكثيف هذا النوع من الأفعال عائد إلى طبيعة السورة القصصية التي يعتمد السرد فيها على مثل هذه الأفعال ، فضلا على أن التعبير بالصيغة "فعل" من بعض معانيه الدلالة على أن الأحداث المعبر عنها بها ليس مما فيها تجدد ، كما في الفعل "قال" الأخير الذي كان إيثار صيغة المضي فيه في مقابل صيغة المضارع في الفعل " يتنازعون " الذي يسبقه مباشرة[2].

ب– الأفعال الماضية المقترنة بـ "قد" : جاءت في سبعة مواضع من الآيات : 14 ، 54 ، 62 ، 71 ، 74 ، 76 ، 91 ، و أفادت جميعها المعنى الأول من معاني "قد" و هو التحقق

---

[1]– المصدر نفسه : ص 17.

[2]– ينظر : الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 235/15.

لأن << قد إذا وقعت أمام الفعل الماضي أفادت التحقيق إطلاقا >>[1] ، و بخاصة في الأفعال : "لقد قلنا" ، "لقد صرفنا" ، "لقد لقينا" ، "لقد جئت" ، حيث اتصل بها لام القسم الذي زاد الخبر تأكيدا و نقله – بالتعبير البلاغي – من الطلب إلى الإنكار.

أما تقريب الماضي من الحال الذي هو أحد معاني "قد"[2] ، فإنه متحقق في الآية 14 ﴿ **لقد قلنا إذا شططا** ﴾ ؛ ذلك أن الغلو أو الشطط يقع بمجرد صدور فعل القول المعبر عن الشرك ، و لا يلزم لتحققه حدوث الأفعال الدالة عليه ، و كذا في الآيتين 62 ، 76 : ﴿ **لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** ﴾ ، و ﴿ **قد بلغت من لدني عذرا** ﴾ حيث يكون التعب مواليا لنهاية السفر و لصيقا به ، و العبد الصالح يكون قد بلغ العذر من موسى عليه السلام و تحلل من رفقته بمجرد صدور الاعتراض الثالث منه.

2– الأفعال الماضية الدالة على المستقبل : هي الأفعال التي صيغتها الصرفية ماضية و دلالتها الزمنية ليست كذلك، ويدخل هذا المعنى الفعل الماضي عند اقترانه بأسماء الشرط أو حروفه.

أ– الأفعال المقترنة بأسماء الشرط : يتعلق الكلام في هذا المقام بالظرف "إذا" الذي ارتبط بالفعل الماضي في أربع جمل هي : ﴿ **إذا طلعت تزاور عن تقرضهم** ﴾ ، ﴿ **اذكر ربك إذا نسيت** ﴾ ، ﴿ **إذا جاء وعد ربي جعله دكاء** ﴾ ، الآيات : 17 ، 24 ، 98.

و نحن هنا أمام رأيين لغويين ؛ يعرف الأول "إذا" – هذه – بأنها << ظرف لما يستقبل من الزمان (و للماضي بقرينة) متضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق بجوابه غير جازم >>[3] ، و بانتظام الأفعال الماضية في سياق الشرط – الذي تعبر عنه إذا– تتمحض للدلالة عن المستقبل الكامن في مفهوم الشرط ذاته إذ لا معنى للاشتراط في المضي، و يرى الثاني أن الفعل الماضي إذا اقترن "بإذا" لا يدل على الزمن الحقيقي[4] كقوله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾ ، و الذي نفهمه من الزمن الحقيقي التعيين أي أن الفعل غير مرتبط بزمن بعينه ؛ و إذا كان هذا التعريف يتوافق مع الفعل "نسيت" من الآية السابقة لدلالته عن المضي

---

[1]– جرجس عيسى الأسمر : قاموس الإعراب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7 ، 1979م ، ص 69.

[2]– ينظر : علي الحمد و يوسف الزعبي ؛ المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 230 و المهدي المخزومي؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 1964م ، ص 151 ، 152.

[3]– علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، ص 35.

[4]– ينظر : مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه ، ، مرجع سابق ، ص 153.

لأن الآية عتاب للنبي – صلى الله عليه و سلم – ، و عن الحاضر والمستقبل من حيث كونه توجيها للنبي – صلى الله عليه و سلم – و المسلمين في قابل أقوالهم، فإنه لا ينسحب على الفعلين "طلعت" ، "غربت" إذ المعتبر في الكلام هو زمان طلوع الشمس أو غروبها أي كلما طلعت تزاور عن كهفهم ، و كلما غربت تقرضهم ، و هذا ما يستفاد من معنى التكرار والتجدد الكامن في الفعلين المضارعين " تزاور " و " تقرضهم " كما سنرى في المبحث الموالي.

ب– الأفعال المقترنة بحروف الشرط :

يتعلق الكلام هنا بحرف الشرط " إن " التي << إذا وقع بعدها الماضي حولته إلى الاستقبال >>[1] ، اقترنت بالفعل الماضي في ثلاث جمل من الآيات: 36 ، 70 ، 76 ، وكانت الأفعال الثلاثة دالة على المستقبل نمثل لها بقول صاحب الجنيتين ، ﴿ **لئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** ﴾ الآية 36 ، لأن صاحب الجنتين – كما كل الخلائق – سيرد إلى ربه يوم القيامة.

والأداة "لو" التي تعرف بأنها << حرف لما كان سيقع لوقوع غيره >>[2] ، وارتبطت بالفعل الماضي في أربع جمل من الآيات 18 ، 77 ، 109 ، و كانت دلالة الأفعال المقترنة بها أقرب إلى النفي منها إلى الشرط و مثال ذلك قوله – تعالى – ﴿ **لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي** ﴾ الآية .109

3– دلالة التعبير بالماضي عن الاستقبال :

كان للتعبير بالماضي عن الاستقبال دلالات متعددة أهمها :

أ– تحقق الوقوع : قال – تعالى – : ﴿ **و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ الآية 47.

و قال أيضا : ﴿ **و عرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ الآية 48.

و قال كذلك ﴿ **و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصور فجمعناهم جمعا، وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ (الآيتان : 99 ، 100).

الملاحظ أن أفعال هذه الآيات كلها متعلقة بالمستقبل و هو يوم الحساب ، فلماذا ترد في صيغة الماضي و لا تقترن بالأداة التي تحول دلالتها إلى الاستقبال تماشيا مع زمن الحدث الذي تعبر عنه ؟

---

[1]– علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، 290.

[2]– المصدر السابق 288.

في التعبير بالماضي عن المستقبل في الفعل "حشرناهم" ، يقول صاحب التحرير والتنوير << يجوز أن نجعل جملة "حشرناهم" معطوفة على جملة "نسير الجبال" على تأويل "حشرناهم" بـ "نحشرهم" بأن أطلق الفعل الماضي على الاستقبال تنبيها على تحقق وقوعه >>[1].

و بنفس الكلام علّق على الفعل " نفخ "[2] ، و هو حكم يمكن سحبه على كل فعل ماض صيغة مستقبل حدثا مقطوع بتحققه كالفعل "رأى" من قوله – تعالى – : ﴿ **و رأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفا** ﴾ الآية 53 ، و الفعل "وضع" في قوله: ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه** ...﴾ الآية 49 ، والفعل "وجد" من قوله : ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا** ﴾ الآية 49 ، ودلالة التحقق هذه هي إحدى دلالات صيغة "فعل" كما يذكر الدكتور مهدي المخزومي في معرض إشارته إلى إغفال النحاة بعض أزمنة الفعل[3] .

و الملاحظ أن التعبير بمثل هذه الصيغة يرتبط كثيرا بآيات يوم الحساب و ما أعد فيه من جزاء و عقاب فكأنه –أي الأسلوب– وسيلة من وسائل التأكيد على صدقية وقوع هذا اليوم الذي طوته أستار الغيب حتى نفاه أناس ، و استبطأه آخرون فقال الله – تعالى – : ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾[4]، و قل جل شأنه : ﴿ **اقتربت الساعة و انشق القمر**﴾[5] ، و قال : ﴿ **اقترب للناس حسابهم و هم في غفلة معرضون** ﴾[6]. حتى كاد يطرد التعبير بالماضي عن يوم الحساب.

ب– تعجيل الوقوع : قال – تعالى – : ﴿ **و يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾ الآية 52 ، هذه الآية تصور إفحام المشركين يوم القيامة حين يأمرهم الله – تعالى – بمناداة من أشركوهم معه في الألوهية على سبيل التبكيت و الإذلال ، و لهول الموقف فإن المشركين يتعلقون بأبسط سبب يرون فيه بارقة أمل ، فيسارعون إلى تلبية أمر الله و يدعون شركاءهم أملا في إنقاذهم ، رغم علمهم بعدم جدوى ما يصنعون و<< أتى بالفعل

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 335/15.

[2]– ينظر : المصدر نفسه : 41/16.

[3]– ينظر : مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 155.

[4]– سورة النحل : الآية 1

[5]– سورة القمر : الآية 1

[6]– سورة الأنبياء : الآية 1

"دعوهم" في صيغة الماضي للدلالة على تعجيل وقوعه حينئذ حتى كأنه قد انقضى >>[1] ، و هذه الدلالة يؤكدها كذلك الدكتور مهدي المخزومي باعتبارها إحدى الدلالات التي تنطوي عليها الصيغة "فعل" التي يوقفها النحاة على زمن المضي بغير وجه حق[2].

جـ- الترتيب : ذكر هذا صاحب الكشاف في تفسير آية ﴿ **و يوم نسير الجبال و ترى الأرض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ الآية 47 ، فقال : << فإن قلت لم جيء بـ : "حشرناهم" ماضيا بعد "نسير" و" ترى" قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز و ليعاينوا تلك الأهوال و العظائم كأنه قيل و حشرناهم قبل ذلك >>[3] ، ونسجل هنا معنى آخر للماضي "حشرناهم" غير ذلك الذي تحدث عنه صاحب التحرير و التنوير حيث أوّله بمضارعه "نحشرهم"، و رأى أن صيغة المضي تشير إلى التحقق ؛ هذا المعنى هو وقوع حدث الحشر المعبر عنه بصيغة الماضي قبل حدثي التسيير و البروز بالرغم من ذكره بعدهما في بناء العبارة ، فتكون صيغة الماضي قد مكنت من تدارك ما كان [illegible] صيغة المضارع محلها ، و أعطت فرصة لذكر الأحداث بالترتيب الذي تجري عليه ، فزادت معنى آخر للتعبير هو التنبيه إلى مشاهدة أهوال يوم القيامة حين الحشر و هو معنى ما كان له أن يتحقق لو ورد الفعل بصيغة المضارع لأن دلالته عندئذ لا تتجاوز السرد ، بل إنها تفيد عكس المعنى المقصود في الترتيب ، و إذن فإن دلالة صيغة المضي في الفعل لها أهمية تتجاوز الزمن الصرفي الذي تدل عليه و مفهوم التحقيق الذي تحدث عنه صاحب التحرير و التنوير إلى الترتيب و الاستدراك الذين يشحنان الفعل ويكثفان الدلالة فيه.

و تلك دلالة أخرى تضاف إلى معاني الفعل الماضي – أو لنقل صيغة الفعل الماضي – و تجعلنا نجزم أن صيغة الماضي ليست وقفا على الزمن الماضي و أن النظرة إلى زمن الفعل ينبغي ألا تبقى أسيرة لصيغة صرفية بعينها ، بل يجب أن تأخذ في الحسبان ما يحيط بالفعل أو يجاوره من عناصر لغوية أخرى و سياقات كلامية متعددة ، و بخاصة حين يتعلق الأمر بالنص القرآني الذي يتجاوز التقسيمات الصرفية و يمتاز بتركيز المعاني وتكثيفها.

ثانيا : الفعل المضارع : المضارع هو أحد أقسام الفعل الثلاثة حسب التقسيم البصري إلى ماض و مضارع و أمر ، أو التقسيم الكوفي إلى ماض و مضارع و دائم ، و سمي مضارعا

---

[1]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 345/15.

[2]- ينظر : مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 153 ، 154 ، 155.

[3]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 392/2.

لأنه يضارع الاسم. أي اسم الفاعل في تحرك أوله و ثالثه و سكون ثانيه ، و قد هون الدكتور المخزومي من قيمة هذا التعليل و اعتبره تمحلا لا سند له[1] ، و المضارع اصطلاحا << ما دل على حدوث شيء في زمن المتكلم أو بعده ، نحو يقرأ و يكتب فهو صالح للحال أو الاستقبال >>[2] ، لكن الذي يلاحظه كل متتبع لزمن الفعل المضارع في اللسان العربي أنه كثيرا ما يخرج من زمن الحال أو الاستقبال إلى زمن المضي بدخول بعض الأدوات عليه ، أو يتحرر من الزمن أصلا فلا يدل على زمن محدد بل يشير إلى الحدوث في كل زمان ، أو يعبر عن استمرار الحدث في فترة من الزمن الماضي... وسنرى أمثلة لهذه الحالات من خلال كلامنا في الفعل المضارع الذي سيكون من ست نواح هي :

المضارع المطلق (بناء يفعل) ، المضارع الدال على الحال ، المضارع الدال على الاستقبال ، المضارع المنقلب إلى المضي ، المضارع الدال على النفي ، دلالات استعمال المضارع في المضي.

1- المضارع المطلق : تشمل هذه الصفة جميع الأفعال المضارعة التي لم تقترن بأداة أو قرينة تجعلها للحال فقط أو للاستقبال فقط أو تقلب معناها إلى الماضي أو النفي، و هذه الأفعال كثيرة نكتفي بالتمثيل لها بالفعل "تخرج" من قوله – تعالى – ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم** ﴾ فكلمة الشرك عند المشركين تخرج في الحال –أي حال بالنسبة للمتكلم– ويتجدد خروجها في المستقبل و لا يمكن أن يقصر حكم الآية على مشركين دون غيرهم أو على زمان دون آخر، لأن كلمة الشرك فظيعة مستنكرة في كل زمان ؛ حاضر أو مستقبل وإذ نقول حاضر أو مستقبل لأن الحكم عليها لا يكون إلا بعد صدورها ، و الفعل "يجادل" من الآية ﴿ **و يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ لأن جدل الكفار ما انفك قائما من عهد الرسول – صلى الله عليه و سلم – إلى يوم الناس هذا و إلى أن يرث الله ملكه.

2- المضارع الدال على الحال : هو الفعل المضارع المقترن بحرف يجعله خالصا للحال وفي السورة منه نوعان؛ أفعال مقترنة بـ "لا" النافية ، و أخرى مقترنة بلام الابتداء ، وكلاهما يعين المضارع للحال حقيقة أو تنزيلا[3].

---

[1]- ينظر : مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 115.

[2]- أحمد الحملاوي : شذى العرف في فن الصرف ، مصدر سابق ، 17.

[1]- علي الحمد و يوسف الزغبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 261 ، و أحمد الحملاوي ، شذى العرف في فن الصرف ، مصدر سابق ، 17.

و في السورة تسعة أفعال مضارعة مقترنة بـ "لا" النافية تضمنتها الآيات : 26 ، 30 ، 38 ، 49 ، 60 ، 69 ، 105 ، 108. و فعل واحد مقترن بلام الابتداء هو : ﴿ **لنتخذن عليهم** ... ﴾ الآية 21.

و الذي نلاحظه بعد تتبع معاني هذه الأفعال أن دلالة الفعل المضارع في بعض أحوال اقترانه بـ "لا" النافية لم تقع تحت عموم القاعدة الضابطة لمعنى الفعل المضارع حين يقترن بها لأن هذه الأخيرة لم تجعل بعض الأفعال التي اقترنت بها دالة على الحال دون الاستقبال – كما القاعدة – و إلا جاز لنا أن نقول – مثلا – لا يظلم ربك أحدا الآن الآية 49 ، وهذا يعني أنه يظلمه في غير الآن و هو محال في حق الله المتصف بالعدل ماضيا وحاضرا و أبدا ، و الحكم نفسه ينسحب على الأفعال : لا يشرك ، لا نضيع ، لا أشرك ، لا يغادر ، التي تعم دلالتها الحال و الاستقبال.

أما الأفعال : لا أعصى (69) ، لا نقيم (105) ، لا يبعون (108) ، فقد حقق دخول "لا" عليها دلالة معاكسة للقاعدة تماما حيث إن الفعل "أعصى" معطوف على الفعل المضارع "تجدني" (المقترن بحرف الاستقبال) بحرف التشريك "و" و ستجدني إن شاء الله صابرا و لا أعصي لك أمرا. و بالتالي فإن معنى الاستقبال يسري إليه و يشمله ، و الفعل "نقيم" (105) اقترن بقرينة "يوم القيامة" التي تجعله خالصا للاستقبال ، و كذا الحال في الفعل "يغادر" الذي يعود الضمير فيه على كتب الخلائق التي تعرض عليهم يوم الحساب.

و أما لام الابتداء في الفعل "اتخذ" من قوله ﴿ **لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ فإنه ليس في لفظ الكلام أو معناه ما يدل على أن اتخاذ المسجد كان مواليا للإعثار عن الفتية مباشرة إذ يجوز أنهم باشروا بناء المسجد فور اكتشافهم كما يجوز أنهم اتفقوا على البناء عند العثور عليهم و باشروه بعد ذلك ، بقليل أو كثير ، و كل ما يستفاد من الفعل تصميمهم على بناء المسجد كما تدل عليه نون التوكيد الثقيلة و اللام.

و عليه فإن الزمن في هذه الأفعال لم يخضع للقاعدة الصرفية بقدر ما أعطى الانقياد للسياق و الموقف الكلامي.

3– المضارع الدال على الاستقبال :

أ– **سـ + فعل مضارع** : اقترن حرف التنفيس "سـ" بالفعل المضارع في خمس آيات هي : 22 ، 69 ، 78 ، 83 ، 88.

ب- سوف + فعل مضارع : في السورة من هذه الصيغة حالة وحيدة هي قوله – تعالى – حكاية عن ذي القرنين : ﴿ **و أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا** ﴾ الآية 87.

و قد تمحضت الأفعال المقترنة بحرفي التنفيس "س" ، "سوف" للدلالة عن الاستقبال في الحالات الست المذكورة كما هو معنى الحرفين[1] مع إضافة معنى الاستمرار في الحدث ، الذي أفاده الفعل سيقولون (الآية 22) ، و معنى التراخي الذي أفاده الفعل المقترن بـ "سوف" تماما كما هو معنى الحرف ؛ ذلك أنه << أشد تراخيا في الاستقبال من السين >>[2] ، و هذا على كلا الاعتبارين في معنى التعذيب الذي يعبر عنه الفعل "نعذبه" سواء أكان تعذيب الدنيا بالقتل بالسيف[3] ، و هذا لما هو عليه حال الملوك و الحكام في كل العصور من تمسك واستمرار على الجناة بحيث يستوي تعجيل عقابهم أو تأجيله و لعل في التأجيل فرصة لمزيد النظر في أمرهم و إننا لنرى في عصرنا أن بين إصدار القرارات و تنفيذها زمنا معتبرا ، أم كان تعذيب الدنيا و الآخرة معا[4] ، لما بين عهد ذي القرنين و قيام الساعة من أمد لا يعلمه إلا الله.

جـ- أن + فعل مضارع : و صل عدد الأفعال المضارعة المقترنة بالحرف المصدري "أن" إلى واحد و عشرين حالة تضمنتها الآيات : 24 ، 35 ، 40 ، 55 ، 57 ، 63 ، 66 ، 77، 79 ، 80 ، 81 ، 86 ، 94 ، 97 ، 102 ، 109.

و تعرف قواميس اللغة "أن" هذه بأنها << حرف نصب و مصدر و استقبال تنصب المضارع و تعين وقوعه في زمن الاستقبال >>[5] ، و الذي نلاحظه من استقراء هذه الآيات أن معنى الاستقبال لم تؤده "أن" وحدها إنما آزرتها فيه بعض القرائن الأخرى ؛ كما الحال في قوله – تعالى – : ﴿ **عسى أن يهديني ربي ...** ﴾ الآية 24 و قوله : ﴿ **عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك** ﴾ الآية 40 لأن الفعلين "يهديني" ، "يؤتيني" لم يفيدا الاستقبال من اقترانها بـ"أن" فقط ولكن لأن المصدر المنسبك من اقترانهما بـ : "أن" معمول لحرف الترجي " عسى" المرتبط بالمستقبل. وكذا الفعل "يشاء" من قوله ﴿ **و لا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء**

---

[1]- المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[2]- علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، 184.

[3]- ينظر : الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 34/16.

[4]- ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق 401/2.

[5]- علي الحمد و يوسف الزغبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 75 و جرجس عيسى الأسمر ؛ قاموس الأعراب ، مصدر سابق ، 18.

الله ﴾ الآية 23 الذي اعتضد في صرف دلالته للمستقبل كل من "أن" و لفظ "غدا" ، والفعل "تبيد" من قوله : ﴿ **ما أظن أن تبيد هذه أبدا** ﴾ الآية 35 حيث اجتمعت "أن" مع لفظ "أبدا" الدال على استغراق زمن الاستقبال في توجيه دلالة الفعل تبيد إلى المستقبل.

د- "إن" الشرطية + فعل مضارع : من هذه الصيغة أربع حالات هي :

﴿ **فإنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ...**﴾ الآية 20 ، ﴿ **و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه** ﴾ الآية 29 ، ﴿ **إن ترن أنا أقل منك مالا و ولدا فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ...**﴾ الآية 39 ، ﴿ **إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ الآية 57.

~~و الفعل "يظهروا" من الآية الأولى~~ دال على الاستقبال لأن جملة

أي قبل أن يظهر الله عليهم الناس، و الفعل "يستغيثوا" من الآية الثانية متعلق بحال الكفار يوم القيامة أو في جهنم و هو مستقبل لا ريب فيه ، و الفعل "ترن" من الآية الثالثة فعل شرط في رأي كثير من المفسرين ، و جوابه ﴿ **عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك** ﴾ ، على تقدير: << إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنيع الله – تعالى – أن يقلب ما بي و ما بك من الفقر و الغنى... و قيد بعضهم هذا الإيتاء بالآخرة >>[1] ، و الفعل "تدعهم" في الآية الأخيرة دال على الاستقبال لانتظامه في أسلوب الشرط من جهة ، و لارتباطه من جهة أخرى بالفعل الذي بعده "يهتدوا" المنفي بـ "لن" و هي مما يعين المضارع للاستقبال[2].

و من ثم فإن اقتران "إن" الشرطية بالفعل المضارع في السورة جعل زمانه خالصا للاستقبال.

هـ- من + فعل مضارع : منها حالتان اثنتان وردتا في الآية السابعة عشرة في قوله جل شأنه : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ ، والواقع أن الهداية و الإضلال مسألة مذهبية يطول الكلام فيها لذلك فلا نقول فيها أكثر من أن مفهومها في هذه الآية شامل لمعنى الزمن كله ماضيه و حاضره و مستقبله فهي تتجاوز الزمن الصرفي و تقسيماته حتى و إن كان المقام يخص المتحدث عنهم و هم أصحاب الكهف لأن المعنى << أنهم كانوا مهتدين لأن الله هداهم فيمن هدى >>[3].

و- لام الأمر + فعل مضارع : لام الأمر موضوع للطلب أساسا سواء أكان حقيقة أم دعاء أم التماسا[4] ، فهو ينقل الفعل المضارع من الدلالة على الحدوث الحالي أو الاستقبالي إلى طلب

---

[1]- الألوسي : روح المعاني ، 280/15.

[2]- ينظر : علي الحمد و يوسف الزعبي ؛ المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 287.

[3]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 280/15.

[4]- ينظر : علي الحمد و يوسف الزعبي ، معجم النحو الوافي ، مصدر سابق ، 261.

الحدوث ، أي الأمر بمعانيه الثلاثة التي لا تعبر إلا عن المستقبل و قد اقترن لام الأمر بستة أفعال مضارعة هي :لينظر، ليأتكم ، ليتلطف ، ليؤمن ، ليكفر ، ليعمل ، من الآيات : 19 ، 29 ، 110 على التوالي ، وهي كلها أفعال دالة على الاستقبال بزيادة معنى التسوية المكني بها عن الوعد والوعيد في الفعلين يؤمن ، يكفر من الآية 29 مع الترغيب في الإيمان الذي يشير إليه تقديم "يؤمن" على "يكفر" في الذكر[1].

ز- لام التعليل + فعل مضارع : منها سبع حالات هي : لينذر، لنبلوهم ، لنعلم ، ليعلموا ، ليدحضوا ، لتغرق من الآيات : 2 ، 7 ، 12 ، 21 ، 56 ، 71 على التوالي.

و دلالة الأفعال المقترنة بلام التعليل في هذه الآيات هي الاستقبال كما يفيده معنى التعليل الذي تتشكل عبارته من فعلين يكون الثاني علة للأول و يكون الأول سابقا عليه و الفعل الذي سبق "ينذر" هو "أنزل" و الذي سبق "نبلوهم" "جعلنا" ، و الذي سبق "نعلم" "بعثناهم" ، و الذي سبق "يعلموا" "أعثرنا" ، والذي سبق "يدحضوا" "يجادل" ، و الذي سبق "تغرق" "خرقتها" ، وقد كانت أفعال التعليل ذات دلالة مستقبلية لأن العامل فيها "أن" المضمرة جوازا بعد لام التعليل و قد رأينا أن "أن" تحصر دلالة المضارع في الاستقبال.

أما جملة "و كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم" فإن اللام فيها بمعنى الفاء أي << بعثناهم فتساءلوا >>[2] ، فهي لام العاقبة.

حـ- حتى + فعل مضارع : آيتان اثنتان تضمنتا هذه الصيغة :

﴿ **لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا** ﴾ الآية 60.

﴿ **لا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا** ﴾ الآية 70.

"حتى" في هاذين الاستعمالين غائية ، و مقتضى الغاية ملازمة المستقبل لأنها تتعلق بما لم يقع بعد و يرتجى وقوعه ، و من ثم كان زمن الفعل الذي يقترن به حرف الغاية دالا على محض الاستقبال و هذا حال فعلي هاتين الآيتين حيث تعلق الأول منهما بهدف رحلة موسى – عليه السلام – و هو بلوغ مجمع البحرين ، حيث العبد الصالح و ارتبط الثاني بتفسير العبد الصالح لأفعاله الذي لا يكون إلا بعد إحداثها ، و كلاهما مستقبل.

ط- لا الناهية + فعل مضارع : << لا الجازمة و تسمى لا ا
المضارع فتجزمه و تخلصه للاستقبال سواء أفادت النهي حقيقة أم تنزيها أم دعاء أم التماسا >>

[1]- ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 307/15.

[2]- المصدر السابق ، 284/15.

[1] ، و نفيها متعلق بما تمادى زمانه قياسا على امتداد صوت الألف فيها[2]. وقد جاء منها في السورة إحدى عشرة حالة هي : لا يشعرن ، لا تمار ، لا تقولن ، لا تطع، لا تعد ، لا تسألني ، لا تؤاخذني ، لا ترهقني ، لا تصاحبني ، لا يشرك ، : من الآيات : 19 ، 22 ، 23 ، 28 ، 70 ، 73 ، 76 ، 110 ، على التوالي.

و قد كان النهي حقيقيا في الأفعال "تمار" ، "تستفت" ، "تقولن" ، "تطع" ، "تعد ، "يشرك" لكونه من الله – تعالى – إلى رسوله – صلى الله عليه و سلم – أو لكافة العباد ، وفي الفعل "تسألني" لأنه من العبد الصالح و هو الأعلى منزلة لأن موسى كان بإزائه تلميذا و هي الصفة التي أحالت معاني الأفعال "تؤاخذني" ، "ترهقني" ، "تصاحبني" إلى الطلب ، أما الفعل "يشعرن" فهو للالتماس لأنه صادر من بعض الفتية إلى أحدهم و كلهم في مرتبة واحدة.

ي– لن + فعل مضارع : << لن حرف بالإجماع بسيطة و ليست مركبة من : "لـ" و "أن" خلافا للخليل ، و هي حرف نفي و نصب و استقبال تختص بالمضارع فتنصبه دائما و تنفي مضمونه بعد إثبات و تعين وقوعه في زمن المستقبل ، و هي لا تفيد التأبيد المطلق خلافا للزمخشري الذي حملها التأبيد المطلق >>[3]. إلا أن الأفعال التي اقترنت بـ " لن " وقد بلغ عددها أحد عشر فعلا دلت كلها على الاستقبال و لكن بمعنى التأبيد المطلق و لنرى ذلك في الآيات التي تضمنت الصيغة :

- ﴿ **لن ندعوا من دونه إلـها** ﴾ الآية 14، معلوم أن توحيد الله أمر مؤبد في حياة كل موحد و إلا انتفى مفهوم العقيدة الذي لا يقبل الرّدّة.
- ﴿ **... و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ الآية 17، و هو أمر قطعي كذلك إذ لا يمكن أن يرشد العبد من أضل الله ، و لا تقوى إرادة المخلوق على تغيير إرادة الخالق في كل الأزمان.
- ﴿ **إنـهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم و لن تفلحوا إذا أبدا** ﴾ الآية 20. الفتية أمام احتمالين إن ظهر عليهم القوم؛ إما أن يرجموهم فيموتوا و من ثم ينتفي فلاحهم بموتهم ، أو يعيدوهم إلى الشرك فينتفي فلاحهم بخروجهم من العقيدة الصحيحة ، والتأبيد في هذه الآية مؤكد لفظيا بقوله "أبدا".

---

[1]– علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 272.

[2]– ينظر : عبد الجبار توامة ؛ الفعل و أزمنته في اللغة العربية ، قرائنه و جهاته – دراسات في النحو العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 1994م ، ص 18.

[3]– علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 287 ، 288.

- ﴿ **و اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحدا**﴾ الآية 27. و الملتحد الملجأ[1] ، و أي ملجأ يفر إليه الإنسان من الله ؛ اليوم أو غدا إن هو أعرض عنه ، فلا ملجأ منه إلا إليه.
- ﴿ **... أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** ﴾ الآية 41 ، الجملة مقطع من كلام وجهه صاحب ذي الجنتين له يؤنبه فيه على كفره و يعلمه أن الله كما أعطاه الجنة قادر على إتلافها بحسبان من السماء أو بغور مائها بحيث يتعذر طلبه لان الفاعل هو الله ومن ثم فإن النفي تأبيدي كذلك.
- ﴿ **قال إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآيات 67 ، 72 ، 75 ، خطاب من العبد الصالح لموسى – عليه السلام – قبل ابتداء الرحلة و في أثنائها، وواقع الرحلة أكد أن موسى لم يستطع أن يصبر على أفعال العبد الصالح التي كان ظاهرها منكرا و هو مأمور بتغيير المنكر ، إلا أن عدم الاستطاعة مقرون بجهله بها و هو مستمر في معارضة الأفعال ما استمر جاهلا بها ، و قد عضد هذا النفي قوله : ﴿ **و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ﴾ و هو استفهام إنكاري فيه إشارة إلى أن موسى لا يتوقع منه إلا الإنكار.
- ﴿ **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا** ﴾ الآية 48. الخطاب موجه للكفار و المشركين يوم الحساب تذكيرا لهم – على جهة الإذلال و التبكيت – بما زعموا في حياتهم ، و قد أفادت "لن" نفي الحدوث في الاستقبال ؛ لأن الفعل متعلق بيوم القيامة ، كما أفادت تأبيد هذا النفي لأن المشركين لا يعتقدون وجود يوم البعث و الحساب و ما قصة أهل الكهف إلا دليل على اختلافهم في أمر البعث ؛ قال الله – تعالى – في سورة أخرى حكاية عن عقيدتهم : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر** ﴾[2].
- ﴿ **إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ الآية 57؛ فعل الهداية في هذه الآية منفي نفيا مؤبدا لاقترانه بـ "لن" ، و لوجود لفظ التأبيد "أبدا" ، و لكونه مسبوقا بقوله – تعالى – : ﴿ **إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم وقرا** ﴾؛ فالله قد عطل فيهم طرق الهداية من سمع بالآذان أو تدبر بالقلوب.
- ﴿ **بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا** ﴾ الآية 58 ، فعل الوجود في هذه الآية مقطوع بتأبيد نفيه كذلك إذ لا فرار من يوم الحساب.

---

[1]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 387/2.

[2]– سورة الجاثية : الآية 24.

و منه فإن جميع الأفعال المضارعة التي اقترنت بـ"لن" كانت دالة على نفي الحدوث في المستقبل ، و تلك إحدى دلالات زمن الفعل في السورة.

ك- لولا + فعل مضارع : ورد التركيب في قوله – تعالى – : ﴿ **لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ الآية 15. و قد انصرف معنى الفعل في هذه الآية إلى التبكيت و التغليط والتوبيخ خلافا للقاعدة لأن "لولا" << تفيد التوبيخ مع الماضي ، أما مع المضارع فتفيد التحضيض >>[1] ، و لعل في دلالة الفعل و سياق الآية ما يشمل الماضي لان تقديم السلطان البين على ما يعبدون ليس في الآية ما يربطه بالحاضر أو المستقبل دون الماضي و لعل الماضي أحرى به حتى يكون العابد على بصيرة و اقتناع بأحقية من يعبد ، ولأن الإتيان بالحجة على أحقية الآلهة بالألوهية غير ممكن فإن معنى الفعل يفيد التغليط والتبكيت[2] أي أنه لا يقع أصلا.

ل- هل + فعل مضارع : حالة وحيدة هي قوله – تعالى – في الآية السادسة و الستين على لسان موسى – عليه السلام – مخاطبا العبد الصالح : ﴿ **هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** ﴾ و اقتران الفعل المضارع بالحرف "هل" جعله خالصا للاستقبال لأنها <<إذا دخلت على المضارع خصصته للاستقبال>>[3] ، كما أن اختيار الحرف "هل" المختص بالتصديق الإيجابي[4] يعني أن موسى عليه السلام كان مطمئنا إلى موافقة العبد الصالح على طلبه و من ثم فإن إتباعه له كان منتظرا أيضا.

م- كيف + فعل مضارع : في قوله – تعالى – في الآية الثامنة و الستين على لسان العبد الصالح مخاطبا موسى عليه السلام : ﴿ **و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ﴾ و الفعل في هذه الآية منصرف إلى الإنكار و النفي أي << و أنت لا تصبر على ما لم تحط به خبرا >>[5].

---

[1]-علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 293 و جرجس عيسى الأسمر ، قاموس الأعراب ، مرجع سابق ، 95..

[2]- ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 275/15.

[3]- علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، 343.

[4]- ينظر : المصدر نفسه ، 342 ، 343.

[5]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 372/15.

4- المضارع الدال على الماضي : نستهدف في هذا المبحث الفعل الذي صيغته الصرفية صيغة مضارع و زمانه الحقيقي ماض و هو هنا مقترن بأحد حرفين هما : "لم" و "لو" ، أو كان أو إحدى أخواتها.

أ- لم + فعل مضارع : تسمى لم حرف نفي و جزم و قلب[1] ، و تعنينا هنا صفتها الأخيرة وهي قلب دلالة المضارع من الحضور أو الاستقبال إلى المضي و هي<< تدخل على الفعل المضارع لتنفي حصول مضمونه في الماضي >>[2] و قد اقترنت [illegible] عشر موضعا : لم يجعل ، لم يؤمنوا ، لم تظلم ، لم أشرك، لم تكن ، لم نغادر ، لم يستجيبوا ، لم يجدوا ، لم تحط ، لم أقل ، لم تستطع ، لم تسطع ، لم نجعل من الآيات : 1 ، 6 ، 33 ، 42 ، 43 ، 47 ، 52 ، 53 ، 68 ، 75 ، 78 ، 82 ، 90 على الترتيب.

و الملاحظ أن معنى المضي في هذه الأفعال معزز من طرق أخرى كالعطف على الأفعال الماضية ، تارة بالواو ؛ كعطف "لم نجعل" على "أنزل" من الآية 1 ، و "لم تظلم" على "آتت" من الآية 33 ، و تارة بالفاء ؛ كعطف "لم نغادر" على "حشرناهم" من الآية 47، و "لم يستجيبوا" على "دعوهم" من الآية 52 ، أو عطف أفعال ماضية عليها ؛ كعطف الفعل "جعلنا" على "لم يستجيبوا" من الآية 52 ، أو دخول هذه الأفعال تحت حكم أفعال ماضية سابقة عليها كدخول "لم أقل" من الآية 75 ﴿ **قال ألم أقل لك...** ﴾ تحت تأثير "قال" لأنها مقول القول ، و وصول معنى المضي ، الكامن في الفعل "وجد" من الآية 90 ﴿ **وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** ﴾ إلى "لم نجعل" لأن لم نجعل وقع صفة لمعمول حرف الجر المتعلق بالفعل "تطلع" و هو بدوره معمول لـ "وجد" لأن جملته هي المفعول الثاني للفعل "وجد"، و بالرغم من أن هذا الكلام من صميم علم التراكيب الذي سنفصل فيه لاحقا إلا أنه يمتد إلى الصرف لكونه عاملا محددا لزمن الفعل.

ب) لو + فعل مضارع : جاءت الصيغة في قوله – تعالى – : ﴿ **لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب** ﴾ الآية 58 ؛ و "لو" تحيل معنى الفعل المضارع الذي تدخل عليه من الحال أو الاستقبال إلى المضي[3] ، و هي كذلك في هذه الآية لأن المعنى أنهم أحرياء بتعجيل العقوبة و لكن الله المتصف بالغفران و الرحمة يمهلهم إلى أمد معلوم مقدر[4].

---

[1]- علي الحمد و يوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 285.

[2]- المهدي المخزومي : في النحو العربي ، نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 151 .

[3]- ينظر : علي الحمد و يوسف الزعبي ؛ المعجم الوافي في النحو العربي ، 289.

[4]- ينظر: الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 357/15.

جـ- كان/أصبح + فعل مضارع : من الأولى قوله – تعالى – : ﴿ **ذلك ما كنا نبغ** ﴾ الآية 64. و قوله : ﴿ **و كانوا لا يستطيعون سمعا** ﴾ الآية 101 . و من الثانية قوله : ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها** ...﴾، (الآية 42)، و "كان" أو "أصبح" مع الفعل المضارع تستعمل << للتعبير عن استمرار الحدث في فترة من الزمان الماضي >>[1] ، و إذا أسقطنا هذه القاعدة على الآية الأولى وجدنا أن موسى و فتاه كانا يبتغيان افتقاد الحوت طوال فترة الرحلة و قبل أن ينتبها لسربه إلى البحر و هي فترة مستمرة التي اكتشف فيها تسربه إلى البحر ، و عدم الاستطاعة في الآية الثانية مرتبط بفترة من الماضي لأنها متعلقة بما قبل يوم القيامة. و "يقلب" من الجملة الأخيرة أيضا هي في حكم الماضي لأن تقليب الكفين كناية عن الحسرة ، و لا تكون الحسرة إلا على فعل مضي كحال الجنة التي أحاط بها قدر الله فصارت خرابا يبابا.

و إذا كان من نتيجة نخلص بها في نهاية هذا المبحث فإنها تعدد دلالات صيغة المضارع حيث وجدنا أنها لا تنحصر في الحال أو الاستقبال ولا حتى في المضي فهو أحيانا يدل على الحال وحده ، وأحيانا يدل على الاستقبال وحده ، وأحيانا يشملها معا ، وأحيانا أخرى ينقلب إلى الماضي ، و قد لا يدل على زمان أصلا بل يفيد أن الحدث لم يقع بالمرة كقوله – تعالى – : ﴿ **لا يكادون يفقهون قولا** ﴾ (الآية 93).

دلالة التعبير بالفعل المضارع

للفعل المضارع دلالة الحال أو الاستقبال المتضمنة في صيغته الصرفية إن هو لم يقترن بأي أداة ، و دلالة الحدث التي تنطوي عليها حروفه المعجمية ، لكن النص القرآني أشربه دلالات أخرى فوق الزمن و الحدث هذه نماذج منها :

أ-التكرار و التجدد : قال – تعالى – : ﴿ **و ترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و إذا غربت تقرضهم ذات الشمال** ﴾ الآية 17.

[1]– المهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد وتوجيه ، مرجع سابق ، 158.

يتعلق الأمر في هذه الآية بقصة أصحاب الكهف و هي ماضية موغلة في المضي سواء بالنسبة لزماننا أو لزمان نزول الآية ، و لكن السياق القرآني يختار للتعبير عن حركة الشمس صيغة المضارع في "تزاور" و "تقرضهم" إشارة إلى أن هذا الحدث متجدد كل يوم[1].

و قال كذلك : ﴿ **و تحسبهم أيقاظا و هم رقود و نقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال** ﴾ الآية 18. يتعلق الفعلان "تحسبهم" و "نقلبهم" من هذه الآية بالقصة ذاتها؛ و هما مضارعان بالرغم من زمن القصة الماضي ، لذلك فإنه لابد لهذا العدول الزمني من دلالة إضافية يحددها صاحب التحرير و التنوير بالتكرار و التجدد مدة طويلة لأن المضارع في "نقلبهم" بحسب الزمن المحكي و لا يلزم أن يكونوا كذلك وقت نزول الآية[2] ، و يمكن أن نلاحظ كذلك أن الضمير في "تحسبهم" لغير معين و من ثم أمكن تعدد القائل فيه ، أي كما يحسبهم فلان الذي مر بكهفهم اليوم يحسبهم الآخر الذي يمر به غدا... و هكذا ، و عليه فإن للفعل "تحسبهم" دلالة أخرى هي التعدد ، و هو نوع من التكرار.

و في الفعل "يقول" من الآية ﴿ **و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا** ﴾ الآية 42. شاهد آخر على إشارة المضارع إلى التكرار حيث إن استبدال " قال " التي تشير إلى الفراغ من الفعل و إتمامه – و هو مكانها الطبيعي باعتبار زمن القصة بـ : "يقول" فيه تعبير عن تكرار فعل القول الذي يعكس شدة الأسف و الندم الذي حل بصاحب الجنتين ، وفيه إيجاز كبير لما صدر عن صاحب الجنتين من أقوال كثيرة شأن المصاب الذي يشكو مصيبته لكل من يلقاه.

ب–استحضار الحال : في قوله – تعالى – : ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾ الآية 5.

ترتبط هذه الآية بالتي قبلها بالضمير "هم" من قوله : ﴿ **ما لهم به من علم و لا لآبائهم** ﴾ ، والآية التي قبلها هي قوله : ﴿ **و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ التي اختلف المفسرون في المقصودين بالخطاب فيها ؛ فمن قائل بأنهم النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ، و من قائل بأنهم مشركو العرب الذين قالوا نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله[3] ، وأيا كان المقصود بالخطاب فإن الذي يعنينا منه في هذا المقام هو زمانه حيث نلاحظ اجتماع صيغتي

---

[1]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 278/15.

[2]– ينظر : المصدر السابق ، 281/15.

[3]– ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 135/4.

الماضي و المضارع في الفعلين "كبرت" ، "تخرج" ، و إذا كان الماضي مستعملا في الحقيقة فماذا وراء صيغة المضارع ؟

إن المضارع في الفعل "تخرج" مستعمل زيادة عن مفهوم الحدث في تصوير فظاعة النطق بمثل هذه الكلمة التي لا مصدر لها غير أفواه المشركين و لا سند لها إلا إفكهم و افتراؤهم و لذلك كانت صيغة المضارع لاستحضار الحالة و تصويرها بما يقرب فظاعتها ممن لم يشهد سماعها[1] ، و إنها لحالة فظيعة حقا أحسن التعبير عنها سيد قطب حين قال : "و بجعل هذه الكلمة تخرج من أفواههم خروجا كأنما تنطلق منه جزافا و تندفع منه اندفاعا"[2].

و قوله : ﴿ **و كذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق و أن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ...**﴾ الآية 21.

التعبير بصيغة المضارع بدل الماضي في الفعل "يتنازعون" يحمل كذلك دلالة أكثر من معنى الحدث و الزمان هي << استحضار حالة التنازع >>[3].

و نحن حين نقرأ الآية يستوقفنا حقا هذا الفعل حتى لكأننا نعاين أهل المدينة و قد قاموا على باب الكهف و كل يقدم مقترحه فيهم ، و من ثم فإن الصيغة الصرفية التي ورد بها الفعل تجعلنا كقارئين غير معاصرين للحدث نتصور الناس قياما على الكهف و قد اشتد الاختلاف بينهم و كل ينزع إلى رأي و ينتزع له الحجة و هذا ما يسميه سيد قطب التصوير الفني في القرآن.

جـ- التكرار و استحضار الحال معا : نمثل لهذه الحالة بقوله – تعالى – : ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ الآية 49.

دلالة التعبير بالمضارع في "يقولون" تحمل معنى التجدد و التكرار إذ لا يكتفي المجرمون في مثل هذا الموقف العصيب بالتحسر مرة أو مرتين بل هي مرات كثيرة متلاحقة ينادون فيها (ويلهم) ، و كأنه إنسان يدعى لرفع المصيبة أو العون عليها ، والمعنى << لاستحضار الحالة الفظيعة أو لإفادة تكرار قولهم ذلك و إعادته شأن الفزعين الخائفين >> [4] و هم يكررون نداءات الاستغاثة كالذي أدركه الخطر و أحاط به من كل جهة.

---

[1]– ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[2]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، 2260.

[3]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 289/15.

[4]– المصدر نفسه ، 338/15.

و صيغة المضارع في "يجادل" من قوله – تعالى – ﴿ **و يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ الآية 56 ، كذلك لاستحضار هيئة الجدال و صورته و الإشارة إلى تكراره و تجدده[1] ، و قد ورد فعل الجدال بصيغة المضارع في مواضع أخرى من القرآن كقوله – تعالى – : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ...**﴾[2] و قوله : ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه** ﴾[3]

و الجدل المقصود في هذه الآيات هو الجدل العقيم الذي لا يهدف إلى المعرفة ولكنه يسعى إلى المغالبة و طمس الحقيقة، و مثل هذا الجدل يحمل بذور توالده في ذاته ، لأنه لا يعرف له معلم زمني أو معرفي ينتهي إليه كما ينتهي الجدل المحمود عند ظهور الحقيقة بالإذعان إليها. وهذا مكمن الخطر فيه، و من ثم كان التحذير منه و تخصيصه بنسبته إلى الكفار، خلاف الجدل المحمود الذي يكون بين أهل الفضل و العلم ، و يرتقي إلى التحاور حيث يحترم المتحاورون بعضهم ، و تتراوح فترات كلامهم ، كما ذكرنا في الفصل الصوتي عندما تعرضنا لكلمة "جدلا" من قوله – تعالى – : ﴿ **و كان الإنسان أكثر شيء جدلا** ﴾.

د– تهيئة قلب النبي – صلى الله عليه و سلم – : يظهر هذا في قوله – تعالى – : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾ الآية 6.

الآية تسلية للرسول – صلى الله عليه و سلم – كي لا يأسى على كفر من كفر ممن دعاهم إلى الإسلام ، و من دلالات المضارع في الفعل "يؤمنوا" – الذي نفى حرف الشرط فيه عمل حرف القلب – الإيماء إلى أنهم لن يؤمنوا فلا جدوى من التحسر عليهم[4] ، و يذهب الزمخشري إلى أن من القراء من قرأ "إن لم يؤمنوا" بمعنى "لأن لم يؤمنوا"[5] ، و على هذا المعنى فإن التسلية في الآية كانت صريحة في قوله : ﴿ **لعلك باخع نفسك** ﴾ و ضمنية في تحضير قلب النبي و ربط جأشه لما سيلقاه من مزيد عناد المشركين بالتعبير بصيغة المضارع بدل الماضي.

و مثل هذا العدول في الزمن الصرفي هو تصوير لمشاهد غائبة بأدوات لغوية تدعو إلى الإعجاب ببراعة القرآن في نقل الماضي و استحضار المستقبل و تجعل القارئ ينخرط تلقائيا في سياق الحدث ، و تشير إلى أن زمن الفعل في السورة – كما القرآن كله – يتجاوز التقسيم الصرفي

---

[1]– ينظر : المصدر نفسه ، 253/15.

[2]– سورة المجادلة: الآية 1.

[3]– سورة غافر ، الآية :56.

[4]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 255/15.

[5]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 380/2.

إلى دلالات أخرى أهم مراميها تكثيف المعنى في اللفظ حيث يحمل الفعل – فوق ما خصته به اللغة من دلالة عن الزمن و الحدث – معاني أخرى منها ما عرف و منها ما لم يعرف ، و في ذلك تكثيف معنوي و اقتصاد لغوي.

ثالثا : فعل الأمــر

الأمر أحد أقسام الفعل في العربية حسب التقسيم البصري يشترك مع الفعل المضارع في دلالته على الحاضر و المستقبل ، و لئن نفته المدرسة الكوفية من حيث كونه قسيما للمضارع في الزمان ، أو استواؤه قسما مستقلا من أقسام الفعل[1] فإن الاختلاف لا يتجاوز جانب التصنيف ، أما المعنى فإنه لا خلاف في التعبير عن الطلب بصيغة "افعل" لذلك فإن فعل الأمر تعريفا هو << ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم ؛ نحو اجتهد ، و علامته أن يقبل نون التوكيد و ياء المخاطبة مع دلالته على الطلب >>[2].

وقد توفر في السورة اثنان و عشرون فعل أمر هي : (آتنا ؛ الآية 10) ، (هيئ ؛ الآية 10) ، (فأووا ؛ الآية 16) ، (ابعثوا ؛ الآية 19) ، (ابنوا ؛ الآية 21) ، (اذكر ؛ الآية 24) ، (اتل ؛ الآية 27) ، (قل ؛ الآيات 26 ، 29 ، 83 ، 103 ، 109 ، 110)، (اصبر ؛ الآية 28) ، (اضرب ؛ الآيتان 32 ، 45) ، (نادوا ؛ الآية 52) ، (آتنا ؛ الآية 62) ، (أعينوني ؛ الآية 95) ، (آتوني ؛ الآية 96) ، (انفخوا ؛ الآية 96) ، (آتوني ؛ الآية 96).

وهذه الأوامر إما حقيقية كما في قوله – تعالى –: ﴿ **و اذكر ربك إذا نسيت** ﴾ أو مجازية كما في قوله – تعالى – حكاية عن الفتية ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة و هيئ لنا من أمرنا رشدا** ﴾.

و قد صنفنا هذه الأفعال إلى أربع مجموعات :

1–أوامر موجهة من البشر إلى بعضهم (بصرف النظر عن إيمانهم أو كفرهم): أووا ، ابعثوا ، ابنوا ، آتنا ، أعينوني ، آتوني ، انفخوا ، آتوني . (ثمانية أفعال).

---

[1]– ينظر : المهدي المخزومي ؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 116.

[2]– أحمد الحملاوي : شذى العرف في فن الصرف ، مصدر سابق ، 18.

2- **أوامر موجهة من الله – تعالى – إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم –** : اذكر ، اتل ، اضرب (مرتين) ، قل (ست مرات) ، اصبر (أحد عشر مرة).

3- أوامر موجهة من الله – تعالى – إلى الكفار يوم القيامة : نادوا (فعل وحيد).

4- أوامر موجهة من العباد الصالحين إلى الله – تعالى – : آتنا ، هيئ (فعلان).

و نقرأ هذه النتائج من جهتين : تتعلق الأولى بالجانب العددي ؛ و فيه نلاحظ أن أعلى نسبة لهذه الأفعال هي الأفعال الموجهة من الله – تعالى – إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم – (11 فعلا) و هو رقم يعكس قوة الصلة بين الله – تعالى – و الرسول – صلى الله عليه و سلم – و يدل على أنه محور العملية الإبلاغية في الرسالة كلها ، و أدنى نسبة هي الفعل الوحيد من الله – تعالى – إلى المشركين ويعكس قلة الاهتمام بهم ، و أنهم لا شأن لهم لأن الله لم يخصهم بالخطاب إلا مرة وحيدة و لغرض التوبيخ.

أما القراءة الثانية ففي صيغة الأمر الذي << يؤكد الحضور الفعلي للمتكلم والمخاطب >>[1] ، و إذا كانت أفعال المجموعة الأولى و الثانية و الثالثة لا تحتاج إلى تعليق من حيث وضوح الحضور الفعلي للآمر و المأمور في المجموعة الأولى ، و متانة الصلة بين الآمر و المأمور في المجموعة الثانية ؛ لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أعرف البشر بالله و أكثرهم صلة به ، و خلو عقول المشركين من ذكر الله في المجموعة الثالثة ، فإن أفعال المجموعة الرابعة (آتنا ، هيئ) تشير إلى حضور الله الدائم في عقل المؤمن و تعلقه به ، و المؤمن ممثل هنا في أهل الكهف الذين عرفوا الله فاستحضروه في كل أفعالهم و توجهوا إليه بالدعاء فأيدهم بالنصر و التمكين ، و في ذلك دعوة ضمنية للناس أن ﴿ **اذكروني أذكركم واشكروني ولا تكفرون** ﴾[2].

المطلب الثاني : بناء الفعل

[1]- بوجملين لبوخ : رواية "الثلاثة " للبشير الإبراهيمي – دراسة دلالية ، مذكرة ماجستير ، جامعة باتنة ، الجزائر، 1994م ، ص43.

[2]- سورة البقرة ، الآية: 152.

الفعل في العربية إما أن يذكر فاعله فيسمى مبنيا للفاعل ، أولا يذكر فيدعى مبنيا للمفعول ، و لأن البناء للفاعل هو الأصل و عليه أغلب الأفعال فإنه لا يشكل انشغالا لغويا كبيرا ، إنما الذي يعتبر مجالا للبحث هو البناء للمفعول لما فيه من تغييب للفاعل الحقيقي و إحلال للمفعول أو المصدر أو الظرف أو الجار و المجرور محله وإعطائه أحكامه[1] و لما وراء هذا التغييب من دلالات ، و عموما فإن الأغراض التي تدعو المتكلم إلى حذف الفاعل كثيرة لكنها لا تخلو من كونها لفظية ؛ كالمحافظة على النظم في المنظوم أو السجع في المنثور ، أو القصد إلى الإيجاز كما في قوله – تعالى – : ﴿ **فعاقبوا بمثل ما** [illegible] كأن يكون الفاعل معلوما لدى المخاطب بحيث لا يحتاج إلى ذكره ، أو مجهولا فلا يستطيع المتكلم تعيينه ، أو رغبة من المتكلم في الإبهام على السامع ، أو تعظيم المتكلم للفاعل بصون اسمه من أن يجري على الألسن ، أو رغبة في تحقير الفاعل أو خوفا منه أو خوفا عليه ... [2].

و قبل أن نمضي في تحليل الأفعال المبنية للمفعول في النص نذكر أن بعض اللغويين قد حملوا صيغتي المطاوعة (انفعل ، افتعل) على المبني للمفعول أو الفعل الذي لا اختيار لفاعله بتعبير الدكتور مهدي المخزومي[3].

جاءت صيغة البناء للمفعول في أحد عشر موضعا من الآيات (18 ، 31 ، 36 ، 42 ، 48 ، 49 ، 56 ، 57 ، 87 ، 99 ، 110).

و قد كان بناء الفعل للمفعول في النص لغرضين أساسيين هما :

1- **عدم تعلق الغرض بذكر الفاعل** :_نجد هذا في قوله – تعالى – : ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا** ﴾ ؛ و قد مثل الخوف بالمظروف و عقل الإنسان بالظرف و شبه تمكن الخوف من العقل بتمكن المظروف من الظرف بحيث لا يخالطه غيره ، على سبيل الاستعارة التمثيلية[4] ، و إذا كان الإنسان بهذه الحالة من الفزع فإنه لا يفكر في سببه أو باعثه بل يسخر كل فكره إلى كيفية أو وسيلة تمكنه من النجاة ، و قوله : ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب** ﴾ حيث << يجدون أنفسهم محلين بالأساور بتكوين الله >>[5] ، و لأن سياق الكلام في الآية يتعلق بما أعد للمؤمنين من خير ونعيم لا بمن أعد

---

[1]– ينظر: ابن هشام ؛ قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق ، 188.

[2]– ينظر: ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مصدر سابق ، الحاشية ، 111/2 ، 112.

[3]– ينظر: مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي ، نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 47.

[4]– ينظر : الطاهر ابن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 282/15.

[5]– المصدر نفسه ، 312/15.

الخير و النعيم فإن ذكر الفاعل أو عدم ذكره سيان ؛ بل إن في عدم ذكره بلاغة تغيب إن هو ذكر، ذلك أن الذي شمله نعيم الله يدرك كل الإدراك أن الذي وسعه بنعيمه هو الله لا غيره ، و إلا لما كان آمن أصلا ، و لما كان ذكره لا يضيف فائدة كان بالحذف أحرى ، و قوله ﴿ **و أحيط بثمره** ﴾ حيث لم يذكر التعبير نوع الكارثة التي أهلكت ثمره و حدائقه ، و إنما لم يحظ الفاعل بالذكر هنا لأن العبرة لا تتعلق به ، و هي حاصلة سواء أكانت الكارثة حسبانا أم غور ماء أم نوعا آخر مما لم يذكر.

و الأمر نفسه نجده في الآيات : ﴿ **و عرضوا على ربك صفا** ﴾ ، ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ ، ﴿ **نفخ في الصدور** ﴾ حيث تتعلق كل هذه الآيات بيوم القيامة و ما ينتظر الناس فيه من أهوال و شدائد تجعل الإنسان لا يهتم بشيء غير التساؤل عن مصيره ومآله و من ثم فإنه لا يفكر في معرفة فاعل هذه الأفعال بقدر ما يهمه ما سيلحقه منها ، و<< التعبير القرآني يكثر من حذف الفاعل و بناء الفعل للمجهول في الأحداث التي تتعلق بأهوال يوم القيامة لما فيه من انصراف عقول الناس عن البحث عن الفاعل إلى الحيرة والخوف من المصير المنتظر و من الأهوال العظيمة >>[1] و صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى و لكن عذاب الله شديد** ﴾[2].

2- **كون الفاعل معلوما بحيث لا يحتاج إلى ذكره** : قال – تعالى – : ﴿ **و اتخذوا آياتي وما أنذروا هزؤا** ﴾ ، لم يعين فاعل "أنذروا" لأنه معلوم أن الإنذار وظيفة الرسل المكلفين بذلك من الله و قد سبقه في الآية نفسها قوله : ﴿ **و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين** ﴾ كما سبق ذكر الإنذار علة لإنزال الكتاب على الرسول – صلى الله عليه وسلم – في بداية السورة. و المعني نفسه ينسحب على الفعل "ذكّر" من قوله – تعالى – : ﴿ **و من أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ لأن التذكير متضمن في الإنذار والبشارة الذين تعين اختصاصهما بالرسل – عليهم السلام– كما ينسحب على قوله – تعالى – : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد** ﴾ إذ لا فائدة من ذكر فاعل "يوحي" لأنه لا فاعل له غير الله.

---

[1]– محمود أحمد نحلة : لغة القرآن في جزء "عم" ، مرجع سابق ، 389.

[2]– سورة الحج : الأية 02.

أما صيغتا المطاوعة[1] : (انفعل) و (افتعل) فقد كان من الأولى أربعة أفعال هي : انطلق ؛ (الآيات : 71 ، 74 ، 77) ، ينقض ؛ الآية 77.

و الأفعال الأربعة متعلقة بقصة موسى عليه السلام ، و قد عبرت الصيغة في الفعل "انطلق" الذي تكرر ثلاث مرات عن شدة الطاعة و الانقياد الذي أبداه موسى عليه السلام للعبد الصالح تماما كما يجب أن يكون التلميذ مع معلمه ؛ حتى لكأن فعل الانطلاق يقع من الفاعلين في لحظة واحدة ، فلا يكاد ينطلق المعلم حتى يجد التلميذ قد باشر الانطلاق ، ثم إن مجيء الفعل بصيغة المطاوعة يومئ إلى أمر آخر هو أن موسى و العبد الصالح لم يكن انطلاقهما من تلقاء نفسيهما بل كان بتوجيه من الله – تعالى – ، أن الفاعل لم يقم بالفعل و إنما نسب إليه ، و في قول العبد الصالح ﴿ **و ما فعلته عن أمري** ﴾ دليل على ذلك ، لأن معناها << أنه فعل ذلك بأمر الله >>[2].

أما الفعل "ينقض" فقد عبرت صيغة المطاوعة فيه عن قرب سقوط الجدار بحيث إنه سيسقط من أول عامل من عوامل الإسقاط ، و لأنه وشيك السقوط فإن انطلاق العبد الصالح إليه و إقامته حفظا لما حواه كان بأمر الله و هو دليل ثان عن معنى الانطلاق السابق و من ثم فإن لصيغة المطاوعة هنا وظيفتين ؛ الأولى هي تقريب وقوع الفعل ، و الثانية تعليل الفعل الأول (الانطلاق) إذ إن قرب الانقضاض وراء سرعة الانطلاق و كل بأمر الله جلت قدرته.

و من الثانية (افتعل) أربعة أفعال كذلك هي :

– "اعتزل" من قوله – تعالى – : ﴿ **و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون إلا الله** ...﴾ الآية 16.

– "ازداد" من قوله : ﴿ **و لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين و ازدادوا تسعا** ﴾ الآية 25.

– "اختلط" من قوله جل ذكره : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح** ﴾ الآية 45.

– "يهتدوا" من قوله : ﴿ **و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ الآية 57.

و قد دلت صيغة "اعتزل" على معنى المطاوعة ، لأن الفتية اعتزلوا قومهم طواعية و التقوا طواعية عن هدف واحد هو عقيدة التوحيد ، و على معنى التشارك لأن الفعل بصيغة افتعل لا يقوم بفاعل واحد بل لابد له من طرفين يعتزل كل منها الآخر ، والفعل "ازدادوا" مجرده "زاد" المنقلب بالإبدال عن "زود" عبرت فيه صيغة الافتعال عن المبالغة في الفعل و

---

[1]ـ المطاوعة : هي قبول تأثير الغير، أحمد الحملاوي ؛ شذى العرف في فن الصرف، مصدر سابق، 33.

[2]ـ االزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 400/2.

مطاوعة الثلاثي زاد ؛ و الزيادة هنا تخص السنين و لها تعلق بالحساب القمري و الحساب الشمسي[1] لا يخلو من معنى الزيادة أو المبالغة في الفعل.

و الفعل اختلط : تعبر فيه صيغة الافتعال عن التشارك بين الماء و النبات ، و في الصيغة شبه بالبناء للمفعول لكون الماء و النبات لم يختلطا بإرادة منهما و لكن بتقدير الله.

و دلالة المطاوعة في الفعل "اهتدى" ظاهرة يفسرها قوله – تعالى – ﴿ **من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ لأن اهتداء العبد بتوفيق و توجيه من الله – تعالى – لذلك فإن اهتداءهم في هذه الآية منفي نفي تأبيد لأن الجمله معطوفه على التي قبلها و هي : ﴿ **إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم وقرا** ﴾ ، و عليه فإن الفاعل الحقيقي لفعل الهداية هو الله جل ذكره.

و من كل ما سبق نتبين أن الإغضاء عن ذكر الفاعل ببناء الفعل للمفعول أو بصيغتي الافتعال إنما هو لكون الغرض من الكلام لا يتعلق بذكر الفاعل ، أو لأنه لا يلتبس بغيره (كما في الفعل يوحي) ، أو لأن الفاعل الحقيقي ليس هو الذي ارتبط ذكره بالفعل (كما الفعل اهتدى و اختلط).

المطلب الثالث : صيغ الفعل

الفعل بتقسيم آخر مجرد و مزيد و لا تزيد دلالة الأول عما في اجتماع حروفه من معان معجمية ، أو في صيغته الصرفية من تخصيص زمني ، أما المزيد فإن لكل شكل من أشكال زيادته معنى (أو معان) تضاف إلى دلالتي الحدث و الزمان و لذلك وجب تتبع صيغ الأفعال المزيدة و ما تحمله من إضافات للمعنى ، و قد توفر في السورة ثماني صيغ هي : أفعل، فعل ، افتعل ، تفاعل ، فاعل ، استفعل ، تفعل ، انفعل ، سبق الكلام عن صيغتي "انفعل" و "افتعل" في مبحث البناء للمفعول ، و فيما يلي الكلام عن باقي الصيغ :

أ– **أفعل** : جاء عليها أحد عشر فعلا هي : أنزل ، أعثر ، أغفلنا ، أتقن ، أنزلنا ، أشهدتهم، أهلكناهم ، أنسانيه ، من الآيات : 1 ، 21 ، 28 ، 42 ، 45 ، 51 ، 59 ، 63 على الترتيب ، و "أتبع" في الآيات 85 ، 89 ، 92.

[1]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 300/15 ، 301.

و قد كانت دلالة الصيغة في الأفعال : أنزل ، أعثرنا ، أنزلناه ، أشهدتهم ، أهلكناهم، أنسانيه ، التعدية التي هي إحدى معانيها[1] ، ولها ارتباط بالبناء للمفعول من جهة أن صيغة "أفعل" تنقل الفعل من اللزوم إلى التعدية و من ثم تحول الفاعل إلى مفعول به ، ليحل فاعل آخر محله كما في قوله – تعالى – : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ إذ تجريد الفعل "أنزل" ينقله إلى "نزل" و بالتالي تعود الجملة إلى "نزل الكتاب" التي يحتل فيها لفظ الكتاب وظيفة الفاعل ، و هي وظيفة تسلبها منه الزيادة بصيغة "أفعل" التي تحوله إلى مفعول به ليأخذ ضمير لفظ الجلالة مكانه من الفاعلية ، و الشيء نفسه مع بقية الافعال المذكورة ؛ مما يجعلنا نقف على ظاهرة لغوية هي تبادل الوظائف بين الفاعل و المفعول وهي حركة رأينا أنها تؤدي وظيفة دلالية بالغة الدقة حيث صار الفاعل في هذه الأفعال واحدا بعد أن كان لها فاعلون كثر و هذا الفاعل هو الله جل ذكره ، و لا يخفي ما في هذا التوحيد من اختزال لغوي و ما يشير إليه من كون الله – تعالى – مركزا لكل الأفعال بما يظهر جلاله و سلطانه على عباده ، و قد سبق الكلام عن تكثيف لفظ الجلالة و الضمائر التي تحيل إليه في الفصل الصوتي.

و يستثنى من هذه الأفعال الفعل الأخير "أنسانيه"الذي يذكر فاعله بأسلوب القصر "و ما أنسانيه إلا الشيطان" ، و قد نسب التعبير فعل النسيان إلى الشيطان بعد أن كان مصدره الفتى في قوله : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت** ﴾ وذلك لأن النسيان الأول نسيان حفظه ، و النسيان الثاني نسيان إخبار موسى عليه السلام بما كان منه[2] ، و قد نقلت الصيغة فعل النسيان من اللزوم إلى التعدية ؛ فبعد أن كان الفتى ينسى صار ينسى، وفي الآية تنبيه على ترصد إبليس خطى الصالحين و عدم يأسه من السعي إلى إفشال لقاء موسى مع العبد الصالح عليهما السلام و لو عن طريق إنساء الفتى ذكر خبر الحوت لسيده و تلك واحدة من مكائد الشيطان الكثيرة.

كما كانت الصيغة للصيرورة و هي إحدى معانيها كذلك[3] في الفعل "أغفلنا" أي صيرنا قلبه غافلا. وقيل في الإغفال إنه عام لكل من اتصف بالصلة ، و قيل إن الآية خاصة نزلت

---

[1]– ينظر : أحمد الحملاوي ؛ شذى العرف في فن الصرف ، 30.

[2]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير : 367/15.

[3]– احمد الحملاوي ؛ شذى العرف في فن الصرف : 30.

في أمية بن خلف الذي دعا النبي – صلى الله عليه و سلم – إلى طرد فقراء المسلمين من مجلسه حين يجلس إليه هو و أضرا به من سادة قريش[1]

و للتمكين في "أتبع" أي أنه تمكن من السبب و هو الطريق[2] ، و للتعريض في "أنفق" أي عرّض ماله للإنفاق و هو الضياع و التلف[3].

ب– فعّل : منها سبعة عشر فعلا هي : يبشر ، هيئ ، نقلّبهم ، يحلّون ، فجّرنا ، سوّاك ، نسيّر ، صرفنا ، ذكّر ، علّمناه ، تعلمني ، يضيّفوهما ، أنبّؤك ، م

، من الآيات : 2 ، 10 ، 18 ، 31 ، 33 ، 37 ، 47 ، 54 ، 57 ، 65 ، 66 ، 77، 78 ، 84 ، 86 ، 95 ، 103 على التوالي.

و قد اجتمعت دلالتا التعدية و التكثير في كل هذه الأفعال مع إفادة الصيغة في الفعلين "فجر" و "سوى" ، الآيتين 33 ، 37 زيادة أخرى على معنييهما مجردين حيث نجد في "فجر" معنى الشدة الذي يقابل المطاوعة في صيغتي (انفعل ، افتعل) ، و في "سوى" معنى التناهي في إتقان الفعل و تدقيقه و قد ورد فعل التسوية بهذه الصيغة في سورة "الأعلى" قال – تعالى – : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى** ﴾ مما يؤكد بأن الصيغة مقصودة لذاتها كما أن الفاعل في الفعلين هو الله الذي اتصف بالكمال في أفعاله كما اتصف بالكمال في صفاته تقدست ذاته وصفاته.

جـ– تفاعل : منها في النص أربعة أفعال هي : تزاور ، يتساءلوا ، تمار ، يتنازعون ، الآيات : 17 ، 19 ، 21 ، 22 و أفادت الصيغة معنى التدرج في "تزاور" و التشريك في بقية الأفعال.

د– فاعل : منها سبعة أفعال هي : يحاوره (2) ، يجادل ، تصاحبني ، يؤاخذهم ، تؤاخذني ، ساوى (الآيات : 34 ، 36 ، 37 ، 56 ، 76 ، 58 ، 73) و قد تراوحت هذه الأفعال بين الدلالة عن التشريك أو معنى فعل.

هـ–إستفعل : منها خمسة أفعال هي : تستفت ، يستغيثوا ، يستغفروا ، استطعما ، يستخرجا (الأيات : 22 ، 29 ، 55 ، 77 ، 82) ، و كلها دالة على الطلب.

و– تفعّل : ورد عليها فعل واحد هو "يتلطّف" من قوله – تعالى – : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه و ليتلطّف** ...﴾ الآية19. وعبرت

---

[1]– النيسابوري ، أسباب النزول ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيرون ، (1424هـ–2004م) ، ص173.

[2]– ينظر : الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 35/16.

[3]– ابن منظور : لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة ن.ف.ق.

الصيغة عن التكلف حيث عكس الفعل بصيغته حرص الفتية على إخفاء أمرهم وخوفهم من الملك حتى استلزم الأمر من رسولهم تكلف اللّطف مع كل من يلقاه حذرا وحيطة من انكشاف حقيقتهم.

ويكشف التحليل الدلالي لهذه الصيغ عن عدم إسناد الصيغ الدالة على التشريك أو الطلب أو المطاوعة أو التكلف إلى ضمير لفظ الجلالة و لو مرة واحدة ، و هو أمر يتناسب مع عظمة المولى و جلاله حيث يتنزه عن الشريك أو المطاوعة أو التكلف أو الطلب لما في هذه المعاني من نقص يتنافى و كمال الربوبية و مقاماتها العلى.

كما أن ضمير لفظ الجلالة هو الفاعل في الأفعال الواردة بصيغة "أفعل" بنسبة 6 إلى 9 وفي صيغة "فعّل" بنسبة 12 إلى 17 ، و هي نتائج تعود بنا إلى فكرة تكثيف لفظ الجلالة وضمائره، و تعكس علاقة الصيغ الصرفية للأفعال بالمعنى العام للنص و موضوع السورة الأساسي (البعث) الذي لا فاعل له غير الله.

الفصـل الثـالث

- الجملة الاسمية.
- الجملة الفعلية.
- التركيب الشرطي.
- التركيب الاستفهامي.
- الرتبة.

ينصب الاهتمام في هذه المرحلة من البحث على طبيعة البنى التركيبية المتوفرة في النص بوصفها رافدا ثالثا بعد كل من الصوت و الصرف في تشكيل الدلالة العامة التي ننشدها و نسعى للكشف عنها ؛ و الأمر يتعلق في هذا المقام بالكلمة و قد انتظمت مع أخواتها في السلسلة الكلامية على نحو من سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره على حد تعريف ابن جني للنحو[1].

و إذا كان النحو هو انتحاء سمت كلام العرب أو <<معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم>>[2] فإن التركيب هو أحد أسس ثلاثة ينهض عليها البناء النحوي و هي : المكون الصوتي، و المكون الدلالي، و المكون التركيبي؛ الذي يقوم بدوره على المكون الأساسي والمكون التحويلي؛ يحدد الأول البنى العميقة فيما يسمح الثاني بالمرور من البنى العميقة إلى البنى السطحية للجمل[3].

لذلك فإن النحو يرتكز على مفهومي الكلام و التركيب اللذين تمس الحاجة منهجيا ووظيفيا إلى تعريفهما قبل أي حديث عن النحو:

1- الكلام: يعرفه الزمخشري بقوله : << الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، و هذا لا يأتي إلا في اسمين أو اسم و فعل و يسمى الجملة >>[4].

2- التركيب: هو أساس النحو و يرادف مصطلح الجملة عند كثير من النحاة و البلاغيين العرب[5] ، أما علماء الغرب فيرون أن التركيب هو ذلك الجانب من النحو الذي يصف القواعد التي يتم بواسطتها تأليف الجمل من الوحدات الدالة[6].

و إذا ما عدنا إلى تعريف الزمخشري للكلام وجدنا أن التركيب و الإسناد هما الدعامتان الأساسيتان في كل كلام .و قد عرف القدامى الإسناد بأنه << ضم كلمة إلى أخرى على وجه الإنشاء أو الإخبار >>[7]. أما المركبات فقد قسموها إلى أنواع أهمها – في هذا البحث- المركب الإسنادي و هو << ما كان بين جزئيه إسناد أصلي و يشمل ما يعرف بالجملة الاسمية و

---

[1]- ينظر : ابن جني ؛ الخصائص ، مصدر سابق ،34/1 .

[2]-السكاكي : مفتاح العلوم ، المطبعة الأدبية ،مصر ، ط1 ، د.ت ،41.

[3]- ينظر : توفيق الزيدي ؛ أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، الدار العربية للكتابة ، تونس ، ط1 ، 1984 ، 76.

[4]- ابن يعيش : شرح المفصل ،مصدر سابق ،20/1 .

[5]- ينظر : السكاكي ؛ مفتاح العلوم ،مصدر سابق ، 74 ، 75 .

[6]- . Jean Dubois ; Dictionarie de lingustique p21

[7]- الرضي : شرح الرضي عل الكافية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، الطبعة العثمانية ، 1310 هـ ،8/1 .

الجملة الفعلية >>[1]. و زاد الدكتور إبراهيم عبادة الأمر تفصيلا حين قسمه نوعين ؛ المركب الاسنادي الفعلي و هو الجملة الفعلية غير المبدوءة بفعل ناقص بصرف النظر عن بناء الفعل للمعلوم أو المفعول ، و المركب الاسنادي الاسمي و هو الجملة الاسمية أي المبتدأ أو الخبر[2].

أما الجملة فقد حدها ابن يعيش بأنها << كل كلام مستقل قائم بنفسه>>[3] و ساوى بينها و و بين الكلام كما فعل الزمخشري فقال : << الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه و يسمى الجملة نحو: " زيد أخوك"، و " قام بكر" >> [4] ، و لعل ابن جني كان أكثر تحديدا حين قال: << الجملة هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه>>[5] .

و ليس يعنينا في هذا المقام البحث في نشأة مصطلح الجملة و أول من استعمله أو علاقتها بالكلام من حيث كونها أعم منه أو أنه أخص منها لما زيد فيه من قيد الإفادة [6] أو غير غير ذلك مما لا يشكل سندا للدراسة التطبيقية ، و لكن الذي يهمنا هو الجملة من حيث هي موضوع البحث النحوي لأن << الجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي>>[7] .

و لأنه << يجب أن تكون محور الدرس النحوي بكل ما يعرض لها أو لأجزائها من أحوال تتعلق بالذكر و الحذف أو الإظهار و الإضمار، أو التقديم و التأخير أو غير ذلك مما يدخل في إطار البحث في الجملة >>[8].

و ليست الجملة إلا علاقة إسنادية بين المسند و المسند إليه (المخبر عنه و المخبر به) اللذين عرفهما سيبويه بأنهما << ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا>>[9] ، و تبعا لتموقع المسند و المسند إليه قسم النحاة الجملة فكانت << الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم كـ: "زيد قائم"، و "هيهات العتيق"، و "قائم

---

[1] – محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية – مكوناتها ، أنواعها ، تحليلها ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 2002 م ، 39 و أبو السعود حسنين الشاذلي : المركب الاسمي الإسنادي و أنماطه من خلال القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، (1410 هـ 1990 م) ، ص 20.

[2] – ينظر : إبراهيم عباده ؛ الجملة العربية ، 41 ، 55.

[3]– ابن يعيش : شرح المفصل ،مصدر سابق ، 20/1 ،88 .

[4]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[5]– ابن جني : الخصائص ،مصدر سابق ،32/1 .

[6]– ينظر : عبد السلام هارون ؛ الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1979 م ، ص 25 .

[7]– عبد اللطيف حماسة : النحو و الدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي ،القاهرة ،1983 ،ص9 .

[8]– مهدي المخزوني : في النحو العربي – نقد وتوجيه ، مرجع سابق ، 97 .

[9] سيبويه : الكتاب ، مصدر سابق ، 93/1 .

الكوفيون – ، و الفعلية هي التي صدرها فعل كـ: "قام زيد"، و "ضرب اللص"، و " كان زيد قائما" ، و "ظننته قائما"، و "يقوم زيد" و "قم" >> [1] ، و على محور آخر قسم ابن هشام الجملة إلى كبرى و صغرى فقال : << الجملة قسمان ؛ كبرى و صغرى، الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو "زيد قام أبوه" و "زيد أبوه قائم"، و صغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثالين>>[2].

و من المحدثين من قسم الجملة بحسب علاقة الإسناد إلى:

1- بسيطة: <<هي المكونة من مركب إسنادي واحد يؤدي فكرة مستقلة سواء أبدأ المركب باسم أم بفعل أم بوصف>>[3].

2- ممتدة: << هي المكونة من مركب إسنادي واحد و ما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية >>[4].

3- مركبة: هي المكونة من مركبين إسناديين أحدهما مرتبط بالآخر و متوقف عليه و نلاحظ أن أحدهما يؤدي فكرة مستقلة و الثاني يؤدي فكرة غير كاملة و لا مستقلة، و لا معنى له إلا بالمركب الآخر و مثال ذلك جملتا القسم و الشرط[5].

4- متداخلة: هي المكونة من مركبين إسناديين بينهما تداخل تركيبي، و للتداخل التركيبي صور متعددة؛ منها الجملة الواقعة خبرا كـ : "محمد أخوه فائز"، و "محمد يفوز أخوه"[6].

و بعد هذه الوقفة العجلى على بعض مفاهيم علم النحو؛ و بخاصة مصطلح الجملة لدى القدامى والمحدثين- و ما كان المقام ليسمح بأكثر منها- ، نستعرض فيما يلي بناء الجملة في نص سورة الكهف إحصاء و تحليلا في هدي من الآراء النظرية السابقة.

و أول ما قادتنا إليه الدراسة -كخطوة أولى في استهداف جمل النص- سيطرة الجمل الفعلية التي بلغ تعدادها تسع جمل و أربعمئة (409) مقابل ثلاثين و مئة جملة اسمية (130)[7] و هي نسبة تعكس حركية السورة و كثرة أحداثها ، و تنوع الأفعال

---

[1]- ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،(1424 هـ -203 م) ،ص 433/2 .

[2]- المصدر نفسه : 437/2 .

[3]- إبراهيم عبادة : الجملة العربية ؛ مرجع سابق ، ص 136 .

[4]-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[5]- ينظر : المرجع نفسه ، ص 136 .

[6] - ينظر : المرجع نفسه ، ص : 145 .

[7] - قد تزيد أو تنقص بقليل بحسب الاختلاف في تعريف الفعلية أو الاسمية و هو ارتياب ضئيل لا يرقى إلى التأثير في النتائج.

النص الثري الحافل بالأحداث المتنوعة بين الحق و الباطل ، و الخير والشر من لدن آدم و قصة السجود إلى يوم العرض و النشور كما جاء في قصص السورة وأمثالها التي جمعت بين خيرية الملائكة و الرسل و الصالحين ، و شرية إبليس و الطغاة و المشركين ، و بين زهرة الدنيا و زوالها، و نعيم الآخرة و دوامه.

و << الجملة الفعلية تفيد التجدد و عدم الثبوت بينما تفيد الاسمية ثبوت المعنى أو الصفة للشيء من غير تجدد>>[1] كما أن << الفعل موضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء >>[2] ، و هو رأي يؤيده من المحدثين الدكتور مهدي المخزومي في قوله << الجملة الفعلية هي التي يدل فيها المسند على التجدد ، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا ، أما الاسمية فهي التي يدل فيهل المسند على الدوام و الثبوت أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد >>[3].

و فيما يلي استعراض لجمل النص في مظهريها الاسمي و الفعلي:

المبحث الأول : الج

[1] – القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، مصدر سابق ، ص 52.

[2] – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995 م ، 141/1.

[3] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 42/1 .

و إنما بدأنا بها رغم أنها الأقل عددا كما قدمنا الاسم على الفعل في الفصل الصرفي لأن << الأسماء أقوى القبل الثلاثة و لها الأولية في النفس و الرتبة>>[1].

تقوم علاقة الإسناد في الجملة الاسمية بين المبتدأ و الخبر ، و قد تعرى الجملة من النواسخ أو تقع تحت تأثير واحد منها فينسخ الحركة الإعرابية لأحد ركنيها أو لكليهما دون أن يمس بعلاقة الإسناد من حيث الجوهر ، إلا أن يضيف لها معنى جديدا ؛ كالتأكيد ، أو الصيرورة ، أو غيرها من المعاني التي تحملها النواسخ ، لذلك فقد بنينا تحليل الجملة الاسمية على علاقة الإسناد بين المبتدأ و الخبر دون أن نغفل الإلماع إلى النواسخ التي لم يمنع تصدر بعضها المندرج تحت قسم الأفعال من تصنيف الجمل الداخلة عليها في خانة الاسمية لأن الكلمة المعتد بصدارتها هي الواقعة ركنا في الإسناد كما أن << جمل النواسخ تنتمي شكلا إلى جملة الفعل و الفاعل لكنها تنتسب عمقا و حقيقة إلى جملة المبتدأ و الخبر>>[2] ، و قد قسمنا الجمل الاسمية الواردة في النص بحسب الإظهار و الإضمار إلى أربعة أنماط :

1- مسند إليه ظاهر + مسند ظاهر.

2- مسند إليه مضمر + مسند ظاهر.

3- مسند إليه ظاهر + مسند مضمر.

4- مسند إليه مضمر + مسند مضمر + (متعلقات).

و إذ اعتمدنا الإظهار أو الإضمار أساسا في التصنيف فقد أرجأنا الترتيب إلى مبحث خاص عقدناه له ، ذلك أن الإظهار و الرتبة أصلان لا يعدل عنها إلا لغاية معنوية و لا يتأتى ذلك إلا عند أمن اللبس[3].

- **النمط الأول : مسند إليه ظاهر + مسند ظاهر :** بلغ عدد جمل هذا النوع ستا و تسعين جملة ؛ منها تسع و أربعون لم يدخل عليها ناسخ ، و سبع و أربعون تأثرت بالنواسخ وعلاقة الإسناد في هذه الجمل قائمة بين المبتدأ الذي لا يكون إلا اسما ظاهرا أو ضميرا كذلك[4] ، (و ليس الضمير إلا الوجه الثاني للاسم) ، و الخبر الذي يكون إما مفردا أو جملة (اسمية أو فعلية) ، و التحليل سيطال نموذجا من كل حالة :

---

[1] – السيوطي : المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، (1408هـ-1987م) ، 11/1.

[2] – محمد عبد السلام شرف الدين : الإعراب و التركيب بين الشكل و النسبة ، دار مرجان للطباعة ، اللقاهرة ، ط1 ، (1404 هـ - 1984 م) ، المقدمة.

[3] – ينظر : تمام حسان ؛ الأصول ، مرجع سابق ، ص 121.

[4] – حالة المبتدأ مصدرا مؤولا غير متوفرة في النص.

أ- **مسند إليه + مسند مفرد :** نمثل له بجملة ﴿ **هو المهتد** ﴾ من الآية 17 حيث تأسست علاقة الإسناد بين كلمتين مفردتين جاءت الأولى ضميرا ناب عن كل من شملته هداية الله وامتدت ظلال الغيبة فيه لتشمل ما وراء الحاضر من ماض أو مستقبل ممن حباهم القدر بالهداية و التوفيق ، و قد أسند إلى الضمير الخبر في أكثر صوره اختصارا و هي حالة الإفراد ، و قد حمل هذا الإيجاز الشديد إيحاء بحصر طرق الهداية في سبيل وحيد هو سبيل الله ، و عبر تعريف الخبر " المهتد " الذي كان هو الآخر بالأداة أكثر طرق التعريف اختصارا عن التخصيص ؛ أي المهتدي الحق أو الهداية الحقيقية ، و هي الهداية إلى الإيمان و التوحيد ، ذلك أن الجملة في سياق التعقيب على قصة أهل الكهف الذين هداهم الله إلى عبادته في مجتمع مشرك ، و الجملة من حيث التركيب صغرى بسيطة لأنها من مركب إسنادي واحد ، كما أن بنيتها السطحية تقترب كثيرا في شكلها التركيبي من بنيتها العميقة إذ لا يمكن تفكيك المسند إليه إلى صور دنيا ، و لا المسند يمكن أن يحل إلى أكثر من التنكير و الصيغة الصرفية في اسم لفاعل ، و لكل هذا صلة بالإيجاز المفضي إلى قصر الهداية الحقة على الله تعالى.

ب- مسند إليه + مسند (جملة اسمية): نمثل للحالة بالجملة ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ من الآية 38 ، و هو تركيب مشكل من ثلاث علاقات إسنادية ، حيث كان المسند إليه الأول الضمير "أنا" و قد أسند إليه ضمير الشأن و خبره ، و المسند إليه الثاني ضمير الشأن "هو" و أسند إليه لفظ الجلالة (الله) و خبره ، و المسند إليه الثالث لفظ الجلالة أسند إليه المضاف والمضاف إليه "ربي" ، و لن نتحدث عن الإسناد الأخير لأن مسنده مفرد و قد سبق فيه الكلام، أما الإسنادان الأول و الثاني فهما مجال التحليل ، و أول ما نذكر بشأنهما أن جملتيهما تصنفان ضمن الجمل الكبرى المتداخلة لأن الجملة الثانية "هو الله ربي" مسندة إلى المبتدأ "أنا"، و هي بدورها متضمنة إسنادا بين الضمير "هو" و الجملة "الله ربي" التي تضمنت إسناد ربي إلى لفظ الجلالة "الله" ، و قد أفضى تبسيط التركيب إلى الشكل التالي :

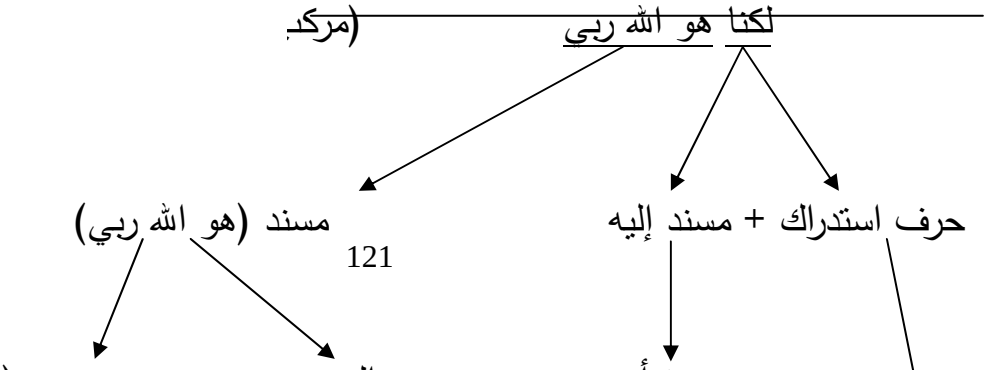

و قد جعلنا التفكيك نقف بشكل أكثر وضوحا على العلاقات الإسنادية بين عناصر التركيب و نكتشف أن العبارة مطوقة بضمير المتكلم بداية و نهاية ، و هو عائد إلى ذات واحدة هي الرجل المؤمن ، مما يجعلنا نقرأ في تسوير هذا الكلام بالذاتية خوفا و رهبة من الله انطوت عليها نفس هذا الرجل المؤمن و قد استعظم جرم صاحبه حين أشرك بالله ، كما أن هذه العلاقات الإسنادية المتداخلة تلخص جملة من المعاني لعل أهمها :

– الاختلاف الصريح القطعي في المعتقد بين الرجلين.

– قصر عبادة الله على المتكلم دون صاحبه ، و قصر عبادته على الله دون غيره ؛ و قد أفاد هذا المعنى كل من الاستدراك في "لكن" و الإضافة في "ربي" ، و ازداد المعنى تأكيدا في الجملة التي بعد التركيب << و لا أشرك بربي أحدا >>.

و لأن أمر العقيدة من الثبات و اليقين بحيث لا يعتريه تغيير أو تبديل فقد كانت كل أطراف الإسناد إما أسماء أو جملا اسمية لما في التعبير بالاسمية من دلالة عن الثبات.

ج– مسند إليه + مسند (جملة فعلية) : نمثل له نموذجين:

الأول جملة ﴿ **هو يحاوره** ﴾ من الآيتين : 34 ، 37.

و الثاني جملة ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها** ﴾ من الآية 07.

نمثل الإسناد في كل منهما كما يلي:

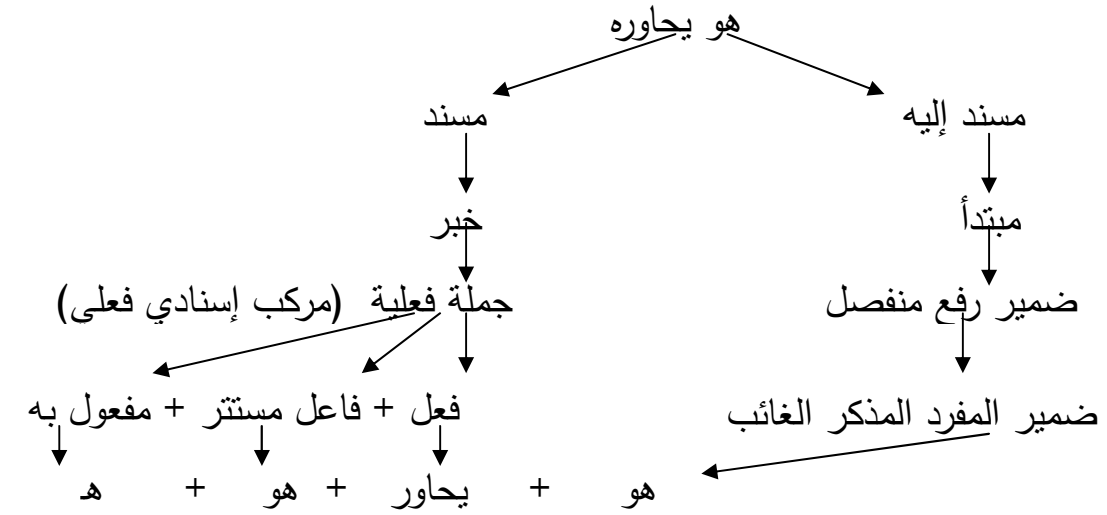

و قد أظهر التبسيط الفاعل المستتر في جملة المسند ؛ و الذي يتضح من علاقة الإسناد القائمة بين الضمير عائدا على الكافر في الآية 34 و على المؤمن في الآية 37 والجملة الفعلية أنها دالة بفعليتها على ما كان بين الرجلين من لجج في الجدال بمدافعة كل بحجته لدحض حجة خصمه ذلك أن << المحاورة هي المراجعة في الكلام >>[1].

2- ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها** ﴾.

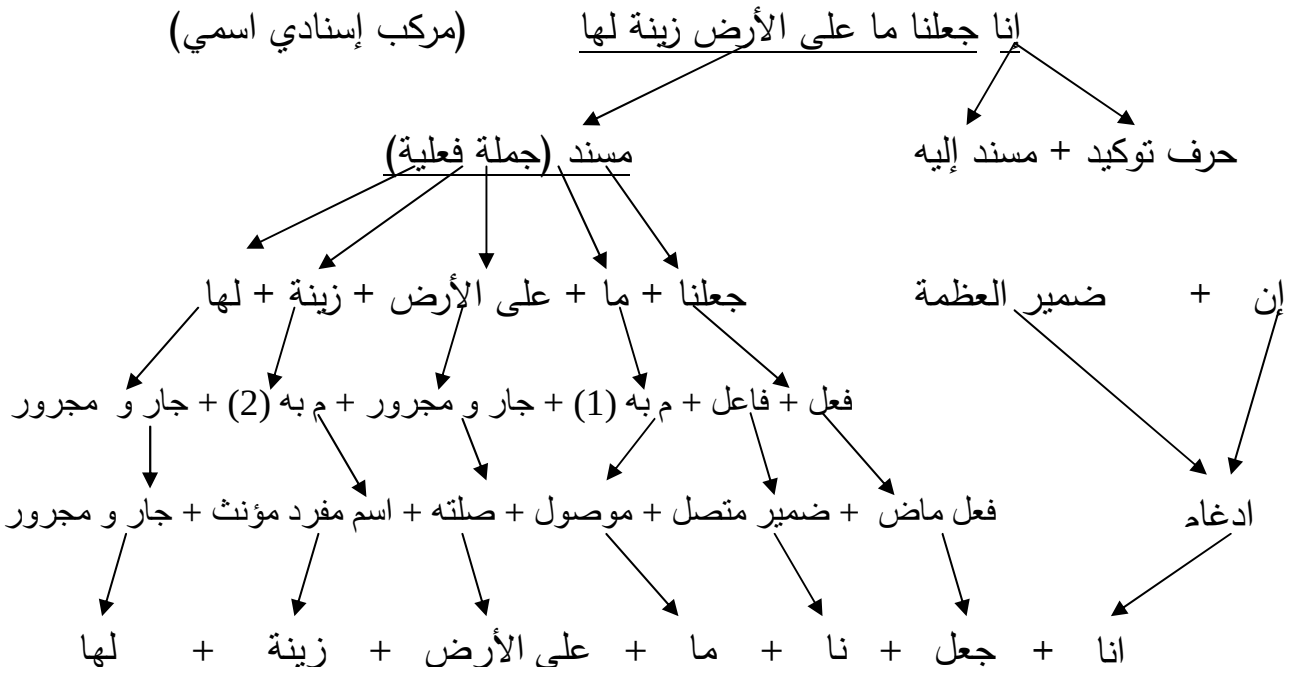

و إنما وقع اختيارنا على هذه الجملة كي نقارنها بالجملة التي بعدها و هي قوله تعالى ﴿ **و إنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا** ﴾ حتى يتسنى لنا الوقوف على ما بين المسند الفعلي و المسند الاسمي من فروق ، حيث عبر الإسناد الفعلي في الجملة الأولى عما في زينة الأرض

[1] – ابن منظور : لسان العرب ، مصدر سابق ، ح.و.ر ، و الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، 390/2.

من تجدد و تغير ، لأن كل ما يعلو الأرض و يزينها من طبيعة أو نبات ، جماد أو أحياء في تغير دائم بفعل الموت و التكاثر في الأحياء و عوامل الطبيعة من سيول وزلازل و براكين و غيرها في الأحياء و الجمادات على حد سواء ، في حين عبر الإسناد الاسمي في الجملة الثانية عن الفورية و عدم التدرج في إزالة زينة الأرض و هو مما تقوم به الصرامة التي طبعت المشهد و ظهرت بعض دلائلها في لفظ "جرزا" الذي رسم بجرسه صورة الجدب و كذا "صعيدا" الذي صور بموسيقاه مشهد الاستواء و الصلادة [1].

النمط الثاني : مسند إليه مضمر + مسند ظاهر: من هذا النمط أربع حالات في الآيات : 19 ، 40 ، 42 ، 43 نجتزئ بتحليل نموذجين منها و هما: ﴿ **أزكى طعاما** ﴾ من الآية 19 و﴿ **أصبح يقلب كفيه** ﴾ من الآية 42 باعتبار الأولى غير متأثرة بناسخ و الثانية واقعة تحت تأثيره ، و المسند إليه مستتر فيه :

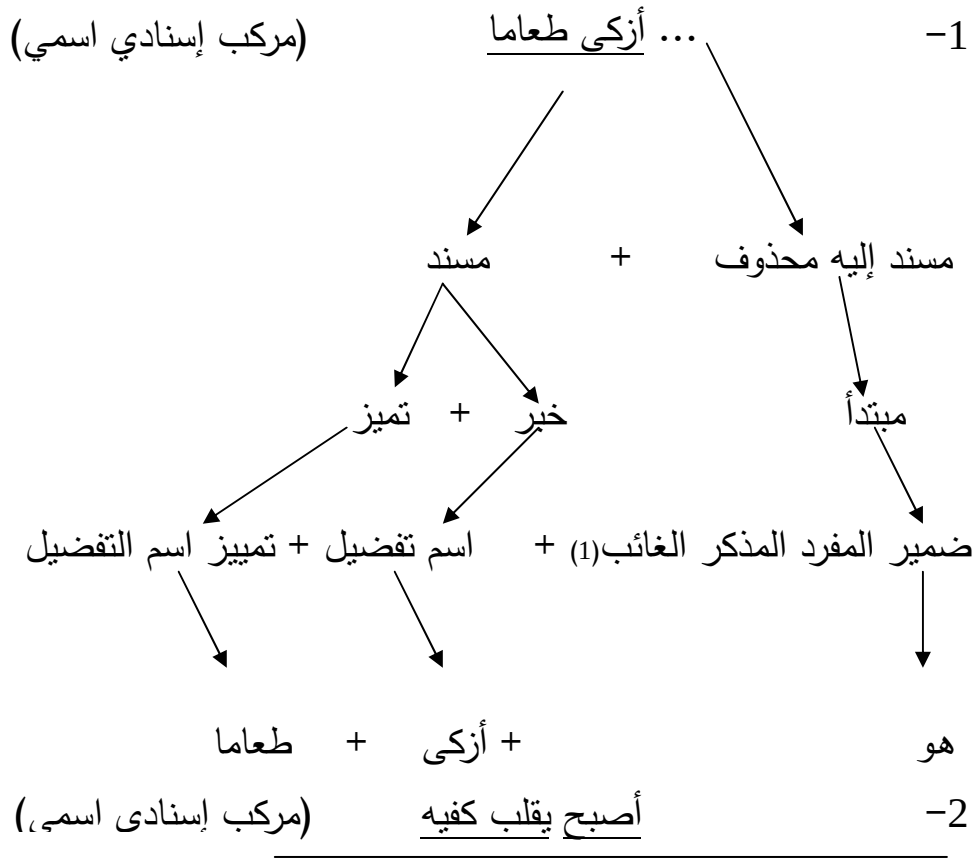

[1] – ينظر : سيد قطب ؛ في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ص2260.

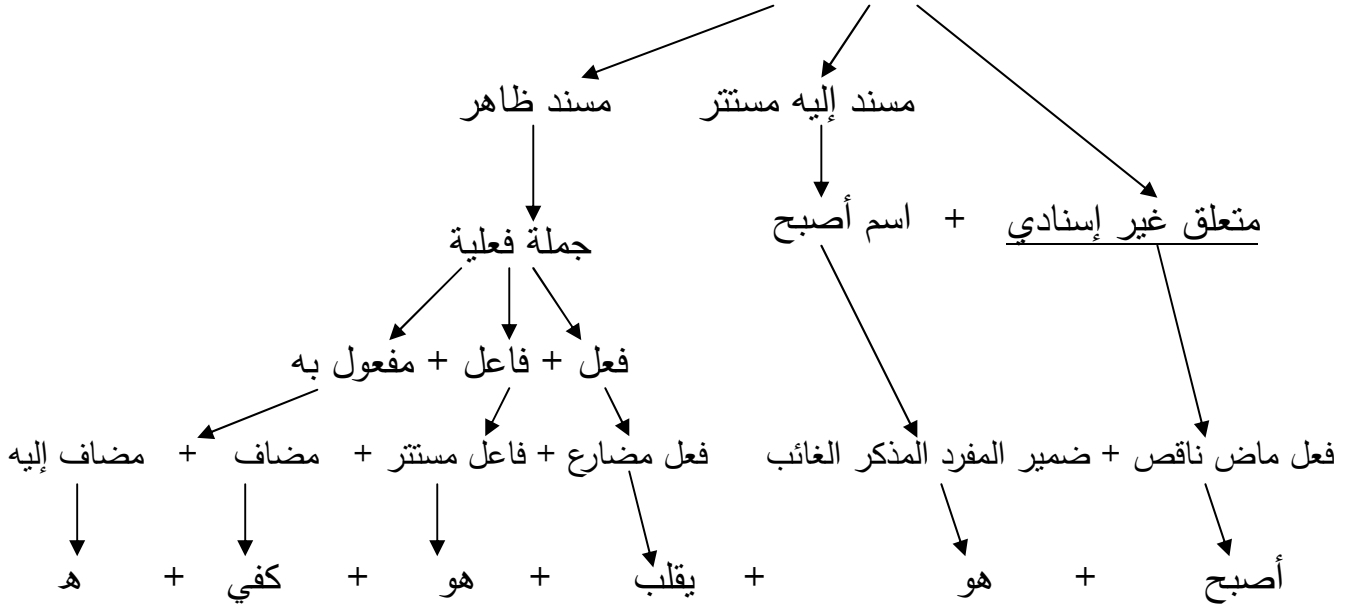

و قد أعاد التبسيط في كلا التعبيرين المسند إليه المستتر الذي نلاحظ عليه أنه في الجملتين – كما كل جمل هذا النمط – ضمير غيبة ، و كأن بين الغيبة و الإضمار وشيجة قربى ، و لا شك أنها نوع من الإضمار ؛ لأن الغائب محذوف من الحضور، إلا أن إضمار المسند إليه في هذه الآيات ، و بعيدا عن التأويل أسهم في الإيجاز و لم يكن وراء ذكره فائدة لأنه متضمن في صورة الضمير المستتر ، و هو مما لا يختلف في تفسيره لدلالة المضمر فيه عليه ، و ليس إضمار المسند إليه بدعا في اللسان العربي ، أو مما يشكل عدولا عن القاعدة التي تعتبر الإظهار أصلا و الإضمار فرعا لأنها محكومة بقاعدة أخرى هي أمن اللبس << فحيث أمن اللبس جاز الإضمار أو الإظهار>>[1].

و << الجملة قد تخلو من المسند إليه لأن المتكلم لم يعن بذكره ، أو لأن الكلام لا يهدف إلى الإشارة إليه كما إذا قيل " جلس في الغرفة "، لأن الغرض الإخبار عن الجلوس لا عن من جلس>>[2].

و لنا أن نلاحظ من جهة أخرى أن كل ضمائر الغيبة المضمرة تعود إلى الأشخاص أو الأمكنة ، و قد تقدم القول بقلة أهمية ذكر الأسماء لعدم تعلق الغرض بها.

النمط الثالث / مسند إليه ظاهر + مسند مضمر: قبل البدء في تحليل نماذج هذا النمط تجدر الإشارة إلى اختلاف النحاة في المسند الخبر في الجمل التي يخبر فيها بظرف أو جار ومجرور ؛ قال ابن مالك : و أخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى "كائن" أو "مستقر"

---

[1] – تمام حسان : الأصول ، مرجع سابق ، ص 121.

[2] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، ص 33.

و قال ابن هشام : << يقع الخبر ظرفا منصوبا كقوله تعالى : "و الركب أسفل منكم" أو جارا و مجرورا كقوله تعالى : "الحمد لله رب العالمين" ، و هما حينئذ متعلقان بمحذوف وجوبا تقديره "مستقر" أو "استقر" و الأول اختيار جمهور البصريين و حجتهم أن المحذوف هو الخبر في الحقيقة ، و الأصل في الخبر أن يكون اسما مفردا ، و الثاني اختيار الأخفش والفارسي و الزمخشري و حجتهم أن المحذوف عامل النصب في لفظ الظرف و محل الجار والمجرور و الأصل في العامل أن يكون فعلا>> [1].

و نريد أن نقف عند قوله (المحذوف هو الخبر في الحقيقة) و نذكر بجواره قول ابن يعيش << والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو "استقر" >> [2] ، لنلاحظ أن الرجلين استعملا التعبير "في الحقيقة" و كأن أمرا غير الحقيقة ظن أنه الحقيقة و هي إشارة فصلها محمد محي الدين عبد الحميد في تحقيقه شرح ابن عقيل حين قال : << اعلم أنه قد اختلف النحاة في الخبر أهو متعلق الظرف و الجار و المجرور فقط ، أم هو نفس الجار و المجرور فقط ، أم هو مجموع المتعلق و الظرف أو الجار و المجرور ، فذهب جمهور البصريين إلى أن الخبر هو المجموع لتوقف الفائدة على كل واحد منهما ، و الصحيح الذي نرجحه أن الخبر هو نفس المتعلق و حده و أن الظرف أو الجار و المجرور قيد له >>[3].

و إنما أوردنا كل هذه الآراء لأن الكلام في هذا الموضع متعلق بالإسناد الذي لا يكون إلا بين اسمين أو اسم و فعل على حد تعبير الزمخشري المتقدم و ليس الظرف أو الجار والمجرور اسما و لا فعلا فلم يبق إلا أن يكون الخبر هو المتعلق وحده و هو الرأي الذي نرتضيه و نحلل وفقه جمل هذا النمط التي بلغت أربع عشرة جملة في الآيات (1 ، 2، 3، 17، 26، 27، 29، 34، 39، 44، 58، 79، 82).

و توضيح المعنى في هذه التراكيب يقتضي الحديث عنها من ناحيتي إضمار المسند ورتبة متعلقه ، نؤجل الثانية إلى المبحث الأخير من هذا الفصل و نتناول الأولى من خلال نموذجين هما : "الحمد لله" من الآية 1 ، و "كان وراءهم ملك" من الآية 79 و هذا تمثيل ذلك :

---

[1] – ابن هشام : قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق ، ص 120.

[2] – ابن يعيش : شرح المفصل ، مصدر سابق ، ص 88/1.

[3] – محمد محي الدين عبد الحميد : شرح ابن عقيل ، مصدر سابق ، الهامش ، ص 210/1.

1-

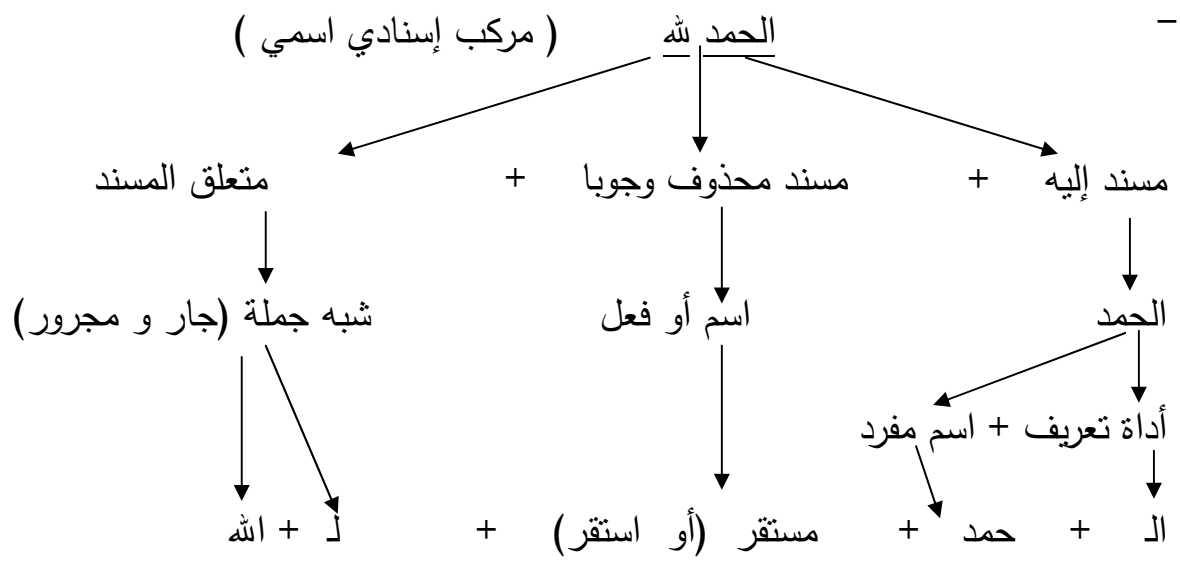

و يبدو في إظهار المسند المستتر ثقل تنوء به العبارة لأن شبه الجملة كاف لإقامة المعنى لتعلقه بالخبر ودلالته عليه و لذلك قالوا بإضماره على جهة الوجوب و عدم إظهاره إلا للضرورة كقول الشاعر:

لك العز إن مولاك عز و إن يهن فأنت لدى بحبوحة الهون كائن[1]

و علاقة المسند المستتر بالمعنى في هذه الجملة تظهر في التقديرين الاسمي والفعلي بشكل مختلف، فإذا كان التقدير اسما "مستقر" كان له دلالة الثبات و الدوام في عود الحمد إلى الله تعالى في كل حال ؛ و قد جاء في الأثر أنه لا يحمد على مكروه سواه ؛ فهو محمود في النقمة كما هو محمود في النعمة ، و إذن فهو محمود أبدا لأن الإنسان إما في نعمة أوفي نقمة، و إذا كان المحذوف فعلا "يستقر" كان دالا على تجدد الحمد ، و المسلم يحمد الله صباح مساء و إثر كل نعمة ، و لو لم يذكر لفظ الحمد إلا في الصلاة المكتوبة لكان يكرره في اليوم الواحد أربعا و ثلاثين مرة ، و لأهمية الحمد تكرر جذره في القرآن سبعا و أربعين مرة.

[1]- المصدر السابق : 211/1.

2-

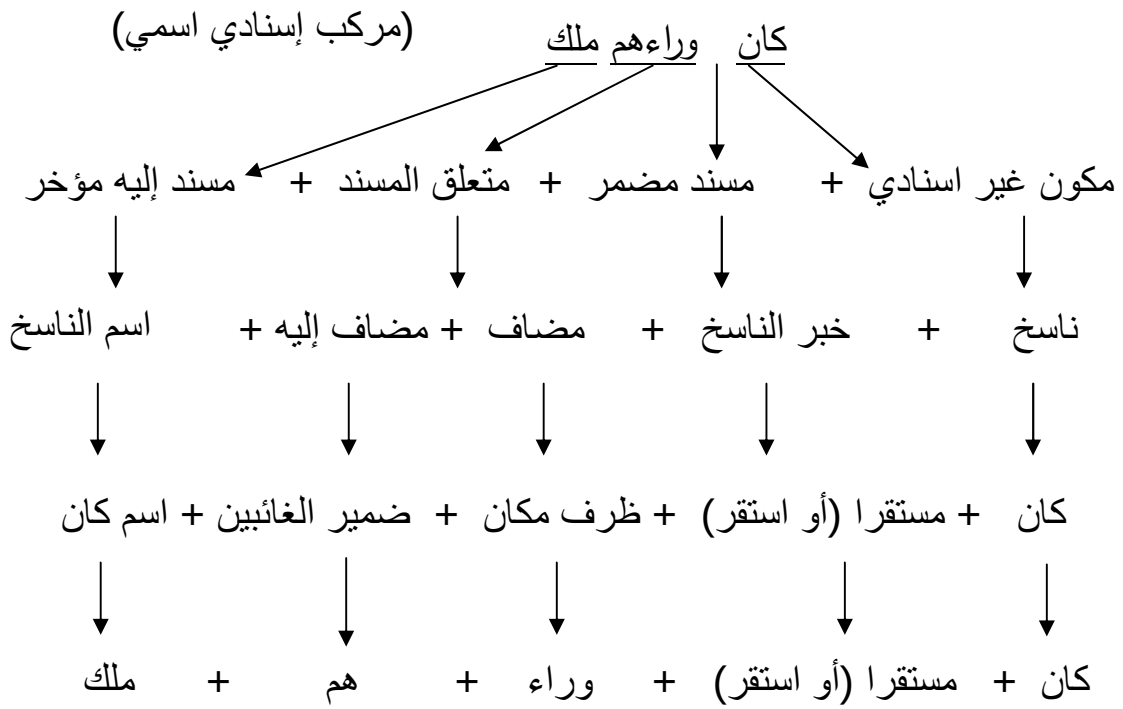

و التركيب كما هو واضح معدول فيه عن أصلين هما الرتبة و الإظهار حيث تقدم الظرف و رتبته التأخير و تأخر المسند إليه و حقه التقديم ، و استتر المسند و أصله الإظهار، و إذا كان تقدم الظرف للاهتمام به فإن إظهار الخبر يجفو به المقام لما بين مفهوم الاستقرار ولفظ "وراء" من تضاد في المعنى لأن الاستقرار يعني الثبات أما "وراء" فـ <<يستعار لحال تعقب شيء شيئا و ملازمة طلب شيء شيئا، و كل ذلك شبيه بالكائن خلف شيء لا يلبث أن يتصل به>> [1] ، فكان في وضع لفظ "وراء" الدال على الحركية و التعقب إزاء لفظ الاستقرار نشاز أوجب إضمار الثاني.

النمط الرابع : مسند إليه مضمر + مسند مضمر + متعلقات :

مثل هذا النمط تركيب واحد هو <<كان من الجن>> من قوله تعالى : ﴿ **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ الآية 50.

حيث عدل ظاهر العبارة عن إظهار كل من المسند و المسند إليه ، و سنبين عنهما من خلال تفكيك التركيب كما في المشجر التالي :

---

[1]– الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 12/16.

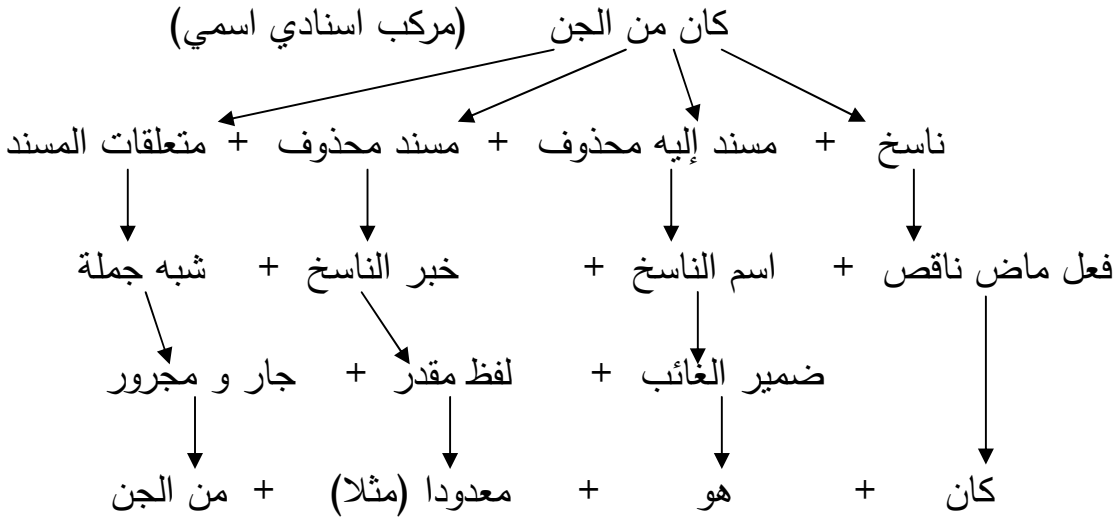

و لئن كان إظهار المسند و المسند إليه سهل التحقيق فإنه لا يضيف جديدا للمعنى لتقدم ذكر المسند إليه و إغناء الإشارة بشبه الجملة إلى المسند الذي هو عين الخبر ، لأن شبه الجملة لا تقوم به علاقة الإسناد كما تقدم ، و لذلك <<جاز حذف المبتدأ و الخبر معا إذا دل سياق الكلام عليهما>>[1].

أما الفعل الناقص "كان" فبالرغم من أنه ليس طرفا في الإسناد القائم أصلا بين الضمير العائد على إبليس و المسند المقدر فإنه أضاف دلالة لم تتضمنها علاقة الإسناد ، وهي كون المسند إليه متصفا بالمسند منذ القدم أي من تاريخ الخلق و بذلك رد كثير من المفسرين على من قال بأن إبليس كان ملكا و طرد من الملكية بسبب المعصية.

كما أن الإخبار عن أصل إبليس قبل إيراد معصيته مباشرة فيه إشارة إلى علاقة ما بين الأصل و المعصية ، و لأن الأصل ثابت و المعصية متجددة فقد أبان الكلام عن الأصل عن طريق الاسمية لما فيها من إشارة للثبات ، و عن المعصية بالفعلية في قوله ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ و الآية مثال للتمييز بين دلالة الاسمية و الفعلية و دليل على أن إحداهما لا تقوم مقام الأخرى.

[1]– أبو السعود حسنين الشاذلي : المركب الاسمي الاسنادي و أنماطه ، مرجع سابق ص 72.

المبحث الثاني : الجملة الفعلية

لا ينأى الكلام في الجملة الفعلية عنه في الاسمية من حيث ارتباطه في كليهما بمسألة الإسناد الذي ينعقد في الجملة الفعلية بين الفعل و الفاعل بوصفهما الركنين الأساسيين فيها لأنهما لا يكونان إلا عمدة ، إلا أن الحديث عن الإسناد بين الفعل و فاعله بعيدا عن النظر في لزوم الفعل أو تعديه يفتقر إلى الموضوعية و الجدية في تقصي المعنى؛ ذلك أن النظر إلى الفعل من زاوية التعدي يتيح فرصة امتداد مجال البحث ليشمل المفعول به الذي قد لا تقوم الإفادة –التي اعتبروها حدا للجملة و الكلام– إلا به ، و من ثم فإنه يستمد أهميته الإسنادية من انتظامه مع الفعل و الفاعل في تشكيل المركبات الإسنادية الفعلية ذات الأفعال المتعدية التي تتوقف الإفادة فيها على ذكر المفعول أو المفاعيل.

و يفيد الإحصاء الذي أجريناه على جمل النص أن الجمل الفعلية ذات الفعل المتعدي (إلى مفعول واحد أو إلى مفعولين) تشكل نسبة 88% من مجموع الجمل الفعلية ، أما الجمل الفعلية ذات الفعل اللازم فلم تتجاوز نسبة 12% من المجموع الكلي للجمل الفعلية ، و هي نسبة نؤجل قراءتها دلاليا إلى مكانها في البحث و نوردها هنا من أجل التأسيس للتصنيف المعتمد في التحليل.

و انطلاقا من هذا الاعتبار تعاملنا مع الجمل الفعلية التي انتظمها نص السورة ؛ فكان أن أضفنا اللزوم أو التعدي أساسا ثانيا في تصنيف الجمل بعد أساس الإظهار و الإضمار الذي انبنى عليه تقسيم الجمل الاسمية ، أما زمن الفعل فقد اكتفينا فيه بما ذكرناه بشأنه في الفصل الصرفي توخيا للاختصار، فكان أن استوى التصنيف على الأشكال التالية : التي نوردها هنا ذكرا لنوالي الكلام فيها تمثيلا و تحليلا :

أولا– الأفعال اللازمة : فيها ثلاثة أنماط هي :

النمط الأول : مسند + مسند إليه ظاهر + متممات.

فعل + فاعل ظاهر + متممات.

النمط الثاني : مسند + مسند إليه مضمر دون متممات.

فعل + فاعل مضمر دون متممات.

النمط الثالث: مسند + مسند إليه مضمر + متممات.

فعل + فاعل مضمر + متممات.

ثانيا– الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد ؛ فيها نمطان هما :

النمط الأول : مسند + مسند إليه ظاهر + متممات.

1) المبني للعلوم: فعل + فاعل ظاهر + متممات.

2) المبني للمجهول: فعل + نائب فاعل ظاهر + متممات.

النمط الثاني : مسند + مسند إليه مضمر + متممات.

1) المبني للعلوم: فعل + فاعل مضمر + متممات.

2) المبني للمجهول: فعل + نائب فاعل مضمر + متممات.

ثالثا– الأفعال المتعدية إلى مفعولين ؛ فيها نمطان هما :

النمط الأول: مسند + مسند إليه ظاهر + متممات.

فعل + فاعل ظاهر + متممات.

النمط الثاني: مسند + مسند إليه مضمر + متممات.

فعل + فاعل مضمر + متممات.

و قد وضعنا في الاعتبار أثناء التحليل حالتي الإثبات و النفي فمثلنا لكل شكل بنموذج مثبت و آخر منفي إلا عند عدم توفر النفي فإننا اكتفينا بتحليل حالة الإثبات ، و هذا بسط الكلام في كل نموذج :

أولا الأفعال اللازمة :

النمط الأول : مسند + مسند إليه ظاهر + متممات.

1–حالة الإثبات : فعل + فاعل ظاهر + متممات.

و هو الشكل الأبسط في تراكيب الجمل الفعلية ذات الفعل اللازم لعدم الحاجة فيه إلى التقدير و التأويل لأنه لا إضمار فيه، ومكانه بدايات الكلام حيث يلزم التعرف على المسند إليه ذكرا ليحال عليه بعد ذلك عن طريق الضمائر، و قد اخترنا لهذا النوع مثالا (في حالة لإثبات) قوله تعالى : ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾ الآية 10 حيث كانت هذه الجملة هي بداية تفصيل الكلام في خبر أهل الكهف فكان من الضروري أن تظهر جميع عناصر التركيب في التعبير، و لم يمنع كون الجملة استئنافا بيانيا للجملة التي قبلها ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا** ﴾ من إظهار المسند إليه الذي كان حقه الإضمار لتقدم ذكره في لفظ "أصحاب" من الجملة الأولى ، لكن لفظ "أصحاب" لا يفي بالحاجة المعنوية و الشحنة الدلالية المقصودة فوجب إظهاره في صورة أخرى هي لفظ "الفتية" لما فيها من دلالة عن التساوي في

السن و إشارة إلى كمال خلق الرجولة بما تحته من معاني سداد الرأي وثبات الجأش و الدفاع عن الحق [1]، و للفتوة في اللسان العربي وقع خاص يغيب في كثير من مرادفاتها و قد قال قائلهم في تعريفها :

إن الفتى من يقول ها أنذا و ليس الفتى من يقول كان أبي

و ليس في لفظ "أصحاب" –الذي كان سيعود إليه الضمير لو عدل عن الإظهار– من هذه المعاني شيء لذلك لم يغن الضمير عن الظاهر في الإبانة عن المعنى المقصود.

و في هذا التركيب تظهر كذلك أهمية المتممات لأن الجملة لا تقوم دلالتها بالفعل والفاعل وحدهما لأن المتمم (إلى الكهف) ظرف للفعل إذ إن معنى الفعل "أوى" منقوص من غير ذكر محله فكان شرطا لتمام المعنى أن يظهر كل من الفعل و فاعله و شبه الجملة.

2– حالة النفي: نمثل لها بالجملة ﴿ **لن تفلحوا إذا أبدا** ﴾ من الآية 20 (المشجر التالي) :

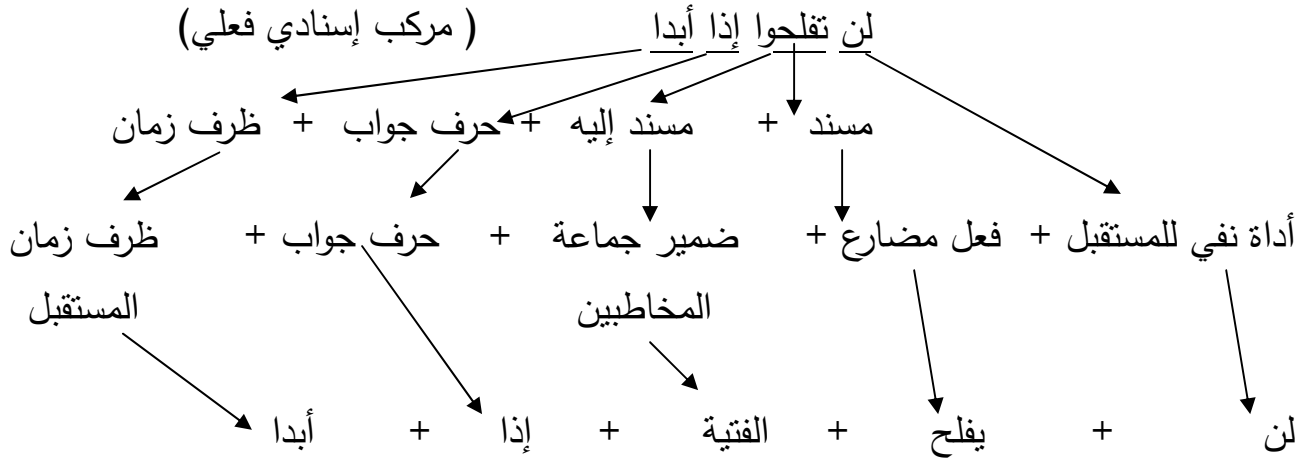

و يشير تفكيك المركب إلى أمرين :

الأول: خلوص فعل الإسناد للاستقبال بتضافر ثلاث قرائن:

أ– توفر صيغة الفعل الصرفية على احتمالي الحال و الاستقبال.

ب– دلالة النفي في الحرف "لن" على الاستقبال.

ج– دلالة الظرف "أبدا" الذي يفيد استغراق الزمن المستقبل[2].

الثاني: تعلق عدم الفلاح بالظهور على الفتية ، و هو ما دل عليه حرف الجواب "إذا" الذي توسط بين الجملة و الظرف إشارة إلى ترتب عدم الفلاح عن الظهور عليهم.

و يمكن أن نحكم في ضوء هذا التحليل – الذي محصلته تأكيد نفي الفلاح عن الفتية لو عثر عليهم أهل المدينة– على تفكير الفتية بأنه يتسم بالواقعية و العقلية لأنه يربط الأسباب

---

[1]– ينظر: الطاهر بن عاشور؛ التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 266/15.

[2]– علي الحمد ويوسف الزعبي : المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، ص 25 .

بالنتائج ، و يستشرف المستقبل من الماضي ؛ ذلك أن علمهم يسيرة ملكهم و أهل مملكته (وهم ماض) جعلهم يجزمون بأنهم إن ظهروا عليهم إما أن يعيدوهم إلى الشرك أو يرجموهم (و هو غيب لم يقع) و في الحالين لن يفلحوا أبدا ، و من ثم كان حرصهم على تلطف رسولهم إلى المدينة مخافة افتضاح أمرهم ووقوع المحذور.

و من سداد رأيهم كذلك أنهم ضربوا صفحا عن ماضيهم و انصرفوا إلى المستقبل ؛ الدنيوي بالتفكير في أمر طعامهم و ما به تقوم حياتهم ، و إلى المستقبل الأخروي بتسليم أمرهم –كل أمرهم– لله تعالى ، ومن ذلك قولهم ﴿ **ربكم أعلم بما لبثتم** ﴾ لأنه من الغيب الذي يختص بعلمه الله وحده ؛ وكل ذلك من معاني الفتوة وسداد الرأي في لفظ "الفتية" كما تقدم.

النمط الثاني : مسند + مسند إليه مضمر دون متممات.

فعل + فاعل مضمر

نمثل له بجملة ﴿ **ليتلطف** ﴾ من الآية 19.

و هي إنشائية طلبية انعقد فيها الإسناد بين فعل التلطف و فاعله وظهر المعنى في أوجز صورة صوتية و تركيبية ممكنة و هذا تبسيط للتركيب.

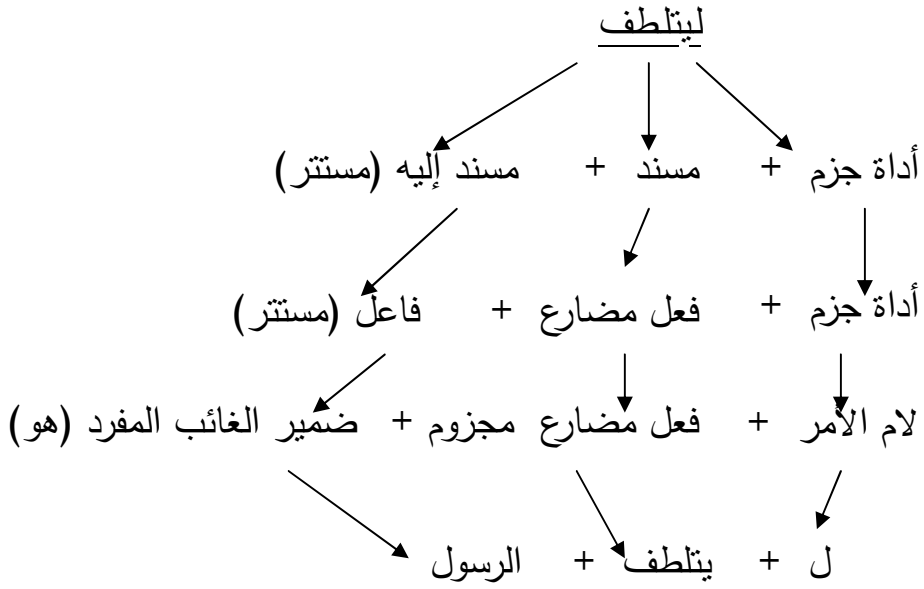

و هو إيجاز يشي بحرص الفتية الشديد على طلب التخفي و الاستتار و يظهر في :

– البنية الصوتية : حيث كانت نسبة الأصوات المهموسة في الكلمة 5/3 ، و الهمس دليل خوف و حذر، و الصوتان المجهوران (ل،ي) يفتقران إلى الشدة لأنهما من الأصوات الرخوة و إذن فقد تحاشى متحدثهم كلا من الجهر و الشدة ما أمكنه، ضف إلى ذلك تشديد صوت الطاء و سكون القاف ، و نقرأ فيهما تركيزا للتفكير و دعوة للانتباه.

– الصيغة الصرفية : حيث كان الأمر بصيغة "ليفعل" بدل "افعل" لما في الثانية من شدة الخطاب و نبرة الفوقية ، و قد أمكن تلافيهما بالعدول عن الخطاب إلى الغيبة في "ليفعل".

–البنية التركيبية : حيث أسند الفعل إلى ضمير الغائب ثم حذف و به جاء المعنى في أوجز لفظ ، كما أن اختيار حرف اللام للأمر مكن من بدء الكلمة بالكسرة أخف الحركات ليجتمع إلى سكون الفاء فتكون الخفة بداية ونهاية ، و كل ذلك لطف على لطف.

النمط الثالث : مسند + مسند إليه مضمر + متممات

فعل + فاعـل مضمــر + متممات

1) حالة الإثبات : نمثل لها بجملة ﴿ **تخرج من أفواههم** ﴾ الآية 5 و نبسطها في الشكل التالي:

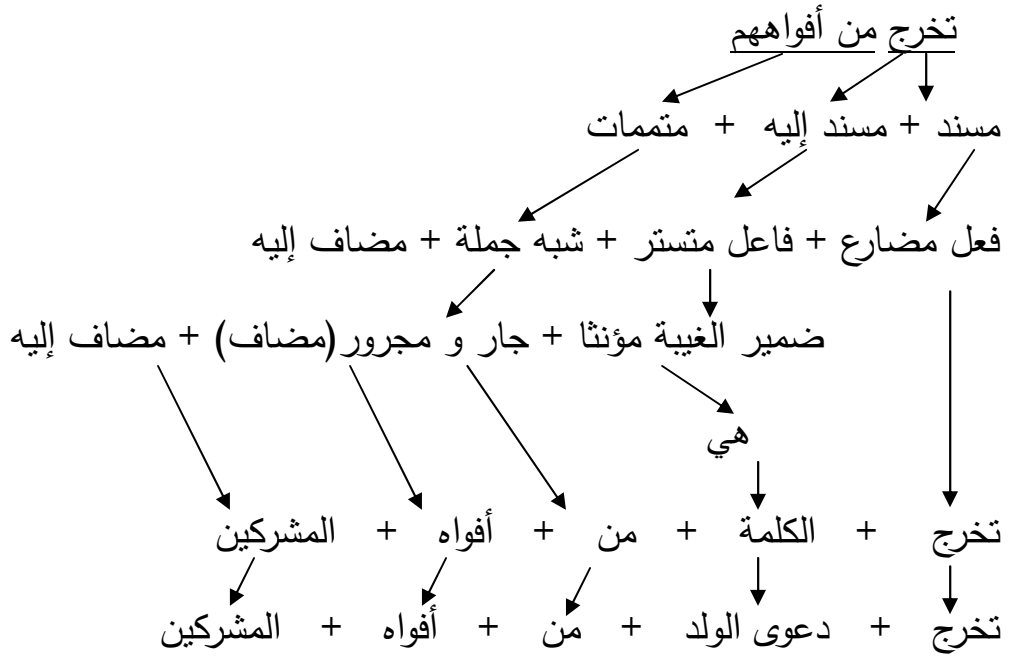

وعلاقة الإسناد قائمة بين فعل الخروج و فاعله المستتر(الكلمة) ، وقد أبان التفكيك أن :

– ضمير المسند إليه هو اختصار مضاعف ثلاث مرات لأن الاستغناء عن الضمير الظاهر بالضمير المضمر ضرب من الاختصار، و هو الاختصار الأول ، و الاكتفاء عن الكلمة بضميرها ضرب آخر من الاختصار، و هو الاختصار الثاني، أما الاختصار الثالث ففي لفظ الكلمة المعبر عن أكثر من جملة في قوله تعالى ﴿ **قالوا اتخذا الله ولدا** ﴾ الذي سبق التركيب موضوع التحليل.

وأن للمتممات (شبه الجملة) أهميتها،و أنها مقصودة لذاتها لأنه لا مصدر لخروج الكلمة غير أفواههم الآثمة و قد أشار بعض المفسرين إلى أن ذكرها يضيف للمعنى دلالة الاجتراء على المجاهرة بالشرك صراحة [1] ، و بين التصريح و الكتمان فرق و إن اتحدت المعصية ، و لأمر ما قال الرسول– صلى الله عليه و سلم– : << كل أمتي معافى إلا المجاهرون >>[2].

و قد أخلى الاختصار الأول المكان لشبه الجملة كي يأخذ مكانه إلى جوار الفعل الذي هو مصدره ، أما الاستغناء عن ذكر المشركين بالضمير "هم" فقد أفاد الحط من شأنهم لأنهم عرفوا قبل هذه الآية بأقوالهم تنزها عن تشريفهم بذكر أسمائهم ، وذلك في قوله –تعالى–:

﴿ **و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾ ، (و هو مما يتيحه التعبير بالموصول كما تقدم في الفصل الصرفي) [3]، و حتى يتميز عنهم المؤمنون الذين ذكروا بالاسم و الفعل معا في قوله تعالى ﴿ **و بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ...** ﴾.

2– حالة النفي: منها جملة وحيدة هي ﴿ **لم تحط به خبرا** ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **و كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ﴾ الآية 68 و نبسطها في الشكل التالي:

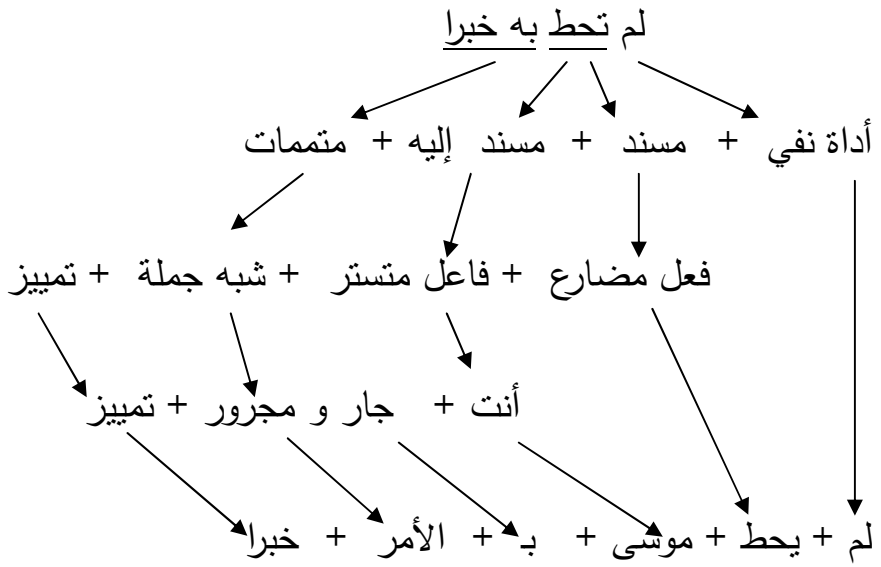

و دلالة التركيب نفي اتصاف المسند إليه بالمسند (الفعل بالفاعل) اتصافا محددا مخصوصا أفصحت عنه متممات العلاقة الإسنادية ، حيث أبان التمييز عن ماهية الإحاطة بأنها إحاطة علم (خبر) لا غير، و دل شبه الجملة على ماصدق الإحاطة ، و هو تصرف العبد

---

[1]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 380/2.

[2]– ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ، تح محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، 1397هـ ، 30/4.

[3]– هذا البحث : ص 70.

الصالح لا غير، و لذلك كان الاستفهام في "كيف تصبر" استفهام إنكار ، و كان المعنى << و أنت لا تصبر على ما لم تحط به خبرا>>[1].

ثانيا – الأفعال المتعدية : قبل تناول نماذج الأفعال المتعدية نريد أن نقف عند دلالة التعدي من خلال تحليل النسبة التي كنا أشرنا إليها في مستهل هذا المبحث حيث ذكرنا أن نسبة الأفعال المتعدية تتجاوز بكثير نسبة الأفعال اللازمة ، و من قبل كنا وقفنا على غلبة الجمل الفعلية على الجمل الاسمية ، و إذا كان تكثيف الجمل الفعلية يشير إلى الحركة والتنوع فإن غلبة التعدي يحمل دلالة يفرض اكتناهها الوقوف –أولا– على حقيقة إسناد الفعل للفاعل ، ذلك أن إسناد أي فعل لفاعله يعني بالضرورة أن تغيرا ما طرأ على ذلك الفاعل ؛ وهو تغير يغلب فيه أن يتجدد ؛ و هي السمة التي تميز التعبير بالفعلية ، و ليس ذلك مما نرمي إليه الآن، و لكنا نهدف إلى الإبانة عن ما بين الفعل اللازم و الفعل المتعدي من فرق في الدلالة ، حيث إن الفعل اللازم يترتب عن استعماله تغير واحد محله الفاعل بينما ينجر عن استعمال الفعل المتعدي تغير في الفاعل و آخر(أو أكثر) في المفعول أو المفاعيل ، و آية ذلك أن الجملة " انطلقا " –مثلا– تشير إلى حدث واحد هو انتقال الفاعل (موسى و العبد الصالح) من حالة التوقف إلى حالة الانطلاق ، في حين أن الجملة ذات الفعل المتعدي " قتلت نفسا زكية " من القصة نفسها وقع فيها تغيران ؛ واحد في الفاعل بانتقاله من حال غير القاتل إلى حال القاتل و الثاني في المفعول بتحول النفس من الحياة إلى الموت ، أما إذا تعدى الفعل إلى مفعولين فإنه يشير إلى ثلاثة تغيرات ؛ واحد في الفاعل و اثنان في المفعولين كما في الجملة " آتوني زبر الحديد ".

و إذا كان الأمر كذلك فإن ارتفاع نسبة الأفعال المتعدية دليل آخر على غناء السورة بالأحداث و تنوعها ، و للوقوف على دلالة التعدي بتحديد أكثر هذا تحليل لنماذج من الجمل ذات الأفعال المتعدية .

1– الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد:

– النمط الأول : مسند + مسند إليه ظاهر + متممات

– المبني للمعلوم : فعل + فاعل ظاهر + متممات

أ– حالة الإثبات : نمثل لها بالنموذجين:﴿ **رأى المجرمون النار** ﴾ ، ﴿ **يلبسون ثيابا خضرا من سندس و استبرق** ﴾

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 372/15 .

أما النموذج الأول فهو تركيب بسيط ظهر فيه طرفا الإسناد (الفعل و الفاعل) متجاورين مع المفعول به الذي له أهميته لكونه أساسيا في الإفادة لأن المقصود معاينة المجرمين النار ، و إذا أضمر لفظ "النار" لم يبق لفعل الرؤية معنى لأن إظهار النار مقصود لذاته لما فيه من مزيد الرهبة و التخويف كما أن الإظهار سبب في الرؤية ، و في إظهار "النار" لفظا والاعتبار به ما يحول دون رؤيتها عينا.

أما النموذج الثاني ففيه تتجلى أهمية نوع آخر من المتممات و هو الوصف لما يتضمنه من قيمة دلالية مقصودة لذاتها و مذكورة نصا لأن الإفادة و إن كانت متوقفة على طرفي الإسناد إلا أنها تتجاوزهما إلى المفعول به ووصفه ذلك أن موضوع الكلام هو ما أعد للمسلمين من جميل الملبس و كريمه لا من حيث وجوده أو عدمه – لأن ذلك مقطوع به – ولكن من حيث ماهيته و صفاته ، و هو ما لا يبين عنه إلا المفعول ووصفه و دليل ذلك أن الاكتفاء بالفعل و فاعله لا يقيم المعنى و لا يحقق المقصود و هو الترغيب في الجنة بذكر نعيمها و أوصافه.

ب– حالة النفي : نمثل لها بالجملة: ﴿ **ما فعلته عن أمري** ﴾ و هي آخر عهد موسى بالعبد الصالح في سياق تبريره أفعاله بردها إلى الله تعالى ، و دخول حرف النفي على الجملة لا يفيد نفي وقوع الفعل أصلا ؛ و لا نفي وقوعه من الفاعل ، و لكنه ينفي عن الفاعل الاختيار والإرادة في أداء الفعل ، فهو إذا مسلط على شبه الجملة " عن أمري" ، و من ثم فإن الحديث عن هذا الإسناد بمعزل عن شبه الجملة يخل بالمعنى ، بل ينقضه لأننا لو اكتفينا بالفعل والفاعل و المفعول و قلنا "و ما فعلته" لكان النفي منصبا على الفاعل و كان المعنى أن العبد الصالح لم يخرق السفينة و لم يقتل الولد ، و لم يقم الجدار و هو غير مقصود و لا صحيح ، و من هنا يستمد شبه الجملة أهميته في العلاقة الإسنادية.

2– المبني للمجهول : فعل + نائب فاعل + متممات؛ نمثل لهذا الشكل بالجملة :

﴿ **عرضوا على ربك صفا** ﴾ التي أسند الفعل فيها للمفعول بدل الفاعل و نبسطها بالشكل التالي:

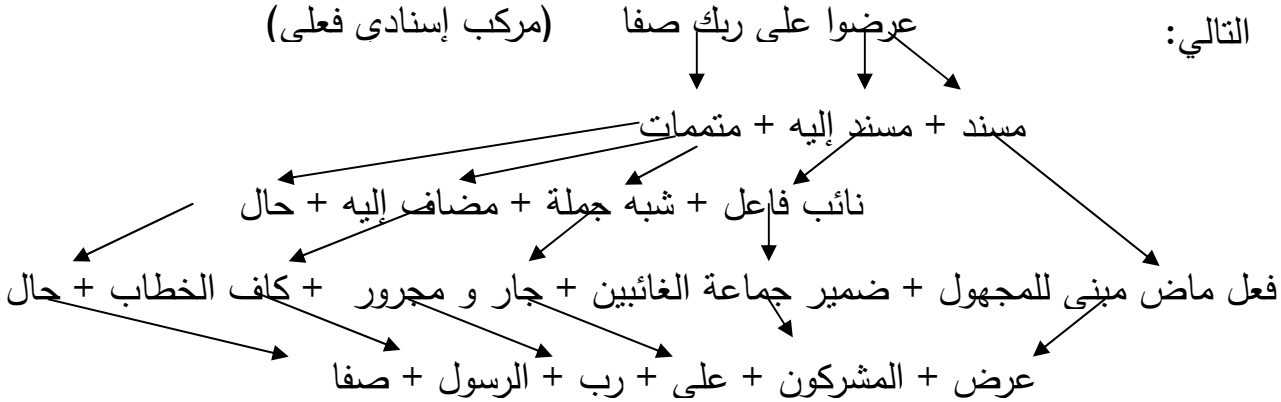

وهو تركيب أضمر الفاعل و أعطى وظيفته الإسنادية للمفعول به إشارة إلى عدم تعلق الغرض بذكر الفاعل فأسند الفعل إلى نائب الفاعل (الذي هو مفعول به) ثم جيىء بالمتممات (شبه الجملة و التمييز) اللذين كان في ذكرهما بجوار المفعول به إشارة إلى توزيع المعنى على النحو التالي :

- المفعول به ينقل من موقع التتمة أو الفضلة إلى موقع المسند إليه و هو العمدة لأنه مدار الكلام و الآية معقودة لوصف ما يلاقي المشركون من مصير أليم .
- شبه الجملة " على ربك " : يذكر لتخصيص فعل العرض بأنه على الله الذي كان الإشراك به في الدنيا سببا في هذا العرض ، كما أن في تعريف الله بإضافته إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– دليلا على أن << في العرض انتصارا للرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان نذيرا بهذا العرض في الدنيا >>[1]
- الحال : يذكر لما فيه من دليل على إهانة المشركين وأنهم << أحضروا بحال الجناة >>[2].

و إذن فإن الإغضاء عن ذكر الفاعل الذي لم يتعلق به الغرض مكن من إخلاء المكان لتقدم المفعول به من أجل الاهتمام به ، و تقديم المهتم به قاعدة مطردة في اللسان العربي[3].

النمط الثاني : مسند + مسند إليه مضمر + متممات

1– المبني للمعلوم : فعل + فاعل مضمر + متممات

أ– حالة الإثبات : نمثل لها بالجملة ﴿ **تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ من قوله – تعالى– : ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ الآية و هو تركيب اختفى فيه الفاعل لأن المعتنى به هو المفعول وقد حظي بالذكر ، و إنما كانت العناية به لأن خطاب الرسول –صلى الله عليه وسلم – هو خطاب لكافة الناس وهم من يخشى انغماسهم في لذائذ الدنيا و زينتها لما فيها من فتنة و غواية ، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه– وإن كان قد << وقع في نفسه ما شاء الله أن يقع >>[4] من تفكير في إجابة سادة قريش إلى طلبهم باختصاصهم بمجلس يجمعهم به دون فقراء الصحابة – لم يقع منه المحظور كيف وهم المعصوم ? و دليل ذلك أن التوجيه جاء عاجلا من السماء أن ﴿ **لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، و لا**

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر السابق ، 336/15 .

[2]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]– ينظر : سيبويه ؛ الكتاب ، مصدر سابق ،34/1 .

[4]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 145/4 .

تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ ، وحتى وإن فكر في الاستجابة لطلبهم فرغبة في تأليف قلوبهم و تهيئتها للإسلام و من ورائهم من وراءهم من فقراء وعبيد أما رغبته في الدنيا لذاتها فهو أبعد الناس عنها وصدق البوصيري حين قال :

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم [1]

ب- **حالة النفي** : مثالها قوله – تعالى- : ﴿ **لن تجد له وليا مرشدا** ﴾

و الآية تشترك مع سابقتها (حالة الإثبات) في عدم تعلق الغرض بذكر الفاعل ذلك أن المقصود أن من يضلل الله فلا هادي له[2] ، و ليس المقصود نفي استطاعة المخاطب (الفاعل) إيجاد الولي المرشد لمن أضل الله ، وإلا لفسد المعنى باستطاعة غير المخاطب ذلك الأمر ، وهو محال ، و من ثم فإن النفي تصريح بالاستحالة ، و هو ممتد في الزمان المستقبل لدلالة حرف النفي على ذلك ، و لما كان الاهتمام منصبا على المفعول جيء بنعته إمعانا في التوضيح و تمييزا للولي ذلك أن كثيرا من الأولياء يفتقرون إلى صفة الرشاد ؛ إما من عجز أو إضلال أو غيره ، و عليه فإن الولي المنفي إيجاده هو الولي المرشد وليس أي ولي ، ولا يقيم هذا المعنى إلا ذكر النعت .

2) المبني للمفعول : مثاله قوله – تعالى – : ﴿ **أحيط بثمره** ﴾ وقد سبق الكلام عن هذه الجملة في الفصل الصرفي [3] بأن ذكرنا أن العبرة من الإحاطة بثمار الكافر غير متعلقة بطبيعة المحيط (الفاعل) أو ماهيته و لكن بأثره، و من تم فهي محققة مع كل أنواع الفاعلين ونضيف هنا :

– دلالة الباء التي تفيد الإلصاق الحقيقي أو المجازي[4] و هو تكثيف للمعنى الكامن في لفظ الإحاطة بأن كانت إحاطة ملاصقة لا فكاك منها لانعدام المسافة بين المحيط و المحاط به ومن ثم فلا أمل في نجاة شيء مما أحيط به ، و هو تعبير يبتعد كثيرا عن " أحاطه ".

– دلالة الإضافة في "ثمره " حيث تعرف الثمر بإضافته إلى مالكه (الكافر) ، و فيها إشارة إلى المقصود بالعقاب فليس الثمر مما يعقل فيعاقب ولكن يحاط به لأنه ملك لعاقل مكابر.

و تلخيص الكلام أن :

---

[1]– البوصيري : البردة ، دار رحاب ،بور سعيد ، الجزائر ، د ت ، ص 7.

[2]– ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، ص 140/4 .

[3]– هذا البحث : ص 98.

[4]– ينظر: إميل بديع يعقوب ؛ معجم الإعراب و الإملاء دار شريفة ، مطبعة الرهان الرياضي ، الجزائر ، د.ت ص116.

أ – تغييب الفاعل حقق أمرين :

الأول : عدم إشغال العقل بما لا تعلق للغرض به.

الثاني : إخلاء المكان لتقدم شبه الجملة عناية به.

ب– زاد دخول الباء على مجروره لفظ الإحاطة تكثيفا في المعنى .

ج– حققت الإضافة في "ثمره" تحديد المقصود بالعقاب ، و من خلاله كل من كان في مثل حاله.

2– الأفعال المتعدية إلى مفعولين : نكتفي في هذا النوع من الجمل بتحليل نموذجين يمثل الأول حالة إظهار الفاعل و المفعول الأول و المفعول الثاني في صورة النفي من خلال الجملة ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض** ﴾ الآية 51 ، و يمثل الثاني حالة إضمار الفاعل والمفعول الثاني اكتفاء بالفعل و المفعول الأول و توابعه في صورة الإثبات من خلال الجملة ﴿ **ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ﴾.

أ : ﴿ **ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض** ﴾ نبسط الجملة في الشكل التالي :

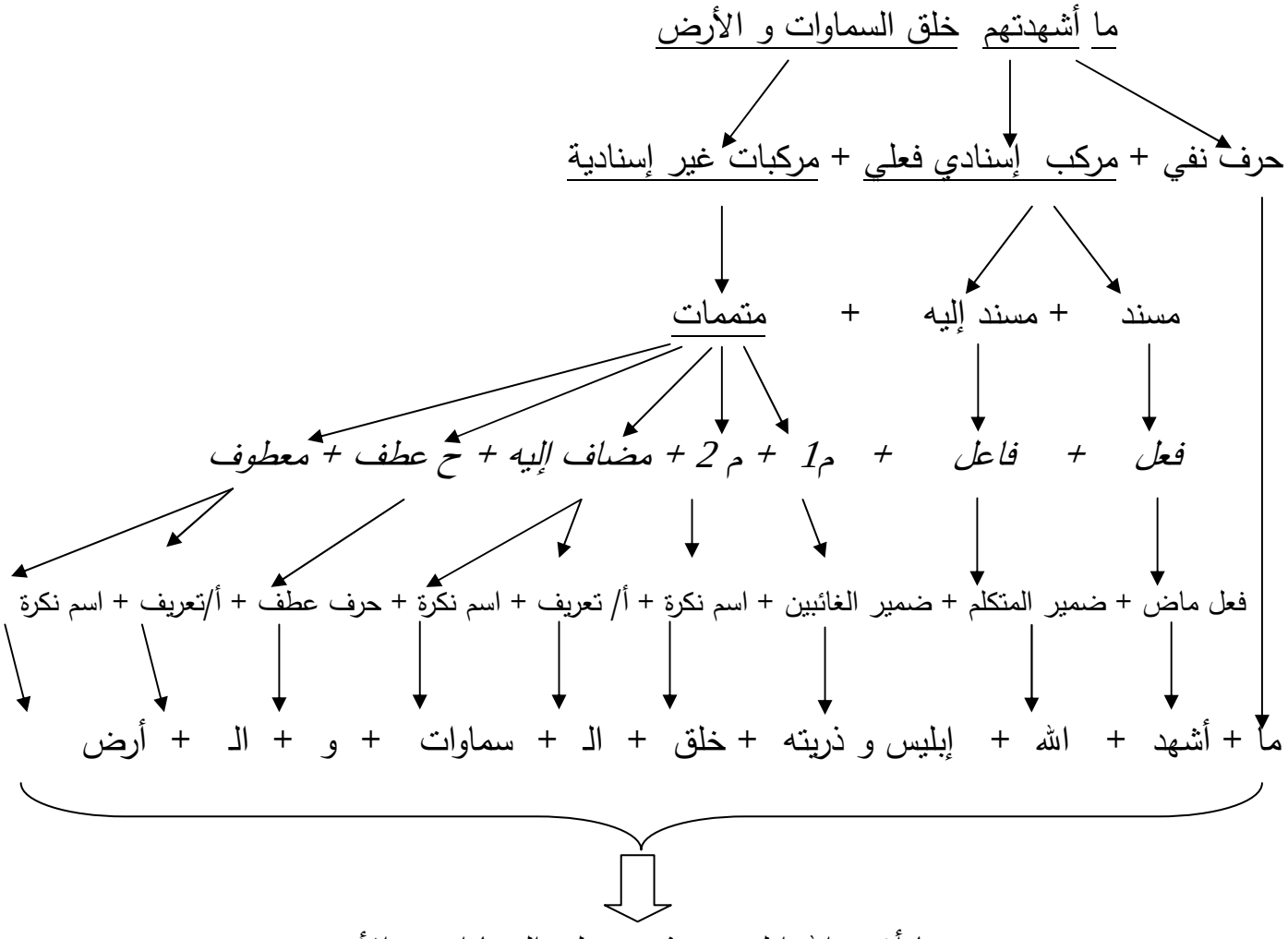

ما أشهد الله إبليس و ذريته خلق السماوات و الأرض

و الجملة موضوع التحليل << تتنزل منزله التعليل للجملتين اللتين قبلها وهما ﴿ **أفتتخذونه و ذريته.... إلى قوله بدلا** ﴾[1] وهو تعليل نحا منحى المحاججة العقلية بالانطلاق مع المشركين مما يسلمون به توطئة لإبطال ما يعتقدونه ذلك أنهم يعترفون بأن الله هو المتفرد بخلق السموات و الأرض و خلق الموجودات ، فنفى المشاركة في الإلهية عن طريق نفي المشاركة في الخلق على طريقة نفي النتيجة بانتفاء سببها[2] ، و بالطريقة ذاتها أبطل أحقيتهم بالعبادة (وهي موضوع الكلام) ببطلان صفة الإلهية لأنهم << إنما كانوا يكونون شركاء فيها (العبادة) لو كانوا شركاء في الإلهية >>[3] .

ومن ذلك نتبين عمق النفي في امتداده أفقيا من خلال وصول معناه إلى الأرض بصفتها معطوفا على السماوات ، و إلى ما بعد السماوات و الأرض في (ولا خلق أنفسهم) فيكون معنى النفي قد شمل إشهاد إبليس و ذريته خلق السماوات ، و خلق الأرض وخلق أنفسهم << أي لم يشهد بعضهم خلق البعض الآخر بقرينة استحالة مشاهدة المخلوق خلق نفسه >>[4] ، و عموديا في علاقة التعدي حيث كان الاستدلال على انتفاء أحقية العبادة بانتفاء الإشراك في الألوهية المترتب عن عدم الإشراك في الخلق وهو استلزام صاعد من الأدنى المسلم به إلى الأعلى المختلف فيه نمثله بالشكل التالي :

عدم الإشراك في الخلق ⟸ عدم الإشراك في الألوهية ⟸ عدم الأحقية بالعبادة

(المقدمة) (النتيجة)

(الشكل 1)

وكان في إظهار الفاعل و المفاعيل دليل على كمال العناية بجميع عناصر الجملة ذلك أن الفاعل – وهو الله تعالى– هو اللفظ المحوري من حيث تعلق التعليل الذي سيقت من أجله الجملة بالافتراء عليه بدعوى الشريك في الألوهية و العبادة ، و المفعول الأول (إبليس وذريته) مع فاعل الجملة المعللة " أفتتخذونه " في موقع التجريم و الاتهام و من كمال العدالة إحضار المتهم عند المحاكمة لإبطال ما قد يفترض من وجود دفاع حال دونه غياب المتهم ، وقد ظهر المتهم الأول (المشركون) في صورة الضمير الظاهر في الجملة " "تتخذونه ....." ، و بالشكل

---

[1] – الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، 342/15 .

[2] – ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] – الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، ص 393/2.

[4] – المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

نفسه ظهر المتهم الثاني (إبليس وذريته) حيث كان ضميرا ظاهرا في الجملة " ما أشهدتهم " وهو ضرب من التماثل و المساواة .

أما المفعول الثاني (خلق) فهو أساس الحكم و مرجعيته إذ بوجوده ثبتت إلهية الله ، وبعدمه أدين إبليس و أتباعه ، فكانت هذه الآية أشبه ما تكون بمحاكمة قاضيها الله ، و المتهم فيها المشركون معبودهم ، والتهمة عبادة من لا يستحق العبادة ، وقد انتهت إلى حكم مؤداه أن << الله هو المستقل بخلق الأشياء كلها و ومدبرها ومقدرها وحده ليس معه في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير >>[1] وإذن فهو الأحق بالعبادة و التأليه وذلك جوهر العقيدة الموضوع الأساس في السورة كلها :

النموذج الثاني : ﴿ لينذر بأسا شديدا من لدنه ﴾

الفعل " ينذر " متعد إلى مفعولين إلا أن التعبير اقتصر على ذكر أحدهما و أضمر الفاعل فماذا وراء هذا الإضمار ؟

نبسط الجملة لنعيد إليها مضمراتها ثم نقارن صورتها و هي مكتملة بصورتها بعد الإضمار :

لينذر بأسا شديدا من لدنه (مركب إسنادي فعلي)

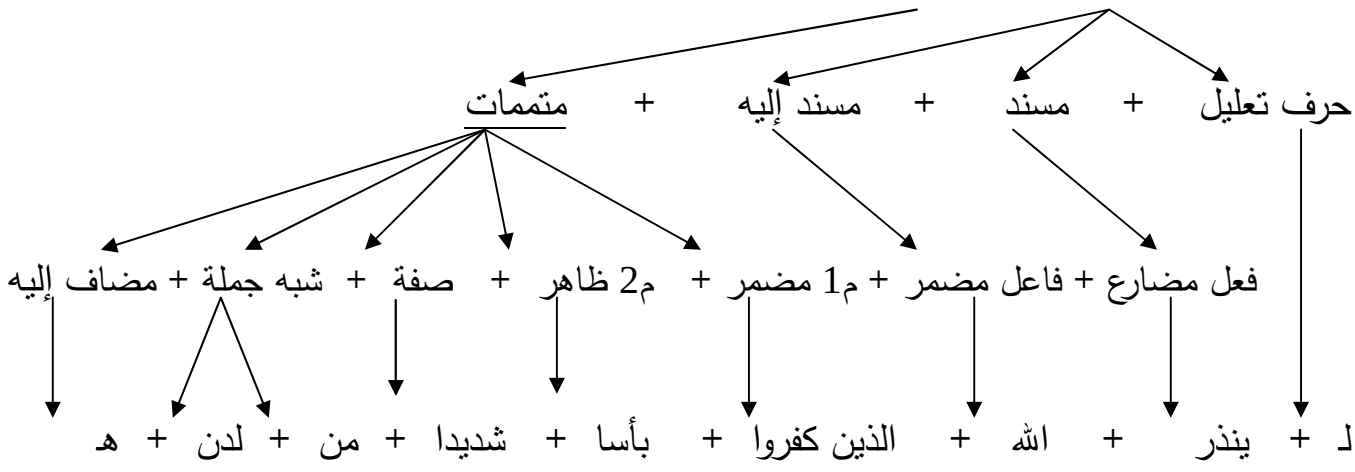

و الجملة في شكلها الأخير مستوفاة جميع عناصرها ، وقد تم ذلك بإخراج كل من الفاعل و المفعول من الإضمار إلى الإظهار فماذا وراء العدول عن الأصل إلى الفرع ؟

في حذف المفعول يقول الزمخشري :<< فإن قلت لم اقتصر على أحد مفعولي" ينذر " قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه فوجب الاقتصار عليه ،و الدليل عليه تكرير الإنذار في قوله تعالى ﴿ **ولينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا** ....﴾ و أصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا >> [2] ، أما الطاهر بن عاشور فيرى أن << المفعول الأول لينذر محذوف لقصد التعميم

---

[1]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر السابق ، 155/4.

[2]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 380/2.

أو تنزيلا للفعل منزله اللازم لأن المقصود المنذر به هو البأس الشديد تهويلا له ، ولتهديد المشركين المنكرين إنزال القرآن من الله >>[1].

وإذا كنا نستبعد تنزيل فعل الإنذار منزلة اللازم بدليل تعديته في الجملة الثانية فإن التفسيرين يلتقيان في التأكيد على العناية بالمنذر به أكثر من المنذرين ، إلا أن التفسير الثاني يشير إلى أمر أكثر من العناية بالمفعول الثاني ، و هو تعميم الإنذار واشتماله لأكثر من نوع من الناس ؛ ذلك أنه لو قيل (لينذر الذين كفروا بأسا شديدا) لكان الإنذار خاصا بهم قاصرا عن من سواهم ممن يستوجبون البأس الشديد وتلك فائدة أخرى من فوائد الإضمار.

و أما إضمار الفاعل (الله) فقد أوجبه معنويا تقدم ذكره في الجملة التي قبل هذه الجملة، و تركيبيا ترك المكان لذكر المقصود المخصوص بالعناية وفضلا عن ذلك فإن في شبه الجملة(من لدنه) ضميرا يشير إلى الفاعل.

و لأهمية المفعول الثاني زيد تأكيدا بنعته (شديدا) ، وقد اختلفوا في المقصود بالبأس فقال ابن كثير : إنه << عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة >>[2] ، وقال صاحب التحرير و التنوير : << المراد به شدة الحال في الحياة الدنيا وذلك هو الذي أطلق عليه اسم البأس في القرآن وعليه درج الطبري ، وهذا إيماء بالتهديد للمشركين بما سيلقونه من القتل والأسر بأيدي المسلمين >>[3] و أيا كان المعنى فحسبه أنه بأس و أنه من عند الله .

و إذا كان التركيب النظري للجملة الفعلية لا يسمح بالعدول عن أصل الإظهار في الفعل فإنه يجوزه – خدمة للمعنى – فيما سواه ، و قد استنفذ النص هذه الخصيصة في البناء الفعلي بأن بنى الفعل للمفعول حيث لم يكن للمعنى تعلق بذكر الفاعل ، و حذف المفعول أو المفاعيل عندما كان القصد إلى الاهتمام بالفعل أو فاعله ، و أضمر الفاعل – و هو العمدة – ليخلي مكانه للمتممات – و هي الفضلة – حيث كان القصد إلى العناية بالنعت أو التمييز أو شبه الجملة ، و تلك هي النتيجة التي نتوج بها وقفتنا عند الجملة الفعلية في النص.

---

[1]– الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 249/15.

[2]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 135/4 .

[3]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 249/15 .

التركيب الشرطـي

لم تخرج الجملة الشرطية عن قاعدة الاعتداد بالصدارة في التسمية حيث كان <<القول بأن الجملة الشرطية هي التي تبدأ بأداة شرط مثلها في ذلك مثل الجملة الاسمية التي تبدأ بالاسم ، و الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل >>[1].

إلا أن وقفة اللغويين و النحاة عند هذا النوع من التراكيب كانت أطول و اختلافهم فيه كان أشد مما هو عليه في كل من الجملة الاسمية و الجملة الفعلية ، و هو اختلاف مرتبط بالطبيعة التركيبية للجملة الشرطية ، حيث رأى بعض اللغويين أن التركيب الشرطي مكون من جملتين ؛ الأولى شرط و الثانية جواب و جزاء ، و عدوا الشرط فعلا و فاعلا ، والجزاء فعلا و فاعلا [2] ، و هو رأي ينقضه الجمهور بالقول إنها جملة واحدة لا تؤدي دلالتها كاملة إلا بتكامل عناصرها إذ ليست عبارتا الشرط و الجزاء إلا جملة واحدة متآلفة بأداة رابطة[3] و << ليست عبارة الشرط جملة كما يراد من الجملة و إن تألفت في ذاتها من مسند و مسند إليه لأنها – على حدة – لا تعبر عن فكرة تامة ، و هذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها على الشرط و الجواب جميعا >>[4] ، و << ليست جملة الشرط جملتين إلا بالنظر العقلي و التحليل المنطقي أما بالنظر اللغوي فجملتا الشرط جملة واحدة وتعبير لا يقبل الانشطار لأن الجزأين المعقولين فيها إنما يعبران معا عن فكرة واحدة لأنك إذا اقتصرت على واحدة منها أخللت بالإفصاح عما يجول في ذهنك ، و قصرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع >> [5] و يقول الدكتور محمد إبراهيم عبادة << يتكون أسلوب الشرط من مركبين إسناديين أحدهما معتمد على الآخر ، فهما معا يكونان جملة واحدة >>[6] ، و كذا ارتبط الاختلاف بزمن الشرط حيث رأى البعض بأن الغالب في فعلي الشرط أن يكونا ماضيين[7] و هو النمط الشائع في

---

[1] – أشرف ماهر محمود : أنماط الشرط عند طه حسين – دراسة نحوية نصية ، مجلة علوم اللغة ، دار غريب ، القاهرة ، العدد الثاني ، 1990 ، المجلد الرابع ، ص 181 ، 182.

[2] – ينظر : السيوطي ؛ همع الهوامع ، تح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 1 ، 1998 ، 453/2، 454 وعبد اللطيف حماسة ؛ العلامة الإعرابية ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، د.ت ، ص 25.

[3] – ينظر : ابن يعيش ؛ شرح المفصل ، مصدر سابق ، ص 156/6 و تمام حسان ؛ الأصول ، مرجع سابق ، 245/2.

[4] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، ص 284.

[5] – المرجع نفسه : 57،58 .

[6] – محمد إبراهيم عبادة : الجملة العربية – دراسة نحوية ، مرجع سابق ، 156.

[7] – ينظر : الفراء ؛ معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1983م ، ص 6/2.

الاستعمال العربي و الأسلوب القرآني ، وذلك << لأن الشرط معلوم أنه لا يصح إلا مع الاستقبال جئت فيه بلفظ الماضي الواجب ، تحقيقا للأمر وتثبيتا له أي أنه وعد موفي به لا محالة كما أن الماضي واجب ثابت لا محالة >>[1].

أما الدكتور المخزومي فقد أفرغ فعل الشرط من أدنى دلالة عن الزمن حيث قال : << إن الفعل الذي يلي أدوات الشرط خلو من الدلالة عن الزمن سواء أكان على "يفعل" أم على "فَعَلَ" ، و الماضي المستعمل مع "إن" ، "إذا" ، "لو" ماض غير حقيقي ، ماضٍ في اللفظ فقط >>[2] و خلص الشرط للتعليق حين قال : << إن مؤدى الشرط تعليق الجواب على الشرط و لا شيء غيره ، فلا دلالة له و لا إشعار يمثل هذه الدلالة عن الزمن >>[3].

و لأن الكلام في الشرط هو في المقام الأول كلام عن تعلق عبارتي الشرط ببعضهما و هو عمل تنهض به الأداة فإن أي دراسة للأساليب الشرطية لابد أن تبدأ من الأداة بوصفها وحدة لغوية ذات وظيفة دلالية محددة هي تعليق عبارتي الشرط و الجزاء ببعضهما لأن << أسلوب الشرط معانيه تحددها أدواته >>[4] ، و هو اعتبار قادنا إلى تصنيف الجمل الشرطية بحسب الأدوات التي تصدرتها فكان ما يلي:

1- تسع جملة شرطية تصدرتها الأداة " إن" : تضمنتها الآيات (6 ، 20 ، 29 ، 36 ، 40 ، 57 ، 69 ، 70 ، 76) ، نكتفي بأن نمثل لها بالجملة : ﴿ **إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني** ... ﴾ الآية 76 ، حيث كان عدم سؤال موسى العبد الصالح شرطا علق عليه مصاحبته إياه ، أي أن الرحلة مستمرة ما استمر موسى معرضاً عن السؤال ، و إنما اخترنا هذه الجملة لأن الشرط قد سقط باعتراض موسى عليه السلام على بناء الجدار في قوله : ﴿ **لو شئت لا تخذت عليه أجرا** ﴾ ، و ما إن سقط الشرط حتى سقط الجزاء و توقفت الرحلة بقول العبد الصالح : ﴿ **هذا فراق بيني و بينك** ﴾ فكانت الجملة بيانا تمثيليا لتعلق الجزاء بالشرط .

---

[1] – ابن جني : الخصائص ، مصدر سابق ، 331/3 ، 332/3.

[2] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 297 ، 296.

[3] – المرجع نفسه ، 299.

[4] – مصطفى جطل : نظام الجملة عن اللغويين العرب في القرنين الثاني و الثالث ، مديرية الكتاب و المطبوعات الجامعية ، سوريا ، 1979م – 1980م ، ص 544.

وقد رأى فريق بأن الأصل في الاشتراط بـ "إن" عدم الجزم بالوقوع في المستقبل[1] وقال الخطيب القزويني : << إن الأصل في "إن" ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه كما تقول لصاحبك : " إن تكرمني أكرمك " وأنت لا تقطع بأنه يكرمك >>[2] ، إلا أن الواقع اللغوي يخالف هذا الرأي أحيانا كثيرة كقوله تعالى : ﴿ **إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل** ﴾ الآية 29 حيث إن استغاثة المجرمين أمر مقطوع به لقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله** ﴾ الآية 50[(3)].

وقوله : ﴿ **إن ترن أنا أقل منك مالا و ولدا فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء....** ﴾ حيث تعلق الجزاء بشرط هو أمر واقع لأن قلة مال المؤمن وولده حقيقة قائمة .

وهذا الأمر تنبه له القزويني نفسه حين استدرك على كلامه المتقدم بقوله << وقد تستعمل "إن" في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة كالتجاهل أو...>>[4] ، أما المخزومي فينفي اختصاص "إن" بغير المقطوع بوقوعه نفيا كليا حين يسمى كلام أهل المعاني و القزويني تحديدا زعما << وقد زعم أهل المعاني أنها تستعمل مع المشكوك في وقوعه >> ثم أورد نص القزويني المتقدم[5].

2- خمس جمل تصدرتها الأداة " لو" : في الآيات (18 ، 58 ، 77 ، 109) وقد عرف سيبويه "لو" بأنها << لما كان سيقع لوقوع غيره >> [6] ، و قال القزويني إنها << للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء كانتفاء الإكرام في قولك : "
لوجئتني لأكرمتك " ولذلك قيل هي لامتناع الشيء لامتناع غيره ، و يلزم كون جملتيها فعلتين وكون الفعل ماضيا >>[7] .

---

[1] – ينظر : أحمد الهاشمي ؛ جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط مجددة ، 2003م ، 138.

[2] – القزويني : الإيضاح ، مصدر سابق ، ص 88/1.

[3] – ينظر : النيسابوري ؛ غرائب القرآن ، مصدر سابق ، 130/15 و الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 308/15.

[4] – القزويني : الإيضاح ؛ مصدر سابق ، ص 90/1.

[5] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 290.

[6] – سيبويه : الكتاب ؛ مصدر سابق ، 493/4.

[7] – القزويني : الإيضاح ؛ 95/1 و ينظر : أبو السعود حسنين الشاذلي ؛ الأدوات النحوية و تعدد معانيها الوظيفية – دراسة تحليلية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 1989 م ، 113.

ولم يخرج استعمال " لو" في المواضع الخمسة عن قاعدة انتفاء الشرط حيث كانت كل أفعال الشرط مقطوعا بعدم وقوعها ، ولم نسجل أي عدول في استعمال " لو " إلا مجيء المضارع بعدها في قوله : ﴿ **لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب** ﴾ وهو << لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا >> [1] ذلك أنه لو قال " لو آخذهم " لتعلق الفهم بمرة واحدة لم يؤاخذوا فيها ، ولكنها مرات و مرات ، فكان في استعمال المضارع دلالة على استمرار عدم المؤاخذة مع كثير من أفعال المجرمين ، ودلالة أخرى على تجدد عدم المؤاخذة في المستقبل تجدده في الماضي ، وما نراه اليوم من مكنة الكفار وطغيانهم يشهد بتجدد عدم المؤاخذة في الراهن و المستقبل ، كما الماضي استدراجا إلى الأجل المعلوم.

ولا نغادر هذا الموضع قبل أن نقف على حذف جملة الجواب في الآية 109 ﴿ **ولو جئنا بمثله مددا** ﴾ لتقدم ذكرها في الجملة التي عطفت عليها هذه الجملة فهو في المعنى جواب للشرطين لأن المعنى << لو جئنا بمثله مددا لنفد أيضا >>[2] ، وهو حذف واجب لأن القاعدة تقضي بذلك عندما يكون الجواب ماضيا و يتقدم عليه دليل[3] .

3- خمس جمل تصدرتها الأداة " من " : جاءت في الآيات : (17 ، 29 ، 110)

و "من" << لا تقع بعد الجزاء إلا ومعناها الاستقبال لأن "من أتاني" بمعنى" من يأتيني ">>[4]

ونلاحظ على الاشتراط ب "من" أن :

- أفعال الشرط كلها مما تصح نسبته للعاقل تماشيا مع اختصاص "من " بالعاقل .

- اقتران الجواب في الجمل الخمس بالفاء لأنه إما جملة اسمية كقوله تعالى : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾ الآية 17 ، أو جملة طلبية كقوله : ﴿ **من شاء فليؤمن** ﴾ الآية 29 ، أو مقترنة بـ " لن " كقوله تعالى : ﴿ **من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ الآية 17 وهكذا القاعدة [5].

- أفعال الشرط ترد مرة ماضية (جملتا الآية 29) ، ومرة مضارعة(جملتا الآية 17) ومرة بصيغة "كان يفعل" <<التي تستعمل للتعبير عن استمرار الحدث في الزمن الماضي>>[6] وهو حال جملة الآية 110 ﴿ **من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا** ﴾ واستمرار رجاء لقاء

---

[1]- القزويني : الإيضاح ، مصدر سابق ، 95/1.

[2]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 404/2.

[3]- ينظر : علي الحمد و يوسف الزعبي ، المعجم الوافي في النحو العربي ، مصدر سابق ، 321 .

[4]- عباس حسن : النحو الوافي ، مرجع سابق ، 428/4.

[5]- ينظر : ابن هشام ؛ قطر الندى و بل الصدى ، مصدر سابق 92 .

[6]- مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجبه ، 158.

الله مما تقوم به التقوى ويؤهل صاحبه لفعل الجزاء الذي جاء طلبيا ﴿ **ليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعباده ربه أحدا** ﴾ ، لأن المؤمن مهما كانت درجة تقواه لا يأمن مكر الله ، و يؤيد هذا المعنى الحديث << إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة ، و إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار >>[1].

4- أربع جمل شرطية أداتها "إذا " : في الآيات (17 ،24،98) و<< الأصل في "إذا " أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه كما تقول : " إذا زالت الشمس آتيك >>[2] ، و هي << تختص بما يتيقن وجوده فلا تستعمل إلا عند التحقق من وقوع الشرط >>[3] و<< غلب لفظ الماضي مع "إذا" لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرا إلى اللفظ >>[4] و لم يخرج استعمال "إذا " في الجمل الأربع عن هاتين القاعدتين إذ إن أفعال الشرط الأربعة ماضية وكلها مما هو مقطوع بوقوعه ، حيث لا شك في طلوع أو غروب الشمس "إذا طلعت تزاور عن كهفهم" "إذا غربت تقرضهم" ، ولاشك كذلك في مجيء وعد الله "إذا جاء وعد ربي جعله دكاء" ، أما الجملة ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ الآية 24 فدليل القطع بوقوع النسيان من الرسول- صلى الله عليه وسلم - كون الجملة عتابا له على عدم الاستثناء حين وعد المشركين بالإجابة عن أسئلتهم من غده .

بقي أن نذكر في نهاية هذا المبحث أن العدول عن التزام صيغة الماضي في أفعال الشرط و الجزاء بالمراوحة بين الماضي و المضارع مكن من الاستجابة إلى متطلبات المعنى بالدلالة مرة عن القطع و البتات كما في الجمل التي تصدرها " إذا " ، ومرة عن الاستمرار في الماضي وقتا فوقتا أو التجدد كما الحال في جملة : "لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب".

---

[1]- البخاري : صحيح البخاري ، تح مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط3 ، (1407هـ1987م)، 1212/3.

[2]- القزويني : الإيضاح ، مصدر سابق ، 88/1.

[3]- أبو السعود حسين الشاذلي : الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ، مرجع سابق ، 69 .

[4]- القزويني : الإيضاح ؛ مصدر سابق 88/1 ، و ينظر أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، مرجع سابق ، 138 ، وأبوالسعود الشاذلي ، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ، مرجع سابق ، 68 .

لأن << الاستفهام أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم >>[1] و<< فهم المعاني النحوية وإدراكها متوقف على الأداة >>[2] فإننا سنحلل التراكيب الاستفهامية التسعة عشر التي انتظمها النص في هدي من معاني الأدوات التي تصدرتها.

أولا – التراكيب التي تصدرتها الأدوات الدالة على الاستفهام أصالة :

1– الاستفهام بالهمزة : استعملت الهمزة أداة للاستفهام في ثمانية مواضع من الآيات : (37 ، 50 ، 63 ، 71 ،74 ،75 ،102) و هي << أصل أدوات الاستفهام ؛ ترد لطلب التصور ؛ و هو تعيين المفرد ، ويكون الجواب بالتعيين ، و لطلب التصديق ؛ وهو تعيين النسبة، و يكون الجواب بـ " نعم " أو " لا " ... تدخل على الإثبات وعلى النفي ولها تمام الصدارة من حيث إنها تخالف بقية الأدوات في تقدمها على حرف العطف>> [3] وقد استوفت الهمزة خصائصها المذكورة كلها حيث كان دخولها على الإثبات في جمل الآيات (37 ، 50، 63 ، 71 ، 74 ، 102) ، وعلى النفي في جملتي الآيتين (74 ، 75) نمثل للأولى بقوله : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة تم سواك رجلا** ﴾ الآية 37 ، و للثانية بقوله : ﴿ **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآية 74 .

وكان لها تمام الصدارة في الجمل كلها و بخاصة الجملتين ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء...**﴾ و ﴿ **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ الآية 102حيث تقدمت حرفي العطف .

غير أن الاستفهام في الجمل كلها كان لطلب التصديق (أي تعيين النسبة) ذلك أن الجمل كلها مما يجاب عنه ب : "نعم " أو "لا" ، و النسبة هنا تعني قيام الذات الفاعلة بالفعل أو اتصافها به ، ذلك أنه لم يل الهمزة في الجمل الثمانية إلا الفعل ، ولما كان نظام الجملة الاستفهامية يقضي بأن << تتصدر أداة الاستفهام و يليها المسؤول عنه ، فعلا أو اسما أو زمانا أو مكانا أو حالا >>[4] فإن مناط الاستفهام في الجمل جميعها هو الأفعال لا من قام بالأفعال

---

[1]– مهدي المخزومي : في النحو العربي –نقد وتوجيه 264 ، و ينظر: ابن هشام ؛ مغني اللبيب ، مصدر سابق، 19/1.

[2]– أبو السعود حسين الشاذلي : الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية ، مرجع سابق ، 139.

[3]- إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب و الإملاء ، 19 ، و ينظر : ابن هشام ؛ مغني اللبيب ، 21/1 ، 22.

[4]– مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد وتوجيه ، 275 .

وهو أمر يتفق مع رأينا في تكثيف الجمل الفعلية و يعتضد معه في إعطاء حيز كبير من العناية للأفعال إشارة إلى ثراء السورة و غناها بالإحداث .

كما أن الاستفهام في الجمل كلها لم يكن على حقيقته << استعلاما عن وقوع نسبة يجهل المستفهم تحققها >> [1] بل خرج إلى معان بلاغية أهمها :

- **التعجب** : في قوله : ﴿ **أ رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت** ﴾ الآية 63 لأن موسى –عليه السلام– حين طلب الحوت من فتاه يوشع << دهش وطفق يسأل موسى – عليه السلام– عن سبب ذلك ،كأنه قال : أ رأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة >>[2] ، وأي عجب أشد من مشاهدة الحياة وهي تبعث في حوت ميت مأكول بعضه يشق طريقه إلى البحر على مرأى العين .
- **الإنكار و التعجب** : في قوله – تعالى – : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا** ﴾ الآية 37 ، حيث يقضي علم المؤمن المسبق بكفر صاحبه (صاحب الجنتين) بخروج الاستفهام عن الحقيقة – لأنه يعلمها – إلى تعجبه من سلوك صاحبه وإنكاره عليه كفره بمن خلقه ، وكذا في الجملتين : ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها** ﴾ الآية 71 ، و ﴿ **أ قتلت نفسا زكية بغير نفس** ﴾ الآية 74 حيث يحمل الاعتراض الأول على التعجب لاعتذار موسى –عليه السلام– بالنسيان ﴿ **قال لا تؤاخذني بنا نسيت** ﴾ أي أن دهشته من تصرف العبد الصالح أنسته ميثاقه معه ، ويحمل الثاني على الإنكار لأنه << رجح تغيير المنكر العظيم وهو قتل النفس بدون موجب على واجب الوفاء بالالتزام >>[3] ، و في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال : << رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب و لكنه أخذته من صاحبه ذمامة ، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ولو صبر لرأى العجب >>[4].

و قال كذلك : << كانت الأولى من موسى نسيانا والثانية شرطا >>[5].

.**لإنكار و التوبيخ** : في الجملتين ﴿ **أ فتتخذونه وذريته أولياء من دوني** ﴾ الآية 50 و ﴿ **أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ الآية 102 حيث كان الاستفهام

---

[1]– المرجع السابق : 265 .

[2]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 396/2.

[3]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 6/16.

[4]– مسلم : صحيح مسلم ، تح محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، 1851/4.

[5]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 6/16.

من العليم الخبير الذي لا يقع منه الاستفهام على وجه الحقيقة بحال وإنما هو الإنكار و التوبيخ على عبادة غيره وهم الملائكة عند الزمخشري[1] و الملائكة والجن والشياطين و من عبد من الأخيار كعيسى –عليه السلام– والأصنام بالتغليب عند الطاهر بن عاشور[2].

التقرير : وهو << حمل المخاطب على الإقرار و الاعتراف بأمر قد استقر عندك ثبوته أو نفيه >>[3] وتحقق في الجملتين اللتين دخلت فيهما الهمزة على النفي ﴿ **ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ ، ﴿ **ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ (الآيتان : 74،75) لأن كلا منهما كانت عقب إخلال موسى –عليه السلام– بعهده ﴿ **ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا** ﴾.

فكانت كل منهما دعوة صريحة لموسى كي يعترف بإخلاله بوعده ويقر للخضر بأنه كان على حق حين قال : ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾.

2– الاستفهام بالحرف " هل " : جاء في ثلاثة مواضع من الآيات 66 ، 94،104 "هل اتبعك " ، "هل نجعل لك" ، "هل ننبؤكم " ، و الحرف "هل " مختص بالدخول على الأفعال يخلص المضارع منها للاستقبال ويستعمل لطلب التصديق الإيجابي [4] ، وقد دخلت "هل " في الجمل الثلاث –كما القاعدة – على أفعال مضارعة فخصصتها للاستقبال لأنها مستعملة في المواضع الثلاثة للعرض [5] ، ويدخل العرض تحت مدلول التصديق الإيجابي ليوحي بأن موسى –عليه السلام– حين قال ﴿ **هل اتبعك على أن تعلمني** .....﴾ كان يتوقع من العبد الصالح أن يجيبه إلى طلبه ، وكذا سكان منطقة ما بين السدين كانوا ينتظرون موافقة ذي القرنين و إجابته إلى بناء السد ، أما الاستفهام الأخير ﴿ **هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا** ﴾ الآية 104 فهو عرض تهكم لأن الله تعالى << منبؤهم دون توقف على موافقتهم >>[6].

ثانيا – الاستفهام بالكنايات : هو الاستفهام بالأدوات المكنى بها عن العاقل "من "، أو غير العاقل " ما " ، أو العاقل وغير العاقل "أي " ، أو الزمان " متى " و" أيان " ، أو المكان " أين "

---

[1]– ينظر: الزمخشري ؛ الكشاف ، 403/2.

[2]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ 44/16.

[3]– إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب و الإملاء ، مرجع سابق و 20.

[4]– ينظر : المرجع نفسه ، 437 و علي الحمد ويوسف الزعبي ؛ المعجم الوافي في النحو العربي ، مرجع سابق ، 342 ، 343 ، وابن هشام ؛ المغني ، مصدر سابق 403/2 ، 404.

[5]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 369/15 ، 34/16 ، 46/16.

[6]– نفسه : 46/16.

، أو الحال " كيف " ، أو العدد " كم " ، وللدكتور المخزرمي في هذا النوع من الاستفهام رأي مؤداه أن الاستفهام فيه حاصل من التقديم و التأخير لا من الأداة نفسها لسببين ؛ الأول أن لهذه الأدوات استعمالات أخرى غير الاستفهام ولا تلزمها فيها الصدارة مما يعني أن صدارتها هي التي أوجدت فيها معنى الاستفهام ، و الثاني كون المستفهم عنه هو ما تتضمنه الأداة نفسها من معنى[1] .

وقد استعملت السورة "من " للاستفهام مرتين : الأولى في قوله– تعالى– : ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** ﴾ الآية 15 و الثانية في قوله ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ الآية 57 و كلا الاستفهامين تعجبي إنكاري ، أي لا أظلم ممن افترى الكذب على الله و لا أظلم ممن أعرض عن آياته بعد أن ذكر بها لأن الأول ظلم الله والثاني ظلم النفس و هما على هذا الترتيب في القبح و الشناعة.

و استعملت "ما" أداة للاستفهام مرة واحدة في قول المجرمين ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ الآية 49 إعرابا عن شدة عجبهم من إحاطة كتاب الأعمال بالأفعال صغيرها و كبيرها ، و إنما ذكرت الصغيرة و الكبيرة لأن << الأعمال إما صغار أو كبار>>[2].

و استعملت " أي " التي << يستفهم بها عن شيء من شيء هو بعضه>> [3] في ثلاث جمل هي : ﴿ **أيهم أحسن عملا** ﴾ الآية 7 ، و الأحسن عملا بعض من المضاف إليه "هم"، و ﴿ **أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا** ﴾ الآية 12 و الحزب الأحصى عددا غير خارج عن نطاق الحزبين ، لأن المتسائلين عن عددهم إما أن يكونوا من الحزب الأول أو الثاني ولا ثالث ، ﴿ **أيها أزكى طعاما** ﴾ الآية19 أي أهل المدينة[4] أو << أي أمكنة لمدينة >>[5] ، و و في الحالين "أي" بعض مما أضيفت إليه لأن الأهل متعدد و الأمكنة متعددة.

و استعملت كناية الحال "كيف" مرة وحيدة في الجملة ﴿ **كيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ﴾ الآية 68 و هو استفهام خرج إلى النفي على وجه التأكيد[6] ،

---

[1]– ينظر : مهدي المخزومي ؛ في النحو العربي – نقد و توجيه –، مرجع سابق ، 275 .

[2]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق 393/2.

[3]– الزجاج : حروف المعاني ؛ تح علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان ، ط1، 1984 ،ص 62/1.

[4]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 348/2.

[5]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 285/15.

[6]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، 397/2.

كما هو أحد معاني الأداة[1]، و المعنى << لا تصبر البتة >>[2].

أما كناية العدد "كم" فاستعملت كذلك مرة وحيدة في قول أحد الفتية للآخرين ﴿ **كم لبثتم** ﴾ ، و هي الحالة الوحيدة التي كان الاستفهام فيها حقيقيا لأن الفتى السائل كان –كما بقية الفتية – على جهل تام بفترة نومهم.

و الذي نخرج به من هذا المبحث هو أن نسبة استعمالات الأداتين "أ" ، "هل" تساوي 19/11 و هي نسبة تعكس أصالة الحرفين في الاستفهام و اختصاصهما به، و أنه لاعدول في بناء التركيب الاستفهامي فيما تعلق بتصدر الأداة ثم المسؤول عنه ثم اللواحق و أن الاستفهام كان مجازيا بنسبة 19/18.

---

[1] – ينظر : إميل بديع يعقوب ؛ معجم الإعراب و الإملاء ، مرجع سابق ، 346.

[2] – النيسابوري : غرائب القرآن ، مصدر سابق ، 11/16.

مبحــث الرتبـــة

يتنازع تغيير نظام الجملة – اسمية أو فعلية – علما النحو و البلاغة ، حيث يتناوله الأول تحت مصطلح الرتبة ، و يجعله الثاني أساس التقديم و التأخير[1] الذي اعتبره الجرجاني سر اللطف و الجمال في الشعر ، و قسمه نوعين ؛ تقديم على نية التأخير ؛ و هو التقديم الذي تحتفظ فيه الكلمات بوظائفها الإعرابية ، و تقديم لا على نية التأخير ؛ و هو الذي تتغير فيه الوظائف الإعرابية للكلمات[2].

و قد كشفت الدراسة الإحصائية عن عدول كبير في هذا الأصل مس جميع أجزاء النص ، الأمر الذي دعانا إلى إفراده بمبحث مستقل تقصيا للظاهرة و بحثا عما تكنه من دلالات ، و أول ما سجلناه في شأنها ارتباطها الوثيق بأشباه الجمل و الظروف التي كثيرا ما تتقدم من تأخير أو تتوسط بين العامل و معموله و هو نظم على مألوف الكلام العربي لأنهم << يتسعون في الظرف و الجار و المجرور ما لا يتسعون في غيرهما فلذلك فصلوا بهما الفعل الناقص من معموله ... و فعل التعجب من المتعجب ... و بين الحرف الناسخ ومنسوخه ... و قدموهما خبرين عن الاسم في باب "إن" ...>>[3].

و لما كان << الكلام رتبا بعضها أسبق من بعض >>[4] و كان << وراء كل تقديم غرض يتعلق بالمعنى>>[5] فإن استقصاء المعنى فرض علينا تناول الوحدات اللغوية في مواقعها التي أعطاها لها النص ثم مقابلتها بما كان يجب أن تكون عليه انطلاقا من وظائفها النحوية و أصول اللسان العربي لنتساءل عن الغاية من كل عدول عن الأصل و الكلام في هذا الموضوع يتصل ضرورة بنظام التراكيب العربية أعني قواعد بناء الجملة :

---

[1] – ينظر : خليل عمايرة ؛ في نحو اللغة العربية و تراكيبها – منهج و تطبيق ، عالم المعرفة ، جدة ، السعودية ، ط1 (1404 هـ – 1984 م) ، 92 و أحمد الهاشمي ؛ جواهر البلاغة ، مرجع سابق ، 123 ، و تمام حسان ؛ اللغة العربية – معناها و مبناها – ، مرجع سابق ، 193.

[2] – ينظر : عبد القاهر الجرجاني ؛ دلائل الإعجاز ، مصدر سابق ، 96/1.

[3] – ابن هشام : مغني اللبيب ، مصدر سابق ، 800/2.

[4] – فاضل صالح السامرائي : الجملة العربية – تأليفها و أقسامها ، دار الفكر للطباعة و النشر ، الأردن ، ط1 ، (1422هـ – 2002م) ، 54.

[5] – خليل عمايرة : في نحو اللغة العربية و تراكيبها ، مرجع سابق ، 91.

أولا – الجملة الاسمية :

<< نظام الجملة الاسمية يقوم على أن يتصدر المسند إليه و يليه المسند >>[1] ، لذلك فإن أي تغيير في هذا النظام يعد من قبيل العدول عن أصل الرتبة وقد سجلنا في هذا النوع شكلين :

أ– تقدم شبه الجملة (متعلق الخبر) عن المسند إليه (المبتدأ) : مثاله قوله تعالى : ﴿ **له غيب السموات و الأرض** ﴾ من الآية 25 أو ﴿ **لهم جنات عدن** ﴾ من الآية 31.

ب– تقدم شبه الجملة عن المسند (خبر المبتدأ) : مثاله قوله تعالى: ﴿ **هم لكم عدو** ﴾ من الآية 50 أو ﴿ **كان الله على كل شيء مقتدرا** ﴾ من الآية 45.

ثانيا – الجملة الفعلية : << النظام المألوف في الجملة الفعلية أن يتقدم الفعل و يليه الفاعل ثم المفعول ثم متعلقات الفعل الأخرى >>[2] ، وقد خالفت الجمل الفعلية النظام في خمسة أشكال هي :

أ– تقدم شبه الجملة عن المفعول : وهو الشكل الأكثر عددا و نمثل له بقوله – تعالى– : ﴿ **أنزل على عبده الكتاب** ﴾ من الآية الأولى .

ب– تقدم شبه الجملة عن الفاعل : ومثاله قوله – تعالى– : ﴿ **أحاط بهم سرادقها** ﴾ من الآية 29.

جـ– تقدم المفعول عن الفاعل : كقوله – تعالى– : ﴿ **تذروه الرياح** ﴾ من الآية 45 ، وقد اقتضته القاعدة لأن الفاعل اسم ظاهر و المفعول ضمير متصل.

د– تأخر الفاعل عن المفعول وشبه الجملة معا : منه ﴿ **مكني فيه ربي** ﴾ من الآية 95 وقد اقتضته كذلك القاعدة وللسبب نفسه.

هـ– تقدم حرف الجواب عن المفعول أو الظرف : في ثلاثة مواضع هي ﴿ **لقد قلنا إذا شططا** ﴾ الآية 14 ، ﴿ **لن تفلحوا إذا أبدا** ﴾ الآية 20 ، ﴿ **لن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ الآية 57.

ويسير من النظر في هذه النماذج يهدي إلى أنها كلها من الرتب غير المحفوظة لأن الأمر يتعلق بالمبتدأ و الخبر ، أو الفعل و الفاعل و المفعول ، وكل أولئك ذوو رتب غير محفوظة[3] ، أو هو تقديم لا على نية التأخير بمصطلح الجرجاني .

---

[1] – مهدي المخزومي : في النحو العربي – نقد و توجيه ، مرجع سابق ، 268.

[2] – المرجع نفسه : 267.

[3] – ينظر : تمام حسان ؛ اللغة العربية معناها و مبناها ، مرجع سابق ، 207.

و إذا كان الكلام معاني و أبنية فإن التغيير في ترتيب عناصره لا يعدو أن يكون أثره في المعنى وحسب ، أو في المبنى وحسب ، أو في المبنى و المعنى معا ، ولسنا نرى ما يراه الدكتور خليل عمايرة من أن << التقديم يكون دائما لغرض يتعلق بالمعنى و ليس لغرض يتعلق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام >>[1] .

ولكن التقديم و التأخير في السورة كان في مواضع للعناية بالمقدم فقط ، وفي مواضع أخرى للعناية بالمقدم ورعاية للفاصلة معا وهذا بيان ذلك :

أ- تقديم العناية و الاهتمام : تقديم العناية أو الاهتمام معروف في عرف العربية و فيه يقول إمامها : << كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم و هم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم>>[2] ، وإيراده الموضوع في صدر"**الكتاب**" يعكس أهميته ومكانته في الدرس اللغوي.

ولسنا هنا بصدد إحصاء الحالات التي وقع التقديم فيها للعناية ولكنا نورد نماذج على سبيل التمثيل ؛ ومن ذلك قوله- تعالى- : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ حيث تقدم شبه الجملة "على عبده" و تأخر المفعول "الكتاب" لأن الجملة فاتحة للسورة وإنما نزلت السورة انتصارا للرسول – صلى الله عليه وسلم – على اليهود و المشركين فكانت العناية موجهة له بإكرامه بتنزيل القرآن عليه أكثر مما هي موجهة للكتاب في ذاته وقد سبق أن ذكرنا في الفصل الصرفي أن جملة الصلة قد تتنزل منزلة التعليل لما قبلها[3] ، فمدار الكلام إذن عن إكرام الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن و وجوب حمد الله عليه ، ومن هنا تستمد شبه الجملة الأهمية و العناية لأنها الوحيدة من عناصر التركيب التي تضمنت ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – (الضمير: ه) ، أما ما ذكره الألوسي من أن << تأخير المفعول الصريح عن الجار و المجرور مع أن حقه التقدم عليه ليتصل به قوله – تعالى – : ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾[4] فإنه – بالرغم من صحته – بعض التعليل لا كله لأنه لم يتجاوز جانب الصنعة النحوية ولا قدم تفسيرا مقنعا للعدول عن رتبة المفعول ، ذلك أن صور تأليف العبارة متعددة بما يسمح بتقديم المعاني البليغة في أشكال نحوية صحيحة ، ويؤيد هذا الراي ما نجده في الايه 43 ﴿ **ولم تكن له فئة ينصرونه** ﴾ حيث تقدم شبه الجملة "له" عن المسند إليه " فئة " لأن الكلام في الآية

---

[1] – خليل عمايرة : في نحو اللغة العربية و تراكيبها ، مرجع سابق ، 90.

[2] – سبويه : الكتاب ، مصدر سابق ، 34/1.

[3] – هذا البحث : ص 70.

[4] – الألوسي : روح المعاني ، مصدر سابق ، 200/15.

موضوعه صاحب الجنتين ، وقد تعرف في الجملة بضميره الذي تضمنته شبه الجملة فكان ذلك سببا لتقدمه ، وقد سمح تقدمه بتجاور المسند إليه مع صفته .

فالأوجه – إذن– أن نعلل مثل هذا التقديم معنويا بالاهتمام بالمقدم ، و تركيبيا بتمكين الصفة من مجاورة موصوفها لأنها من قبيل الرتب المحفوظة[1].

ومن مواضع التقديم ذي الصلة بالمعنى كذلك قوله : ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها** ﴾ من الآية 29 حيث تقدم شبه الجملة " للظالمين " على المفعول " نارا " ، لأن الكلام جار مجرى الترهيب ، و الظالمون هم المعنيون به فكان مقتضى البلاغة أن يتقدموا عناية بهم ، وللسبب نفسه تأخر الفاعل " سرادقها " عن شبه الجملة " بهم " لتضمن الأخير ضمير الظالمين المعتنى بهم أولا و آخرا .

ويقابل هذه الآية معنويا قوله– تعالى– : ﴿ **أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار** ﴾ الآية 31 حيث تقدم شبه الجملة "لهم" عن المبتدأ "جنات" ، وشبه الجملة "من تحتهم" عن الفاعل "الأنهار" لأن الكلام جار مجرى الترغيب ، وقد تعرف أهل الترغيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المشار إليهم بلفظ "أولئك" بالضمير "هم" الواقع اسما مجرورا في الجملتين ، ومن تلك الأهمية كانت الرتبة الجديدة .

وعلة العناية هذه هي التي اقتضت تقديم الظرف "وراءهم" على المسند إليه "ملك" في قوله– تعالى– : ﴿ **وكان وراءهم ملك** ﴾ الآية 79 لأن الاهتمام موجه للمساكين وقد تعرفوا بالضمير "هم" ، وغير هذه الآيات كثير يجمع بينها أنها لا تكون فقط في فواصل الآيات بل تكون في فواصلها أو في أثنائها .

ب– التقديم لرعاية المعنى و موسيقى الفاصلة : الفاصلة مقوم مركزي في موسيقى النص القرآني ، و عليه المعول في ضبط الإيقاع العام للسورة ، وفواصل سورة الكهف مرتكزها المقطع المتوسط المفتوح القائم على صوت الفتحة الطويلة في تنوين الفتح ، ومن ثم فإن كل الفواصل تندرج في باب المنصوبات ، وهي إما في مكانها الطبيعي ، أو مؤخرة عنه وهي الحالة التي تستأثر بالعناية و التحليل في هذا المقام .

إذا ما تأملنا على سبيل المثال الجملة ﴿ **هيىء لنا من أمرنا رشدا** ﴾ الآية 10 وجدنا أن المفعول "رشدا" الواقع فاصلة تأخر وحقه التقديم ليتناغم مع "عددا " فاصلة الاية الموالية ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا** ﴾ الآية 11 ، و الشأن نفسه في مفعول الآية

[1] – ينظر : تمام حسان ؛ اللغة العربية – معناها و مبناها ، مرجع سابق ، 207.

الموالية ﴿ **أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا** ﴾ الآية12 حيث تقدم شبه الجملة و تأخر المفعول لوقوعه فاصلة ، وكل ذلك يفضي إلى توحد فواصل الآيات 10،11،12 مقطعا ورويا مع لفظ "هدى" فاصلة الآية 13 الواقع مفعولا في رتبته الأصلية .

و إذا ما تأملنا أشباه الجمل المتقدمة من تأخير وهي على التتابع : " لنا من أمرنا " الآية 10 ، "على آذانهم" الآية 11 ، " لما لبثوا " الآية 12 وجدنا أنها متضمنة لضمائر تعود على أهل الكهف الذين يشكلون الطرف الأساسي في القصة ، وهي الأهمية التي أعطت هذه التراكيب رتبة التقدم الذي حقق غرض العناية بالمقدم و أقام موسيقى الفاصلة بتأخير المفاعيل عن أشباه الجمل .

وهو حكم تثبته الآية 13 الموالية التي كانت مسطرة قيست عليها الفواصل المتقدمة ، ذلك أن فاصلتها "هدى" الواقعة مفعولا ثانيا في رتبته الأصلية (زدناهم هدى) إنما أبقى عليها في مكانها لأن المعتنى به "الفتية" ورد ضميرا متصلا بالفعل (زدناهم) فلم يكن من داع لتأخيره بل إن إبقاءه في مكانه يحقق العناية بالمتقدم ورعاية الفاصلة وحفظ نظام الجملة في آن واحد .

وكذا الحال في فواصل الآيات 19 ، 20 ، 21 ، 22 .

- ﴿ ..... **ولا يشعرن بكم أحدا** ﴾ الآية 19.
- ﴿ ..... **ولن تفلحوا إذا أبدا** ﴾ الآية 20.
- ﴿ ..... **لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ الآية 21 .
- ﴿ ..... **ولا تستفت فيهم منهم أحدا** ﴾ الآية 22.

وهي أربع منصوبات منزاحة عن رتبها تتراكظ تباعا لتستوي صوتا ومقطعا مع لفظ "غدا" فاصلة الآية 23 المستقر في رتبته ﴿ **إني فاعل ذلك غدا** ﴾ ثم مع لفظ "رشدا" فاصلة الآية 24 ، الذي دعت الضرورة إلى تأخيره لأنه المنصوب الوحيد في جملته ، كما أنه الوحيد المنتهى بصوت الدال ، وبذلك يسهم تأخير المفاعيل في بناء إيقاع موسيقى موحد على امتداد ست آيات ، ولم تختلف علة التقديم في هذه الجمل عن سابقتها ذلك أن أشباه الجمل المتقدمة قد تضمنت كذلك ضمائر أهل الكهف المعتنى بهم ، وهو محقق في الآيات : 19 "لكم" ،الآية 21 : "عليهم" ، الآية 22 : "فيهم .منهم" ، أما الآيتان : 20 ، 24 فقد تقدم في الأولى حرف الجواب "إذا " ﴿ **لن تفلحوا إذا أبدا** ﴾ و فيه إشارة إلى كلام متقدم متضمن لضمير الفتية وهو ﴿ **إن**

يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ﴾ ، وفي الثانية اسم الإشارة "هذا " وهو إشارة إلى قصة أهل الكهف كلها[1].

وفي قصة موسى –عليه السلام – اثنتا عشرة فاصلة متوالية (من الآية 67 إلى الآية 78) ؛ منها عشرة مفاعيل ، وصفة مفعول (الآية 74) ، وتمييز واحد (الآية 68) لم تحتفظ بأصل الرتبة فيها إلا ثلاث فواصل ، ليسهم تأخير تسع منصوبات في ضبط الإيقاع فتستوي قطعة موسيقية قوامها المقطع المتوسط المفتوح المعتمد على روي صوت الراء.

ومن جملة المعاني التي أفادها التقديم الحصر و التحديد ، و هو ما نجده في قول العبد الصالح ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ الآية 72 حيث أفاد تقدم شبه الجملة "معي" أن موسى– عليه السلام – لا يستطيع الصبر معه لا أنه لا يصبر مطلقا ، وقد اعتضد هذا المعنى صرفيا بالفعل تستطيع الدال على معاناة الصبر ، ومعنى قوله ﴿ **لا أعصي لك أمرا** ﴾ الآية69 أنه مطيع له دون سواه ، و في قوله : ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرا** ﴾ الآية 77 ، أي على إقامة الجدار دون أي عمل آخر... ، ومن ثم ندرك أن مسألة التقديم و التأخير – فضلا عما فيها من أثر بين في المعنى– أسهمت إلى حد كبير في ضبط الإيقاع العام للسورة من خلال استغلال خاصية تركيبية هي إمكانية نقل المنصوبات من وسط الجمل الواقعة في نهايات الآيات إلى أواخرها ، وقد تجلى هذا الأثر في شكلين .

- شكل اتحدت فيه مقاطع الفواصل دون رويها وتمثله كل فواصل السورة.
- شكل اتحدت فيه الفواصل مقطعا ورويا فأعطت تجمعات صوتية متناغمة ، كالآيات السابقة من قصة موسى – عليه السلام – و في كلا الحالتين المعني معتنى به و في أعلى درجات البلاغة.

[1]– ينظر: الزمخشري؛ الكشاف ، مصدر سابق، 387/2 و الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، مصدر سابق، 299/15.

الفصـل الرابـع

المستوى المعجمي السياقي

- السيـاق اللساني .
- السيـاق الديني .
- السيـاق العاطفي (الانفعالي) .

لأن المعنى مجموعة مركبة من العلائق السياقية المختلفة[1] ، ولأن الحقائق المستنبطة من مستويات الصوت و الصرف و النحو جزئية بالنسبة للمعنى الدلالي[2] و<< المعجم هو الخطوة التالية بعد القواعد في تتابع المستويات التحليلية للمعنى ، ولا يأتي بعده من هذه المستويات إلا علم الدلالة >>[3] كان هذا الفصل ، وكان له هذا الموقع من الدراسة؛ و هي مرحلة نسعى من خلالها إلى بحث معاني اللفظ من خلال السياقات المختلفة التي انتظمته ووجهت دلالته بأن قصرتها على واحد من معانيه المعجمية المتعددة (أو بعضها) ، أو أشربته معنى جديدا لم يكن دليلا عليه في أصل اللغة .

وبين الاستجابة لواجب البحث العلمي القاضي بالوقوف على مختلف السياقات – وهي كثيرة – و أداء حق الإيجاز الذي فرضته طبيعة الدراسة ارتأينا أن نقتصر على ثلاث سياقات هي : السياق اللساني ، و السياق الديني ، و السياق العاطفي (الانفعالي) لما لهذه السياقات من حضور فاعل في النص من – وجهة نظرنا – .

أولا : السيـاق اللسـاني

من خصائص العربية تعدد المعاني في اللفظ الواحد أو ما يعرف بالمشترك اللفظي وهو حال اللفظة مفردة عن النص أو ما يعبر عنه بالمعنى المعجمي ، أما عندما ينتظمها السياق فإن الدلالة لابد تتحدد في واحد من معانيها المعجمية أو بعضها دون البعض الآخر وهو ما نتناوله تحت عنوان "السياق اللساني" الذي يتعرف بأنه الجوار الذي يحتضن الوحدات اللسانية و ينقلها تغيره من دلالة إلى أخرى[4] ، ذلك أن << المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية >> كما يرى فيرث (FIRTH)[5] و << الكلمة تتحدد بموضعها في السياق وليس بما تشير إليه >>[6] ، ومن أجل الوقوف على دور السياق اللساني في تحديد معاني الألفاظ هذه بعض النماذج التي نقابل معانيها المعجمية بما أعطاها لسياق من دلالة :

1– ينظر : john lyons ; sémantique linguistique , tra : J. Durand, paris, 1980, p : 235

2– ينظر : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، مرجع سابق ، ص 341.

3– المرجع نفسه ، الصفحة 325 .

4– ينظر: أحمد مختار عمر ؛ علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5 ، 1998 ، 69.

5– المرجع نفسه : 68 .

6– رجاء عيد : القول الشعري منظورات معاصرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1995 ، 198 .

1- معنى الضرب : الوارد في قوله - تعالى- : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا** ﴾ الآية 11 ، حيث تعطي المعاجم للفظ "الضرب" سيلا من المعاني نجتزىء بذكر بعضها و هي<< الدق ، الطبع ، النبض ، اللدغ ، الإيلام ، الخروج ، الكسب ، النفور ، النكاح ، الكف ، الصدق ، الذكر ، الإقبال ، المنع ، المباعدة ، ....>>[1] ، ومنه المثل "ضرب أخماسا لأسداس" إذا عود الرجل إبله أن تشرب خمسا ثم سدسا ، و المعنى أظهر أخماسا لأسداس ، يضرب لمن يظهر شيئا ويريد غيره[2] ، ومنه المثل : ضربه ضرب غرائب الإبل[3]، ومن معاني الضرب كذلك : "عاقب" نحو : ضرب زيد عمرا ، "أقام" نحو : ضرب له قبة ، "حدد" نحو : ضرب له موعدا ، "حسب" نحو :ضرب خمسة في ستة[4].

وتلك كلها معان صحيحة للفظ "الضرب" نطقت بها العرب وجاءت في أشعارها وأمثالها ، وعليها جاء القرآن المنزل بلسان عربي مبين ، لكن على أي من هذه المعاني يحمل لفظ الضرب الوارد في الآية ؟

لا شك أن من بين المعاني التي أوردناها ما لا سبيل لحمل اللفظ عليه ؛ كمعنى "الدق" أو "الطبع" أو "اللدغ" أو "النكاح" ...، فهو مستبعد لأن السياق يأباه ، لكن مع استبعاده يبقى مجال الدلالة واسعا ويظل اللفظ يتردد بين عدد من المعاني التي قد تقل أو تكثر ، فما الذي يحصر الدلالة في معنى بعينه ؟

إن << السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية و المقالية التي قد تعطي الكلمة من المعاني مالا يرد على بال صاحب المعجم >>[5] و السياق وحده الذي جعل الزمخشري يفسر الآية بقوله : << ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات..... فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال "بنى على امرأته" يريدون بنى عليها القبة >>[6].

---

[1]- ابن منظور : لسان العرب ، مادة ض. ر. ب.

[2]- ينظر : النيسابوري ، مجمع الأمثال ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، د. ت 418/1.

[3]- ينظر: أبو هلال العسكري ؛ جمهرة الأمثال ، مادة ض.ر.ب.

[4]- ينظر: تمام حسان ؛ اللغة العربية معناها ومبناها ، مرجع سابق ، 324.

[5]- المرجع نفسه : 324 ، 325.

[6]- الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 381/2.

والمذهب نفسه ذهبه صاحب التحرير حين أعطى لفظ "الضرب" معنى الوضع و<< الضرب هنا بمعنى الوضع كما يقال : "ضرب عليهم حجابا" ... أي ضربنا على آذانهم غشاوة أو حائلا عن السمع >>[1].

ومعنى "الوضع" الوارد في "التحرير" لا يبعد كثيرا عن معنى "الإنامة" الذي أثبته ابن كثير و النيسابوري في تفسيريهما[2].

ولأن التأويل << مهما تنوع و تعدد لا يلغي تأويلا سواه ولا يهدر تفسيرا غيره >>[3] فإن كلا التأويلين له مكانه من الصحة و الاعتبار ، بل إن الواحد منهما يكمل الآخر .

و الذي وجه دلالة "الضرب" في الآية إلى معنى الإنامة إنما هو سياق الكلام الجاري على معجزة بقاء الفتية في الكهف و اختلاف الناس في مقدارها وهذا الاعتبار هو الذي أقصى كثيرا من المعاني المعجمية للفظ "الضرب" وحصر الدلالة في مجال ضيق متقارب .

وقد تكرر جذر الضرب في القرآن أربعا و خمسين مرة بمعان متعددة منها "العقاب" في مثل قوله – تعالى– : ﴿ **فراغ عليهم ضربا باليمين** ﴾[4] ، أو قوله– تعالى– : ﴿ **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** ....﴾[5] و "السير" كالذي في قوله – تعالى– : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾[6] ، و "التمثيل" "التمثيل" كالذي في قوله– تعالى – : ﴿ **ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون....** ﴾[7] ، وكلها معان للضرب لا موجة لدلالتها غير السياق الذي ترد فيه .

2–المصاحبة : تواتر جذر "المصاحبة" في السورة أربع مرات :

– ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا** ﴾ الآية 9.

– ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** ﴾ الآية 34.

– ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره أ كفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة..**﴾ الآية 37.

– ﴿ **إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني** ... ﴾ الآية 76.

---

[1]–الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 268/15.

[2]–ينظر:ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، 137/4 و النيسابوري؛ غرائب القرآن و رغائب الفرقان، مصدر سابق ، 104/14

[3]– رجاء عيد : القول الشعري منظورات معاصرة ، مرجع سابق ، 174 .

[4]– الصافات : الآية 93 .

[5]– البقرة : الآية 60.

[6]– البقرة : الآية 273 .

[7]– التحريم : الآية 11 .

و المعنى المعجمي لجذر المصاحبة يتردد بين :

- المعاشرة : صحبه ، يصحبه ، صحبة ، وصحابة ، بمعنى المعاشرة ، و الصاحب المعاشر.
- اللون : يقال حمار أصحب أي أصحر ، يضرب لونه إلى الحمرة .
- المنع : أصحبت الرجل أي منعته .
- الانقياد : أصحب البعير أو الدابة : انقادا .
- السلخ : صحب الشاة سلخها[1].

و المصحب الذليل المنقاد بعد صعوبة ، وكل شيء لاءم شيئا فقد استصحبه[2].

وللصاحب معان أخرى منها :

- لقب (أي ذو) نحو صاحب الجلالة ، ومنه "ذو القرنين"
- مالك ، نحو صاحب البيت .
- صديق ، نحو صاحبي .
- رفيق ، نحو صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .
- منتفع ، نحو صاحب المصلحة .
- مستحق ، نحو صاحب الحق .
- مقتسم ، نحو صاحب نصيب الأسد[3].

ودلالة "الصاحب" في الآية ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف** ...﴾ تنصرف إلى المعاشرة و الملاءمة لأنهما عماد "الأهل" الذي فسر به لفظ "الصاحب" [4] ، أما في الآيتين : ﴿ **فقال له صاحبه و هو يحاوره** ﴾ و ﴿ **وقال له صاحبه و هو يحاوره** ﴾ فإنه على رأيين :

- الأول : بمعنى "أخ" إذا كانت القصة حقيقية (أي أخوان حقيقيان) وهما رجلان من بني مخزوم أو من بني إسرائيل[5] .

---

[1]– ينظر: ابن منظور ؛ اللسان ، ص.ح. ب .

[2]– ينظر : الفيروز أبادي ؛ القاموس المحيط ، مصدر سابق ، 134/1 و الرازي ؛ مختار الصحاح ، تح محمد خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، 1415 .

[3]– ينظر : تمام حسان ؛ اللغة العربية معناها و مبناها ، مرجع سابق ، 324 .

[4]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 258/15 ، 259.

[5]– ينظر : الزمخشري؛ الكشاف، مصدر سابق، 309/2، و الطاهر بن عاشور؛ التحرير و التنوير، مصدر سابق، 316/15.

– الثاني: بمعنى << المقارن في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل ، أو أريد به الملابس المخاصم كما في قول الحجاج يخاطب الخوارج " ألستم أصحابي بالأهواز" >>[1].

ولم يمنع اتحاد اللفظين في الصيغة الصرفية (اسم الفاعل) من تباين الدلالة حيث كان السياق حاسما في تحديد المعنى .

وأما في الآية 76 ﴿ **لا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا** ﴾ فإن لفظ المصاحبة يعني المقاربة و الاتباع[2].

وبناء على هذه الآراء ندرك أن السياق اللغوي انتخب من المعاني المعجمية المتعددة للفظ معنى واحدا أو عددا محدودا من الاحتمالات تبعا لسياقات أخرى غير السياق اللغوي كالسياق التاريخي الذي يثبت الوجود الحقيقية للرجلين فيكون معنى "الصاحب" الأخ ، أو ينفيه فيكون دالا على الخصم.

3– السبب : الوارد في قوله – تعالى – : ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببا** ﴾ الآية 84 ، وقوله : ﴿ **فاتبع سببا** ﴾ ، ﴿ **ثم اتبع سببا** ﴾ الآيات : 85 ، 89 ، 92 حيث يعطى المعجم للسبب المعاني التالية :

– المودة و التواصل : كالتي في قوله– تعالى – : ﴿ **وتقطعت بهم الأسباب** ﴾[3].

– الباب و الناحية : كما في قوله – تعالى – : ﴿ **لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات** ﴾[4].

وقول زهير : **ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم.**

– الوصلة و الذريعة : كقولك جعلت فلانا لي سببا إلى فلان في حاجتي.

– الحبل : ومنه ﴿ **فليمدد بسبب إلى السماء** ﴾[5] ، و السبب كل حبل حدرته من فوق[6].

و من دون سائر المعاني المذكورة يوجه السياق دلالة لفظ "السبب" الوارد في الآية ﴿ **و آتيناه من كل شيء سببا** ﴾ إلى معنى الطريق ، يقول الزمخشري << سببا طريقا موصلا إليه ، و السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدره أو آلة>>[7].

---

[1]– المصدر السابق : 319/15.

[2]– ينظر: الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 398/2.

[3]– البقرة : الآية 166.

[4]– غافر : الآية 36 .

[5]– الحج : الآية 15.

[6]– ينظر : ابن منظور ؛ لسان العرب ، مصدر سابق ، س.ب.ب.

[7]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 400/2.

وقريب من هذا قول صاحب التحرير: << و السبب حقيقته الحبل و أطلق هنا على ما يتوسل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة >>[1].

أما ابن كثير فقد أورد في معنى السبب أقوالا هي :

- قال ابن عباس و مجاهد وسعيد بن جبير و عكرمة والسدي و قتادة والضحاك وغيرهم.... "علما" ، وقال قتادة : "منازل الأرض وأعلامها".
- وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿ **وآتيناه من كل شيء سببا**﴾ تعلم الألسنة[2].

وخالف من روى عنهم حين قال : << ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم و الرساتيق و البلاد و الأراضي >>[3] ، و أما السبب الوارد في الآية 85 فرأى صاحب التحرير أن العدول فيه عن إضمار اللفظ إلى إظهاره –لتقدم ذكره في قوله ﴿ **آتيناه من كل شيء سببا** ﴾ – يحصر دلالته في الطريق دون باقي المعاني ، وذلك على سبيل المجاز لأن أهل اللغة لم يعدوا الطريق في معاني السبب ، وإنما كان ذلك لأن الإظهار إشارة إلى أن المقصود بالسبب في التعبير الثاني غير المقصود به في التعبير الأول[4].

و الذي نلحظه من استقراء هذه الآراء و مقابلتها بالمعاني المعجمية المتقدمة ، و ما يمكن أن تتحمله الآيات من تأويل أن كل هذه المعاني تنسب إلى حقل دلالي واحد،ذلك أن الطريق وسيلة ، و الحبل وسيلة ، وتعلم الألسن كذلك وسيلة لفهم الآخر والحياة، والعلم وسيلة لفهم الكون ، و الباب وسيلة للولوج إلى ما وراءه ، و من ثم فإن بين هذه الألفاظ قاسما مشتركا يمكن أن نسميه الوسيلة أو الوصلة و هو ما نختاره لتأويل معنى السبب .

1–الظلم : تكرر جذر الظلم في النص تسع مرات :

أ– ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** ﴾ الآية 15 .

ب– ﴿ **إنا أعتدنا للظالمين نارا .....** ﴾ الآية 29.

ج– ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا** ﴾ الآية 33.

د– ﴿ **ودخل جنته و هو ظالم لنفسه ...** ﴾ الآية 35.

هـ– ﴿ **ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ الآية 49.

و– ﴿**.... بئس للظالمين بدلا** ﴾ الآية 50.

---

[1]– الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 24/16.

[2]– ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق 168/4.

[3]– المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

[4]– ينظر : الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 85/16.

ز- ﴿.....**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ الآية 57 .

ح- ﴿ **تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** .... ﴾ الآية 59.

ط- ﴿ .....**أما من ظلم فسوف نعذبه** ... ﴾ الآية 87.

و إذا كان المعجم قد أعطى اللفظ معاني أهمها :

- الجور ومجاوزة الحد : و هو الأصل فيه ، وضع الشيء في غير موضعه : ومنه قولهم " من استرعى الذئب فقد ظلم " ، العدول : ومنه لزموا الطريق فلم يظلموه ، الخلط : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...** ﴾[1]، الميل عن القصد ، الكفر ، الحفر ...[2].

فإن السياق قد حدد له معنى واحدا من القائمة في كل تركيب ، حيث تتصرف دلالة الظلم في الجملة "إنا أعتدنا للظالمين نارا" إلى الكفر لأن "الظالمين" << هم الكافرون بالله ورسوله >>[3] ، أو الشرك لأن << المراد بالظالمين المشركون كقوله تعالى "إن الشرك لظلم عظيم" >>[4] ، وهو المعنى نفسه الذي يؤديه اللفظ في الجملة : ﴿ **بئس للظالمين بدلا** ﴾[5].

و في الجملة ﴿ **و أما من ظلم فسوف تعذبه** ﴾[6] ، ويستدل صاحب التحرير على المعنى بالآية التالية لهذه الجملة حيث يقول : << و الظلم الشرك بقرينة قسيمه في قوله : ﴿ **وأما من آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى**﴾[7].

في حين يؤدي اللفظ دلالة مغايرة في قوله : ﴿ **ولم تظلم منه شيئا** ﴾ حيث فسر الظلم بالنقصان لأن << لم تظلم منه شيئا بمعنى لم تنقص منه شيئا >>[8] ، وقد اعتبر النيسابوري هذا المعنى أصلا اللفظ حيث قال في تفسير الآية : << والظلم أصله النقصان وهو المراد هنا >>[9].

وأما في قوله : ﴿ **و دخل جنته و هو ظالم لنفسه** ﴾ فقد أفاد اللفظ معنى العجب والتكبر و الافتخار[10].

---

[1]- الأنعام : الآية 82.

[2]- ينظر : ابن منظور ؛ لسان العرب ، مصدر سابق و الفيروز أبادي ؛ القاموس المحيط ، مصدر سابق ، مادة ظ.ل.م.

[3]- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 4/148.

[4]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير، مصدر سابق ، 15/308 .

[5]- ينظر: المصدر نفسه ، 15/342 .

[6]- ينظر: الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق 2/401 وابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 4/169.

[7]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ،16/27.

[8]- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق . 4/148 و الزمخشري ؛ الكشاف 2/390.

[9]- النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، مصدر سابق ، 15/132 .

[10]- ينظر: الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 2/390. وابن كثير ؛ تفسر القرآن العظيم .4/148 .

و أما في الآيات : ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا** ﴾ ، ﴿ **ولا يظلم ربك أحدا**﴾ ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ ، ﴿ **تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا** ﴾ فإن لفظ الظلم جار على أصل وضعه وهو الجور ومجاوزة الحد .

ومن ذلك نتبين أن المتكلم حين أدخل لفظ "الظلم" في الكلام كان قد قصد معنى واحدا واستبعد بقية المعاني ، وعلى السياق وحده يعول المخاطب في الاهتداء إلى قصد المتكلم ، ذلك أن تضام اللفظ مع الألفاظ الأخرى في التركيب كفيل بحصر الدلالة في مجال دون آخر ونعني بالتضام علاقة اللفظ ببقية عناصر التركيب أو لنقل الوظيفة النحوية ، فالذي حصر معنى الظلم في النقصان في الجملة " ولم تظلم منه شيئا " إنما هو كون" تظلم" فعلا لفاعل من النوع الذي ينسب إليه الفعل لا الذي يقوم بالفعل (الجنة) و بالتالي لا يتصور منه معنى الجور أو وضع الشيء في غير موضعه أو غير ذلك من المعاني التي لا تصدر إلا عن العاقلين .

وللسبب نفسه يمكن أن نعزو دلالة الظلم عن الإعجاب بالنفس و التكبر في الآية "ودخل جنته و هو ظالم لنفسه" و ذلك لوقوع اسم الفاعل "ظالم" خبرا عن عاقل وانتظامه في جملة حالية تصف حال الكافر وهو يفاخر أخاه المسلم .

5- الظهور : في قوله – تعال – : ﴿ **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم** .....﴾ الآية 20 وقوله : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه** ..... ﴾ الآية 97.

وقد ترددت دلالة الظهور في الآية الأولى بين :

-الإطلاع أو العلم حيث يقول ابن كثير : << إن يظهروا عليكم ،أي إن علموا بمكانكم >>[1].

– و الظفر أو الغلبة حيث يقول صاحب التحرير : << الظهور أصله البروز دون ساتر ويطلق على الظفر بالشيء وعلى الغلبة على الغير و هو المراد هنا >>[2].

– وانحصرت في الآية الثانية في معنى الاعتلاء و الصعود ؛ قال الزمخشري : << فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه ، أي لاحيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه>>[3] و بالمعنى نفسه فسر اللفظ كل من ابن كثير و الطاهر بن عاشور[4].

---

[1]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 172/4.

[2]– الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 286/15.

[3]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 408/2.

[4]– ينظر : التحرير و التنوير ؛ 38/16 و تفسير القرآن العظيم ؛ 172/4.

و إنه و إن كان بين الاعتلاء و الغلبة أو الظفر قرابة معنوية باعتبار الظفر أو الغلبة اعتلاء مجازيا فإن الدلالة تبقى انتقاء من بين معان كثيرة يدل عليها اللفظ نذكر منها : << سمن ، علا ، استحق ، قوي ، ارتفع ، ظفر ، فخر ، غلب ، تبين ....>>[1].

وقد توجهت الدلالة في الآية الأولى إلى معنى الظفر و الغلبة أو الإطلاع و العلم لما أفاده السياق مما كان بين الفتية و أهل بلدتهم من صراع وفرارهم وتخفيهم ، كما أن جملة " ولا يشعرن بكم أحدا " التي سبقت الجملة محل التحليل مباشرة كفيلة بتوجيه الدلالة إلى معنى العلم أو الاطلاع لما فيها من حرص على التخفي و الحيطة .

ويعتضد المعنى المعجمي في الآية الثانية بالمعنى الوظيفي في حصر الدلالة في العلو دون غيره من المعاني لأن مفعول الظهور "سد" لا يتحمل معناه المعجمي من الخيارات المطروحة غير معنى الاعتلاء و الصعود ، أي أنه لا يكون معمولا للفعل "ظهر" إلا إذا دل عن الظهور المادي أي العلو .

6- العين : للعين في اللغة معان كثيرة أهمها : << حاسة الرؤية ، عين الماء ، عين الركبة ، عين الشمس ، المال ، الجاسوس ، الخيار من الشيء ، النفس ...>>[2] و السياق وحده هو الذي حدد دلالة العين في قوله –تعالى– : ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة** ﴾ الآية 86 في عين الماء دون باقي المعاني ، وذلك لدلالتها على المكانية باعتبار معنى الغاية الكامن في الحرف "حتى" وفعل البلوغ الدال على السير وكذا للمعنى الوظيفي حيث وصفها النعت بأنها حمئة و هو وصف لا ينطبق إلا على عين الماء .

وللسبب نفسه دل اللفظ في قوله –تعالى– : ﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري** ...﴾ الآية 101 على حاسة الرؤية ، حيث أخبر عنه بالتغطية المكنى بها عن الغفلة وذلك لأن تغطية العين حجب للرؤية التي بها يكون الانتباه و الملاحظة ، ومن ثم فإنه لا معنى للفظ العين هنا غير حاسة الرؤية ، أو ينصرف التركيب بالكلية إلى المجاز فيكون القصد إلى العقل منبع التدبر و التفكير .

7- التلطف : الوارد في الآية 19 ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه و ليتلطف** ...﴾

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة ظ .هـ .ر .

[2]- النيسابوري : مختار الصحاح ، تح محمد خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت (1415 هـ ، 1995 م) ، 195/1.

وقد أعطى السياق اللفظة في تركيبها معنى << حسن المعاملة ، أو اختيار اللطيف من الطعام >>[1] أو حسن المعاملة مع الحرص على التخفي و الاستتار[2] .

و المعنى على تعدده اختيار من بدائل كثيرة يقدمها المعجم من بينها << الرفق ، الصغر الدقة الإكرام ، الحفاوة ، الإتحاف ،الغموض ،التوفيق ،الإلصاق .....>>[3].

وهو اختيار مؤسس على العلم بحال الفتية الموسوم بالحيطة و الحذر و هو مما يقدمه السياق إذ لولا ذلك لما كان في لفظ اللطف معنى التخفي و الاستتار ، فلو قال أب لابنه : "كن لطيفا مع كل من تلقاه" لما كان فيها غير معنى الأدب و حسن المعاملة ولما خطر ببال الولد أن أباه يأمره بالتخفي أو الاستتار ، وقوله- تعالى- : ﴿ **الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾[4] لا يفهم منه معنى التخفي بالرغم من أن "اللطيف" صفة من صفاته عز وجل وأنه << لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار >>[5] ، ومن ذلك نتبين أن لفظ "اللطف" اكتسب دلالة التخفي من السياق ، و أن السياق فيصل في خيارات المعجم .

8- أحد : اللفظ مما يحسن الاستدلال به عن المعنى السياقي في النص حيث تكرر عشر مرات بمعان مختلفة ، فدلاله اللفظ في قوله- تعالى- : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة** ﴾ الآية 19 محصورة في واحد من الفتية حسب ما أفاده معنى الإضافة ،

وفي الآية نفسها ﴿ **ولا يشعرن بكم أحدا** ﴾ توسعت لتشمل سكان المدينة أو كل من كان على عهدهم ممن يمكن أن يسبب لهم الأذى مباشرة أو بالإبلاغ عنهم ، وقد تشير حصرا إلى الملك وأعوانه بالنظر إلى التذييل ﴿ **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم و يعيدوكم في ملتهم...** ﴾.

وقد أقر صاحب التحرير معنى الشمولية في اللفظ حين قال << و أحد في معنى جميع الناس على حكم النكرة في سياق شبه النهي >>[6] ، ومهما امتدت الشمولية فإنها لا تعني سوى الناس الذين كانوا على عهد الفتية دون سواهم وفي الآية 22 ﴿... **فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا** ﴾ تنصرف دلالة لفظ "الأحد" إلى أهل مكة الذين سألوا الرسول – صلى الله عليه وسلم عن أمر أهل الكهف لأن الآيات متفق على مكيتها[7] .

---

[1]- الألوسي : روح المعاني ، مصدر سابق ، 15/260.

[2]- ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 4/141 ، و الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 2/384

[3]- ابن منظور : اللسان ، والفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة ل.ط.ف.

[4]- الشورى : الآية 19.

[5]- الأنعام : الآية 103.

[6]- الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 15/286 .

[7]- ينظر : المصدر نفسه ، 15/194 .

وفي قوله –تعالى– : ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين** ﴾ الآية 32 حصرت الإضافة معنى "الأحد" في فرد بعينه هو الأخ إن كانت القصة حقيقة أو المقابل في الذكر إن كانت تمثيلية .

وفي قوله : ﴿ **... وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا** ﴾ الآية 47 يعم اللفظ جميع البشر لأن الحشر شامل لكل الخلائق .

وكذا الحال في قوله ﴿ **.....ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد** ﴾ الآية 49 لاستحالة الظلم من الله تعالى على أي من خلقه .

أما في الآيات :

- ﴿ **... ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا** ﴾ الآية 26 .
- ﴿ **...لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحد** ﴾ الآية 38 .
- ﴿ **...و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا** ﴾ الآية 42 .
- ﴿**...ولا يشرك بعبادة ربه أحد** ﴾ الآية 110 .

فإن دلالة اللفظ تعم كل الموجودات من إنس وجن ، وحي وجماد ، لارتباطه في السياق بلفظ الشرك ؛ و الله منزه عن كل أنواع الشركاء .

واستقراء اللفظ في سياقاته المختلفة يشير إلى أنه استمد دلالته مما أضيف إليه في حال إضافته في الجملتين "ابعثوا أحدكم" ، و "جعلنا لأحدهما" ، أما في حال عدم الإضافة وهي بقية الاستعمالات فقد اقترن في كل السياقات بالنفي ليعبر –كما القاعدة– عن معنى الجحود لأن << الأحد شيء بني لنفي ما يذكر معه من العدد ... و "أحد" يصلح في الكلام في موضع الجحود و معنى العموم و الشمولية كما في قوله – تعالى– : ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾[1] >> [2] ، ودلالة الأحد عن الجمع مستقاة من لفظ "بين" لأن<< "بين" لا تقع إلا على اثنين فما زاد >>[3].

ثانـيا : السيـاق الديني

---

[1]– البقرة : الآية 285 .

[2]– ابن منظور : اللسان ، مصدر سابق ، أ.ح.د .

[3]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

ما من شك في أن مجيء الإسلام كان قد أحدث ثورة في شتى مناحي الحياة العربية ، سياسة واجتماعا وثقافة واقتصادا ... وكل ما يتصل بالإنسان المستهدف بالدعوة الجديدة ، ومن ذلك اللغة التي كان تأثير القرآن باديا في أساليبها و تراكيبها بله المفردات و المعاني ، وفي ذلك يقول ابن فارس : << ....لما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال و نسخت ديانات ، و أبطلت أمور، و نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت ، و شرائع شرعت و شرائط شرطت فعفى الآخر الأول ...>>[1] وكان << مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن و المسلم ، والكافر و المنافق ، و العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان و الإيمان و هو التصديق تم زادت الشريعة شرائط و أوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا .... وكذلك الإسلام و المسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء و الستر ....>>[2].

من هذا النص ومن أن السياق الثقافي الذي يتفرع عنه السياق الديني هو الجزار الثقافي الذي تستعمل فيه الوحدات اللسانية و تختلف معانيها باختلافه [3] نتبين أن المعاني التي نقلها الرواة عن العرب ورصدها أهل اللغة في المعاجم كثيرا ما تقصر دون تحديد الدلالة لأنها لا تشكل أداة متكاملة يمكن أن يعول عليها الدارس في مواجهة النص و الاهتداء إلى مقاصده و أحكامه ومن هنا تجيء أهمية السياق الديني في المنهج الدلالي الذي يستهدف النص القرآني حيث تتضاءل أهمية بقية السياقات في فهم كثير من الأدلة اللغوية ما لم ترتكز الجهود على تحليل السياق الديني والاهتداء به .

و هذه طائفة من الألفاظ نمثل بها لذلك :

1-الإيمان : لأن تباين تردد الكلمة مما ينبغي أن يأخذه الدارس في حسبانه لدى دراسة المعنى[4] ، فإنه مهم أن نذكر أن جذر الإيمان تكرر في السورة ثماني مرات في الآيات 6 13 ، 29 ، 30 ، 55 ، 80 ، 88 ، 107 ، و إذا تذكرنا أن تصحيح العقيدة من المحاور الأساسية في السورة باعتبار مضمونها و باعتبار مكيتها ظهرت لنا الأهمية التي يكتسبها لفظ الإيمان الذي

---

[1]- ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ت عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف، بيروت ، ط1 ، (1414هـ -1993م) ، 77.

[2]- المصدر نفسه : 78 ، 79 .

[3]- ينظر : أحمد مختار عمر ، مرجع سابق ، 71.

[4]- ينظر : تمام حسان ؛ مناهج البحث في اللغة 284.

<< لم يكن العربي يعرف منه سوى التصديق >>[1] ، و لذلك قالوا في الرجل الذي يصدق كل ما يسمعه أمنة[2].

و الفعل "آمن" كمرادفه "صدق" متعد ؛ إلا أنه يخالفه في كونه متعد بالحرف وإنما ذكرنا هذا الملحظ الصرفي هنا لأننا لاحظنا من استعمالات الفعل أنه يحتفظ بمعناه المعجمي كل ما ذكر مفعوله ، و ذلك في قوله تعالى ﴿ **إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ...** ﴾ الآية 6 ، وقوله : ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ...** ﴾ الآية 13 ، أما إذا حذف مفعوله فإنه يضيف إلى معناه المعجمي المعنى الديني و هو << إظهار الخضوع وقبول الشريعة >>[3] وهو مما يصدق قولهم << الحذف فيه (القرآن) يؤدي إلى فخامة العبارة ولا يؤدي إلى الغموض >>[4] ، وهو توجيه دلالي مشترك بين التركيب والصرف و السياق تجدر الإشارة إليه .

وقد تحقق ذلك في قوله تعالى : ﴿.....**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ الآية 29

وقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾ 30 .

وقوله : ﴿ **ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ....** ﴾ الآية 55

وقوله : ﴿ **و أما من آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى .....** ﴾ الآية 88

وقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾ الآية 107 .

حيث ينصرف معنى الإيمان في كل هذه الآيات إلى مدلوله الديني الذي يفسره قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : << ليس الإيمان بالتحلي و لا بالتمني و لكن ما وقر في القلب و صدقته الأعمال ، و الذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بعمل يتقنه>> [5].

وإذا كان الإيمان ما وقر في القلب و صدقه العمل فإن هذا الذي ذكرناه يكون تقييدا لعموم التصديق الذي يدل عليه لفظ الإيمان معجميا وذلك تأكيد لعلاقة السياق الديني بالمعجم ودور الأول في إثراء الثاني .

2- الكفر : الكفر مثل الإيمان في الانزياح الدلالي حيث كانت العرب << لا تعرف من الكفر إلا الغطاء و الستر >>[6] ، و لذلك قالوا للمزارع كافرا لأنه يستر البذر بتراب الأرض ، و أطلقوا

---

[1]- ينظر : ابن فارس ؛ الصاحبي ، مصدر سابق ، 78.

[2]- ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط : أ.م.ن

[3]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[4]- عبد العظيم المطعمي : خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، (1413هـ-1992م) ، 15/1.

[5]- هبة الله بن الحسن اللالكائي : اعتقاد أهل السنة ، دار طيبة ، الرياض ، 1402 هـ ، ص 839/4.

[6]- ابن فارس : الصاحبي ، 79.

اللفظ على الليل و السحاب و البحر لما في كل من هذه الأسماء من دلالة عن الستر و التغطية[1].

و قد تواتر الجذر "كفر" في السورة سبع مرات :

1- ﴿.... **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** .... ﴾ الآية 29.

2- ﴿.... **ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق** ..... ﴾ الآية .56

3- ﴿ **و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا** ﴾ الآية 100

4- ﴿ **أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** .... ﴾ الآية 102.

5- ﴿...**إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا** ﴾ الآية .102

6- ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم** .... ﴾ الآية 105.

7- ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي و رسلي هزؤا** ﴾ الآية 106.

و إذا قابلنا هذه الآيات بقول سعيد بن جبير << الكفر على وجوه ؛ فكفر هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر ، وكفر بكتاب الله ورسوله ، و كفر بادعاء الولد ، و كفر مدعي الإسلام وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله و يسعى في الأرض فسادا أو يقتل نفسا محرمة بغير حق ، ثم نحو ذلك من الأعمال كفران ، أحدهما كفر نعمة الله و الآخر التكذيب بالله >>[2] وجدنا أن "كفر" في قوله تعالى : ﴿ **فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر** ﴾ ذكر في مقابل "الإيمان" بمعنى أن كل من لم يكن مؤمنا هو بالضرورة كافر و هي فكرة تأخذنا إلى مفهوم الحقول الدلالية المتناقضة التي يقوم فيها التفكير على فكرة النقيض يستدعي النقيض وإطلاق الحكم يصحح في ضوء حكم يعاكسه[3] و معنى هذا أن من لم يتصف بصفات الإيمان التي لخصها الحديث يكون في عداد الكافرين .

وهذا التقابل توضحه كذلك الآية 106 ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا و اتخذوا آياتي ورسلي هزؤا** ﴾ لأنها متبوعة بذكر المؤمنين و جزائهم ﴿ **إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾ الآية 107 حث يمتد التقابل إلى ذكر جزاء المؤمنين و عقاب الكافرين ، وعلى أي من الأنواع التي ذكرها سعيد بن جبير حملنا معنى الكفر في الآيتين فإنه في مقابل الإيمان و نفي الإيمان تحقيق للكفر.

وبمثل هذا الكلام نقول في معنى "الكفر" الوارد في الآيات (56، 100، 102) ،

---

[1]- ينظر : اللسان ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح ؛ مادة ك.ف.ر.

[2]- ابن منظور اللسان ، مصدر سابق ، مادة ك.ف.ر.

[3]- ينظر: عمار شلواي؛ نظرية الحقول الدلالية، مقال منشور في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد 2، جوان2002.

وأما الكفر الوارد في قوله تعالى : ﴿ **أفحسب الدين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** ﴾ ، و قوله : ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقائه ...** ﴾ فهو في الأولى كفر شرك لأن الآية ذكرت ذلك نصا ، وفي الثانية كفر جحود و تكذيب[1].

وبذلك يكون الكفر قد ورد مرة في مقابل الإيمان ، و مرة بمعنى الشرك ، وثالثه بمعنى الجحود وكل ذلك مما ذكره سعيد بن جبير ، وهي معان و إن كان بينها قرابة في الدلالة إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الترادف لوجود خصوصية في كل استعمال ، و ذلك شأن القرآن الذي << يستخدم اللفظ الواحد في مواضع متعددة ، و كل موضع يراد به معنى غير الذي أريد به في الموضع الآخر >>[2] ، و الذي يعنينا من شأن اللفظ ههنا أن كلا من هذه المعاني التي ورد عليها تحتفظ بخصوصية شرعية لا تشكل بحال تطابقا دلاليا تاما مع المعنى المعجمي الذي لم يعط لفظ الكفر غير معنى الستر و التغطية ، ومن هنا تتجلى أهمية المعنى الديني للفظ "الكفر" في تفسير النصوص التي انتظمته ،غير أن هذا كذلك لا يعني انسلاخ المعنى المعجمي من اللفظ ، فكثيرا ما كان المعنى الديني امتدادا للمعنى المعجمي .

4-الحديث : من قوله تعالى : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾ الآية 6 و هو لفظ أثار خلافا كبيرا بين المفسرين لدلالته على القرآن الكريم الذي هو كلام الله << و هذا الخلاف قائم على صفة الكلام الإلهي أهي صفة قديمة أم صفة حديثة لأن القرآن الكريم لفظ مشترك يطلق على الكلام النفسي الأزلي الذي هو صفة لله عز وجل كما يطق أيضا على ما يدل عليه النظم المتلو للعبادة المدون في المصاحف بأصواته و حروفه >>[3].

ومعلوم أن التسليم للدلالة المعجمية وحدها أي << الجدة ، نقيض القدم ، وكون الشيء بعد أن لم يكن >>[4] يفضي إلى نفي صفة القدم عن القرآن الكريم و هو اعتقاد مرفوض عند أهل السنة و الأشاعرة ،من أجل ذلك فإنهم فسروا لفظ "الحديث" بالقرآن[5] ، أما صاحب التحرير و التنوير فقد فسر "الحديث" بالخبر وعلل << إطلاق اسم الحديث على القرآن باعتبار أنه إخبار

---

[1]- ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 174/4.

[2]- عبد العظيم المطعمي : خصائص التعبير القرآني ، مرجع سابق 369/1.

[3]- أحمد جلايلي : التحليل الدلالي للألفاظ الدينية عند امحمد بن يوسف اطفيش ، مقال منشور في مجلة الأثر ، جامعة ورقلة، الجزائر ، العدد1 ، 2002.

[4]- اللسان ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح ، مادة ح.د.ث.

[5]- ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 2/380 و ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 4/136 و الألوسي ؛ روح المعاني ، مصدر سابق ، 15/205.

من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ الحديث هو الكلام الطويل المتضمن أخبارا وقصصا ، سمي الحديث حديثا باعتبار اشتماله على الأمر الحديث أي الذي حدث وجد ، فـ"الحديث" فعيل بمعنى مفعول >>[1] وبذلك ينفرد بالربط بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي من خلال استغلال الاشتراك اللفظي في لفظ "القرآن" ليكون الحديث الذي هو من الحدوث و الجدة – أي المعنى المعجمي – وصفا لجانب من لفظ "القرآن" هو النظم والأصوات أو ما عبر عنه بالاخبار من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فينجو بذلك الجانب الثاني للفظ و هو الكلام النفسي الأزلي من أن يوصف بالجدة و الحدوث .

ولأن هذه المسألة الكلامية ليست من مشمولات البحث فإن الذي يعنينا منها أن دلالة "الحديث" معجميا كانت قاصرة عن تفسير النص و الوفاء بحاجة الباحث اللساني في ظل الاعتقاد بعدم خلق القرآن ، ولم يكن بد من الاعتماد على المعنى الديني "القرآن" و<< توجيه "الحديث" إلى معنى الخبر و الكلام تجنبا للحدوث الذي هو كون الشيء بعد أن لم يكن >>[2] تلافيا للوقوع في المحظور .

4- الهدى : جاء الفظ في خمسة مواضع هي :

1- ﴿....**لأنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ الآية 13.

2- ﴿... **من يهد الله فهو المهتد** ... ﴾ الآية 17.

3- ﴿... **وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا** ﴾ الآية 24.

4- ﴿... **و ما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى** ... ﴾ الآية 55.

5- ﴿... **وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ الآية 57.

فهل كان المعنى واحدا في كل هذه المواضع ؟

الهدى معجميا هو الرشاد و الدلالة ويقال هديته الطريق و البيت هداية بمعنى عرفته ، هذه لغة أهل الحجاز أما غيرهم فيعدي فعل الهداية بالحرف من الأولى قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾[3] ومن الثانية قوله : ﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا..** ﴾[4] أو ﴿ **اهدنا إلى سواء الصراط** ....﴾[5] [6] هذا معجميا أما سياقيا فقد وصل الإمام الزركشي في كتابه

---

[1]- الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 255/15.

[2]- أحمد جلايلي : التحليل الدلالي للألفاظ الدينية عند امحمد بن يوسف اطفيش ، مجلة الأثر ، ص 51.

[3]- الفاتحة : الآية 6.

[4]- الأعراف : الآية 43.

[5]- صٓ : الآية 22.

[6]- ينظر : النيسابوري ؛ مختار الصحاح ، مادة هـ.د.ى.

كتابه "البرهان" بلفظ "الهدى" إلى أكثر من سبعة عشر معنى هي : البيان ، الدين الإيمان ، الداعي ، الرسل، المعرفة ، الرشاد ، القرآن ، التوراة ، الاسترجاع ، الحجة التوحيد ، السنة ، الإصلاح ، الإلهام ، التوبة ، النبي[1] .

و أما في آيات السورة فقد فسر ابن كثير "الهدى" في الآية الأولى "زدناهم هدى" بالإيمان وذكر أن الآية من أدلة القائلين بزيادة الإيمان و نقصانه[2] ، وفسره الزمخشري بالتوفيق و التثبيت[3] ، في حين رأى الطبري أن "الهدى" في هذه الآية بمعنى البصيرة فقال << وزدناهم هدى ، أي بصيرة حتى صبروا على هجران دار قومهم أو الهرب بدينهم>>[4].

وسواء أكان فعل الهداية في قوله تعالى ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾ متعديا بنفسه أم بالحرف فإن حذف مفعوله الثاني يعود بنا إلى دور الحذف في توجيه المعنى ، ذلك أن الفعل "يهدي" – ككل الأفعال – يقبل عددا لانهائيا من المفاعيل ، وذكر واحد منها هم إقصاء للباقي ولذلك فإن عدم الذكر هو الذكر كله لأنه يفتح الباب واسعا أمام التأويل ولكن أي تأويل ? ، إنه التأويل الذي لا يخرج عن إطار السياق ، و السياق لا يسمح بتفسير اللفظ بأكثر من الرشاد لأن << الهدى المراد هنا هدي واحد هو الهدي إلى الإيمان >>[5] ، و إنما كان ذلك لأن الجملة "من "من يهد الله" استئناف بياني لما اقتضاه اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿ **ذلك من آيات الله** ﴾ من تعظيم أمر أصحاب الكهف الذين يشملهم فعل الهداية بقرينة المقام[6] ، و بذلك نقف على وظيفة أخرى للسياق الديني هي تخصيص ما أطلقه التركيب ، ذلك أن قصر معنى "الهدى" على الهدى إلى الإيمان من إملاءات السياق.

وأما في قوله تعالى : ﴿ **وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا** ﴾ فإن ذكر متعلق فعل الهداية وجه الدلالة في اللفظ إلى معنى الإيتاء و هو ما ذكره الزمخشري في تفسيره للآية : << .... و معناه لعل الله يؤتيني من البيان و الحجج على أني صادق ما هو أعظم في الدلالة و أقرب رشدا من نبأ أصحاب لكهف >>[7].

---

[1]– ينظر : الزركشيّ ؛ البرهان في علوم القرآن ، مصدر سابق ، 103/1.

[2]– ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 138/4.

[3]– ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 3825/2.

[4]– الطبري : جامع الباين ؛ 329.

[5]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 215/15 ، و ينظر ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 140/4 و الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 382/2.

[6]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، 280/15.

[7]– الزمخشري : الكمشاف ، 387/2.

و ما ذاك إلا لأن في متعلق فعل الهداية إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف لأن "هذا" إشارة إلى أصحاب الكهف و هو مما يقوم به الدليل على دور السياق في الدلالة لأن "هذا" دليل فارغ لا يكتسب دلالته إلا من سياقه .

وأما في قوله تعالى : ﴿ **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ...** ﴾ فإن <<عموم لفظ الهدى يشمل هدي القرآن وما قبله من الكتب الإلهية و أقوال الأنبياء كلها>>[1] ، في حين أن مفهومه في الآية : ﴿ **وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ أقل عموما لكون الخطاب موجها للرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم فإن "الهدى" هو الهدى الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – من دعوة إلى التوحيد و الإيمان بالله تعالى وذلك هو مضمون القرآن و السنة ، أي أن المعنى هنا قد انحصر في واحد من الكتب السماوية و في كلام واحد من الرسل هو محمد – صلى الله عليه وسلم– .

وبذلك يكون معنى "الهدى" قد تردد بين : الإيمان ، و التوفيق ، و التثبيت ، والبصيرة، و الأنبياء ، و الكتب السماوية ، و أقوال الرسل ، و القرآن و حديث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –

و << القرآن قد يستعمل اللفظ الواحد في ما يقرب من عشرين معنى .. وقد يوضع اللفظ الواحد و يراد به معان متعددة .. و تلك المعاني المرادة لا تتنافى مع طبيعة اللغة ولا مع مقاصد الشرع فهي إذن فضيلة بيانية >>[2].

5– الضلال : يرتبط "الضلال" بـ "الهدى" كما ارتبط "الكفر" بـ "الإيمان" على طريقة الحقول المتناقضة التي يستدعي فيها النقيض نقيضه ، ومادام الكلام في السياق فإن الحديث عن مقابلة ثنائية يغدو أمرا بسيطا ساذجا لأن قائمة المعاني مفتوحة على المتعدد الذي يتيحه المقام لكلا اللفظيين المتناقضين.

وإذا كان لـ "الهدى" مجال متعدد المعاني بحسب السياقات التي جاء فيها فإن دلالة نقيضه "الضلال" بدورها مفتوحة على قراءات متعددة : من ذلك ما فسر به الزمخشري معنى اللفظ في قوله تعالى : ﴿ **قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ الآيتان 104 ،105 << الذين ضل سعيهم أي ضاع و بطل >>[3] ، وما فسربه صاحب التحرير الآية نفسها حيث أعطى الضلال معنى الخطأ << الضلال

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، 349/15.

[2]– عبد العظيم المطعمي : خصائص التعبير القرآني ، مرجع سابق ، 13/1.

[3]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 403/2.

خطأ السبيل ، شبه سعيهم غير المثمر بالسير في طريق غير موصلة >>[1] ، وقريب من ذلك قول ابن كثير : << الذين ضل سعيهم أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية >>[2] ، حيث كان بطلان العمل مقيسا بمخالفة الشريعة ، تماما كما خالف المعنى السياقي للضلال معناه المعجمي وهو << ضد الهداية والرشاد >>[3].

هذا عن معنى "الضلال" في قوله : ﴿ **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا** ﴾ ، أما عن معناه في قوله عز ذكره : ﴿ **وما كنت متخذ المضلين عضدا** ﴾ الآية 51 فإن << المراد بالمضلين الشياطين لأنهم أضلوا الناس بإلقاء خواطر الضلالة و الفساد في النفوس >>[4].

وإنما انحصرت دلالة المضلين في "الشياطين" لأن الجملة تعقيب على قوله تعالى : ﴿ **و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ الآية 50 ، ولفظ "المضلين" إظهار في موضع الإضمار إذ المعنى و ما كنت متخذهم عضدا ، << وضع "المضلين" موضع الضمير ذما لهم>>[5] ومن ثم فإن دلالة اللفظ سياقية أكثر مما هي معجمية.

وأما قوله جل شأنه : ﴿ .. **ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** ﴾ الآية 17 فإنه يجري عليه ما جرى على نقيضه "الهدى" من انفتاح على التأويل ناجم عن حذف مفعوله والتأويل هنا –كما في المثال السابق– محكوم بالسياق الذي يعطي اللفظ في هذه العبارة معنى الإضلال عن طريق العقيدة الصحيحة ، ذلك أن الآية تعقيب عن قصة أهل الكهف الذين تعرفوا بأنهم ﴿ **فتية آمنوا بربهم ....** ﴾ و قولهم ﴿ **ربنا رب السموات و الأرض لن ندعوا من دونه إلها...** ﴾.

6– الدعاء : جاء فعل الدعاء في ثلاثة مواضع هي :

– ﴿..**إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات و الأرض لن ندعوا من دونه إلها** .. ﴾ الآية 14.

– ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي** .. ﴾ الآية 28 .

– ﴿ **و يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** .. ﴾ الآية 52

---

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق، 46/16.

[2]– ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 174/4.

[3]– ابن منظور : اللسان ، مصدر سابق ، مادة ض.ل.ل.

[4]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير : 343/15.

[5]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 393.

و الدعاء في الآية الأولى بمعنى العبادة أي لن نعبد إلها دونه ، و إنما << ذكر الدعاء دون العبادة لأن الدعاء يشمل الأقوال كلها من إجراء وصف الإلهية على غير الله ومن نداء غير الله عند السؤال >>[1].

أما في الآية الثانية فمعناه اذكر الله بالتسبيح و التحميد و التهليل و التكبير و العمل الصالح[2] ، وقال مجاهد << "يدعون ربهم" أي يصلون الصلوات الخمس>>[3].

وهي كلها معان جديدة للفظ الدعاء أكسبه إياها سياقه الديني الذي لم يخلع عنه معناه المعجمي الذي منه المناداة و الاستغاثة و الصياح[4] ، كما نجد في الآية الأخيرة التي تحكى حال المشركين يوم القيامة لأن الدعاء فيها مستعمل في معناه المعجمي أي نادى المشركون شركاءهم واستغاثوا بهم أملا في تخليصهم مما هم فيه من عذاب وهوان .

من كل ما سبق نتبين أهمية السياق الديني ودوره كأداة ضرورية لفهم النص القرآني، وبالرغم من هذه الأهمية فإن فهم النص يبقى في حاجة إلى سياقات أخرى من بينها السياق الانفعالي (العاطفي).

السياق الانفعالي (العاطفي)

[1]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 273/15.

[2]– ينظر: مختصر الطبري؛ جامع البيان، مصدر سابق ، 332 و ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 4/145.

[3]– ابن منظور : اللسان ، مصدر سابق ، مادة د.ع.آ.

[4]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

يتميز السياق الانفعالي عن بقية السياقات بكونه يعكس درجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام وما ينتج عن هذه القوة من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال[1].

ولما كان للانفعال المصاحب لأداء الكلام الأثر لذي ذكرنا ، وكانت << فكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي >>[2] ، فقد آثرنا أن نعقد هذا المبحث لنرصد من خلاله بعض المواقف التي تم فيها إنتاج جانب من لغة النص و كيف كان لها أثر في تشكل اللغة ومن ثم المعنى ، وبديهي أن الأمر يتعلق بالنصوص التي أنتجتها شخصيات القصص والأمثال ، لا بالكلام العائد إلى الذات الإلهية لأن الأخير قصدي لا أثر للعاطفة أو الانفعال عليه تعالى الله عن ذلك.

و لتحقيق هذا المبتغى حددنا بعض المقامات التي ظهر لنا أثرها في تشكل لغة النص ونقدمها الآن نماذج لمثيلاتها التي لم نتمكن من الإتيان عليها ، و ما ذاك إلا لأن ربط الملفوظات اللسانية بسياقها الموقفي الذي تنتج فيه بالفعل من صميم الدراسة الدلالية[3] و قبل أن نمضي في الحديث عن المقامات التي ذكرناها نشير إلى أنها ذات منشأ يعود إلى طبيعة المرسل و المتلقي من حيث وضع كل منهما إزاء الآخر وعلاقته به وما قد ينتج عن ذلك من ضغط نفسي أو انفعال عاطفي ذي أثر على اختيار اللفظ و بناء المعنى .

1- مقام الخضوع و الرجاء :

نمثل له بالنماذج الآتية :

- ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة ...** ﴾ الآية 10.
- ﴿ **عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا** ﴾ الآية 24.
- ﴿ **عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ...** ﴾ الآية 40.

ونبدأ تحليل هذه النماذج من المعنى المعجمي للفظ "عسى" و المعنى البلاغي للنداء في "آتنا" حيث يختص لفظ "عسى" بمعنى الترجي ، ويصنف النداء تحت الدعاء لأنه من الأدنى مرتبة إلى الأعلى مرتبة .

ويجمع هذه النماذج كونها خطابا من العباد المؤمنين إلى الله – تعالى – و هو خطاب له خصوصيته و آدابه التي أولها أن يستشعر العبد جلال الله و عظمته و يضع نصب عينيه يوم القيامة و أهواله ، فضلا عما يندب له من طهارة و خلوة وما يحيط المناجاة الربانية من هيبة

---

[1]– ينظر : أحمد مختار عمر ؛ علم الدلالة ، مرجع سابق ، 70.

[2]– تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها ، مرجع سابق ، 337.

[3]– ينظر :.Jhon Lyons , Sementique languistique , Page 235

المقام ، وإن حالة المناجي في مثل هذه المقامات لشديدة التميز تصل بالزاهدين و النساك إلى حد العويل و النحيب وأخبار "رابعة العدوية" و "الجنيد" و الحلاج وغيرهم من العباد والزهاد تملأ كتب التصوف .

وإذا كان المخاطب في الآية الأولى هو الله العظيم الجليل فإن المتكلم فتية في أعلى درجات الخوف و الفزع ؛ كيف وقد تعقبهم الملك الطاغية وهددهم في أرواحهم وعقيدتهم وما من نصير أو مجير ، و إنها لحالة عصيبة يحياها الفتية وقد أحاط بهم الخطر من كل مكان ولم يبق أمامهم إلا الله يجأرون إليه بالدعاء وهاهم أولاء يتوجهون إليه بالنداء "ربنا" هكذا دون حرف النداء ، ونقرأ فيه استشعارا منهم بشدة صلتهم بالله وقربهم منه الأمر نفسه الذي أوحت به الإضافة إلى ضمير المتكلمين تمييزا لهم عن بقية قومهم إذ ليس بينهم من يعبد الله و لو وجد لسلك مسلكهم في مخالفة المشركين ومن ثم فإن في المنادى "ربنا" تضمينا لرغبة الفتية في الإشارة إلى تميزهم بتوحيد الله وعبادته ،كما أن دلالة اللدنية في قولهم "من لدنك" تعكس إخلاصهم في التوجه إلى الله وأنهم إنما يطلبون رحمة خاصة <<من خزائن الله وهي المغفرة و الرزق و الأمن من الأعداء >>[1] وكل هذا يندرج تحت الحرص والإلحاح الذي أملته حالة الخوف والانفعال التي كانوا عليها.

وأما الآية الثانية فإنها تلقين من الله تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم– كيفية مواجهة المشركين و اليهود الذين اجتمعوا على مناوأته وإفحامه و حاله بينهم لا يفتقر إلى بيان ، وتتكرر دلالة الإضافة مرة أخرى مع اللفظ "ربي" لتشير إلى خصوصية العلاقة بين الله ورسوله وأنه ناصره لا محالة ، ويشير حرف الرجاء "عسى" المستعمل تأدبا مع الله – تعالى–[2] إلى أمل الرسول –صلى الله عليه وسلم– في تأييد الله ونصرته لأن المعنى << لعل الله يؤتيني من البينات و الحجج على أني صادق ما هو أعظم في الدلالة و أقوى رشدا من نبأ أصحاب الكهف >>[3] ، وحالة الرجاء هذه تتناسب مع وضعه –صلى الله عليه وسلم– إثر حالة الانتظار التي دامت خمسة عشرة يوما كاملة كان فيها غرضا لسهام المشركين ناله فيها ما ناله من أذاهم إلا أن الوحي نزل حاسما بتأييده وإفحام خصمه .

وأما الآية الثالثة فهي رجاء مؤمن أهانه أخوه الكافر المجاهر : ﴿ **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** ﴾ و عيره بقلة المال و الولد ، وربما صحت الرواية التي ذكرناها في التمهيد من أن الكافر

---

[1]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 381/2.

[2]– ينظر : الطاهر بن عاشور ؛ التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 299/15.

[3]– الزمخشري : الكشاف ، مصدر سابق ، 387/2.

نهر المؤمن وعنفه حين قعد على الطريق متسولا ، فلم يكن أمام المؤمن إلا الله يلجأ إليه و يترجاه .

ويتكرر التعبير نفسه في الملفوظ "ربي" ليعكس إخلاص توجه المؤمن لربه واستئثاره بعبادته دون أخيه الكافر، وهو معنى يشترك في تأديته زيادة عن علاقة الإضافة أمران :

– الأول : معنى الترجي في الحرف "عسى"

– الثاني : احتفاظ الفاعل "ربي" برتبته في التركيب ليتجاور مع دليل الرجاء (عسى)، توطئة لذكر المرجو "أن يؤتيني" ، وهي منطقة تقاطع في تأدية المعنى بين المعجم و التركيب و السياق أوجدها الموقف الدفاعي الذي تم فيه إنتاج العبارة ذلك أن العبارة رد على مباهاة الكافر ومفاخرته ، و في الوقت نفسه رجاء من الله وأمل في استجابته إذ المعنى << إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك >>[1] .

2- مقـــام المكـــابرة :

يمثله موقف صاحب الجنتين الذي لخصته الآيات : 34 ؛ ﴿ **فقال لصاحبه و هو يحاوره أنا أكثر منك مالا و أعز نفرا** ﴾ ، 35 ؛ ﴿ **و دخل جنته و هو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا** ﴾ ، 36 ؛ ﴿ **وما أظن الساعة قائمة و لئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** ﴾.

و المعنى المقالي لهذه الآيات يفتقر بشكل واضح إلى المعنى المقامي الذي تكونه ظروف أداء المقال [2] ، ذلك أن العبارة ﴿ **أنا أكثر منك مالا و أعز نفرا** ﴾ – مثلا – تتجاوز بكثير حد الخبر بالاصطلاح البلاغي ، ومن التقصير البين الوقوف عند ظاهر لفظها ذلك أن المقام الذي أنتجت فيه مقام كبر و خيلاء ، نعم لقد قالها صاحب الجنتين و هو << ينتفش كالديك ويختال كالطاووس و يتعالى عل صاحبه الفقير .. وملء نفسه البطر وملء جنبه الغرور >>[3] و ما ذاك إلا << لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة >>[4] ، وحالة البطر و الإعجاب هذه هي التي تم في ظلها إنتاج هذا الحدث الكلامي و أملت افتتاح الكلام بالضمير "أنا" الذي هو ترجمة واضحة لشعور الكافر بالكبر والفوقية حيال أخيه ، كما أن القصد

---

[1]– المصدر السابق : 391/2.

[2]– ينظر : تمام حسان ؛ اللغة العربية معناها و مبناها ، مرجع سابق ، 339.

[3]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، 2270/4.

[4]–ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 148/4.

إلى التميز و إهانة الآخر حصر مجال المفاخرة في الثنائية (أنا /أنت) من خلال لفظ "منك" الذي يعكس حرص الكافر على مطاولة أخيه تحديدا و أنه المقصود الأول و الأخير بالمفاخرة .

ثم إن الكلام جار في موضوع ذي أهمية قصوى هو موضوع العقيدة ولكن الكافر تحت تأثير الحالة المذكورة يستعمل لفظ "أظن" بما فيه من بعد عن اليقين و القطعية التي تتأسس عليهما العقيدة ، و كأن إحساسه بالإعجاب جعله يزهد في أمر العقيدة و يدرجه في باب الظن الذي يلزمنا المقام يتجاوز معجميته إلى تحميله معنى اليقين لأن أمر العقيدة لا مجال فيه للظن والتخمين ، وتطرف الكافر في كبره و خيلائه يثبت أن ما قاله هو ما يعتقده فعلا .

ولكن "الظن" سرعان ما يتحول إلى يقين حينما يتعلق الأمر بجنته التي يقطع بعدم زوالها مثلما يعكس ذلك لفظ "أبدا" .

وتحت تأثير نشوة الكبر و الإعجاب لا يفوته أن يبقي على احتمال قيام الساعة –على ضآلته –و ينقل إلى صاحبه أنه في هذه الحال سيكون أثيرا مبجلا عند الله الذي اختصه بخير الدنيا << إنه الغرور يخيل لذوي الجاه و السلطان و المتاع و الثراء أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملإ الأعلى >>[1] ، و نجد في إضافة "رب" إلى ضمير المتكلم في هذه الآية مقابلة مع الإضافة السابقة في قول أخيه المؤمن ﴿ **عسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك** ﴾ ، كما أن الحالة التي قيل فيها الخطاب هي التي صبغته بصبغة التوكيد الذي يدل عليه اللام ونون التوكيد الثقيلة في قوله : ﴿ **لأجــدن** ﴾.

وإذن فقد كان لموقف الكبر و الخصام أثر في ظهور الذاتية في لفظ "أنا" الذي يعتبر مشيرا فارغا لا معنى له خارج سياقه و صبغ الخطاب بنبرة التوكيد من خلال استعمال أدواته (اللام و النون) وهو ما ينقل الكلام من مفهوم الخبر الابتدائي إلى الخبر الإنكاري الذي لا يكون إلا عندما يحس المتكلم من مخاطبه تكذيبا وإنكارا ، وكذا إشراب لفظ "الظن" معنى الاعتقاد و اليقين .

3– مقام الثبات و المواجهة :

تمثله الآيتان : 14 ؛ ﴿....**إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الأرض لن ندعوا من دونه إلها...**﴾ و15 ؛ ﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ...**﴾.

الخطاب في الآيتين من الفتية وقد أحضرهم الملك الطاغية بين يديه ليستوضح أمرهم وما هم عليه من العقيدة [2]، و المقام كله خوف ورهبة و تعظيم و تجلة [illegible]

[1]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، 2270/4.

[2]– ينظر : ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 139/4.

وإننا لنتصور الملك وقد تصدر مجلسه و أحاط به الحرس وهو يلقي سؤاله سيفا مصلتا على رؤوس الفتية الأحداث الذين احضروا بحال الجناة و الموقف لا يحتمل الشك في أن الفتية سيجارون الملك ويدارونه بعد أن يقدموا بين يدي كلامهم عبارات التعظيم والإجلال، لكنهم يندون عن القاعدة و يخرمون العرف فيعلنوها صرخة مجلجلة تهتز لها أركان القصر "ربنا رب السماوات و الأرض" ، هكذا بكل الجرأة وبمطلق الصراحة ، وقد انقلب الخوف شجاعة فكان << موقفهم واضحا صريحا حاسما لاتردد فيه ولا تلعثم ... إنهم فتية أشداء في أجسامهم ، أشداء في إيمانهم أشداء في استنكار ما عليه قومهم >>[1].

و يعكس صرامة الموقف و شدته ما في لفظ القيام من دلالة عن العزم و الثبات لأن لفظ القيام يرتجل بين يدي الجمل عند التعبير عن الأمور العظيمة ، من ثم فإن دلالته المعجمية مستبعدة إلا أن تكون مجازا .

– دلالة حرف التعقيب "ف" على سرعة الإجابة وأن لا حاجة بهم إلى مهلة أو تفكير فيما طرح عليهم ، لذلك فإن معنى التعقيب الذي أفاده الحرف يشحنه السياق بدلالة أخرى مؤداها صرامة الموقف ومنتهى العزم و التصميم .

النفي بالحرف "لن" بما يؤديه انغلاق المقطع لانتهاء الحرف بالسكون من إيحاء بالحسم و الشدة في مقابل انفتاح المقطع في البديل "لا" الموحي بالمرونة أو التماطل وكذا ارتباط النفي في "لن" بالمستقبل وما يحيل إليه من عزم وتصميم.

– دلالة الحرف "لولا" على الإفحام و التبكيت مما يشير إلى أنهم انتقلوا من حال الدفاع إلى حال الهجوم.

– التعبير بالاسمية "ربنا رب السموات و الأرض" وما يحيل إليه من الإشارة إلى الثبات والدوام.

– ومرة أخرى الإضافة في "ربنا" ومعنى الاستئثار بربوبية الله دون بقية القوم .

وتلك كلها أدوات تعبيرية أنتجها الموقف وتآزرت بمستوياتها اللغوية المختلفة في تأدية المعنى الذي لا يتجلى إلا في ظل هذا الموقف.

4– مقام العزم و التصميم :

نتبينه من الآيتين :

– ﴿ **لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا** ﴾ الآية 38 .

– ﴿ **...لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا** ﴾ الآية 60.

[1]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، 2262/4.

تحدد طرفا الخطاب في الآية الأولى في الرجلين المؤمن و الكافر وقد تكبر الأخير وازدهى بماله وولده و هاهو ذا يفاخر أخاه المؤمن ويطاوله فيتولد عن ذلك موقف دفاعي قوي يحيل الفقير المعدم أقوى حجة و أشد سلطانا << وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة فلا تبالي المال و النفر ولا تداري الغنى و البطر ولا تتلعثم في الحق و لا تجامل فيه الأصحاب ، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال >>[1] ، وقد دل على هذه العزة و الصلابة التعبير بالاسمية إشارة إلى الثبات و الدوام ، وضمير الشأن وما فيه من معاني التعظيم ، وتكرار اسم الله تعالى مرة بالضمير "هو" و أخرى بلفظ الجلالة وثالثة بالمركب الإضافي "ربي" وكل ذلك يعكس نفسية المؤمن وقد تمسك بالله ربا ونصيرا ، وهو موقف يضيء كثيرا من جوانب المعنى في العبارة.

أما الآية الثانية فإن تصميم موسى عليه السلام على بلوغ غايته ظهر في :

– دلالة النفي في "لا أبرح" أي لا أتوقف عن السير ، بما في "لا" من مد طويل وما يشعر به من التصميم وطول الرحلة.

– الغائية في كل من "حتى" و "أو" أي أن موسى – عليه السلام – قد عزم على بلوغ هذه الغاية و لو طال المسير أحقابا ، وهو عزم استمده من وعد الله إياه إذ أوحى إليه أنه سيلتقي العبد الصالح عند مجمع البحرين[2] ، ووحي الله حق لا مراء فيه ولكن كلام موسى كان خطابا لفتاه وقد << استعظم هذه الرحلة و خشي أن تنالهما فيها مشقة تعوقهما عن إتمامها أو هو بحيث يستعظمها للعلم بأنها رحلة بعيدة >>[3] ، فهي إما رسالة تطمين أو تيئيس وقطع لخطوط الرجوع أمام الفتى الذي لم يكن على اليقين الذي كان عليه موسى – عليه السلام – ومن ثم فإن الغاية في خطاب موسى عليه السلام هي استبقاء الفتى معه بنقله من حال التردد إلى حال العزم ، لذلك فإن بيئة الخطاب تتجلى في : مرسل مصمم على بلوغ هدفه مطمئن إليه ، ومتلق حذر مشفق على نفسه وصاحبه.

و قد استطاع الخطاب انطلاقا من مقامه وبيئته تحقيق الهدف المتمثل في [illegible] العزم و اليقين كما يفهم من بقاء الفتى مع موسى بقية الرحلة.

[1]– المرجع السابق: 2271/4.

[2]– ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 159/4.

[3]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق ، 361/15.

ولأن الدلالة المعجمية للفظ "حقبا"– وهي الزمان الطويل – لا يمكن أن يحمل الكلام عليها لاستحالة أن يبقى المرء سائرا أحقابا زمنية ، فإنه لم يبق إلا أن يكون اللفظ دليلا على ما حمله إياه المقام من معنى العزم و التصميم.

5– مقام الخوف و الإشفاق :

نمثل له بالآيتين :

– ﴿.. **يا ليتني لم أشرك بربي أحدا** ﴾ الآية 42.

– ﴿ **يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ الآية 49.

أما الآية الأولى فهي من كلام صاحب الجنتين وهو يقلب كفيه بعد أن رأى نكال الله عيانا وقد أحاط بجنته الهلاك و الدمار وامتلأت نفسه حسرة وندما ، وهاهو صوته يرتفع عاليا بنداء التمني "يا ليتني" ، ولات حين مندم ، و في مد النداء تعبير عن لوعة الحسرة وهول المصاب ، وفي الإضافة "ربي" محاولة متأخرة للقرب من الله.

وأما الآية الثانية فإن مقامها أخروي محض ؛ إنه يوم الحشر وقد سيرت الجبال وبرزت الأرض و عرض الخلق صفوفا أمام الملك العلام وتطايرت كتبهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ؛ فمن قائل : ﴿ **هاؤم اقرؤوا كتابيه** ﴾ ، و من قائل : ﴿ **يا ليتني لم أوت كتابيه** ﴾.

وهاهم أولاء المجرمون وقد أشفقوا مما في الكتاب وهم يعلمون ما كان منهم في الدنيا من ظلم و شرك و آثام عظام ، و يعجبون من دقة إحصاء الكتاب الذي لم يغفل ما أغفلوه ولا ما ذكروه ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؛ إنه لمقام رهيب و خطب جلل ، والنفوس قد "بلغت التراقي" و المجرمون قد أدركوا سوء العاقبة وهول المصيبة ، وهذا نداء الحسرة يرتفع مرة أخرى كما رفعه صاحب الجنتين في الدنيا ﴿ **يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ... ﴾ إنها << قولة المحسور المغيظ الخائف المتوقع لأسوء العواقب وقد ضبط مكشوفا لا يملك تفلتا ولا هربا ولا مغالطة ولا مداورة >>[1] ، هو نداء حسرة لا تمن لأن أوان التمني قد ولى و لكنه نداء الويل والثبور<< بتنزيل مالا ينادى منزلة ما ينادى لقصد حضوره كأنه يقول هذا وقتك فاحضري>>[2].

و قد عبر عن شدة الحسرة مد حرف النداء و النداء نفسه اذ لا معنى لنداء ما لا ينادى وبذلك يخرج أسلوب النداء من الحقيقة إلى المجاز الذي أشربه إياه المقام.

---

[1]– سيد قطب : في ظلال القرآن ، 2274/4.

[2]– الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير ، مصدر سابق 338/15.

ونجد في الطباق بين "صغيرة" و "كبيرة" إيحاء بشدة العجب من دقة الإحصاء وصدقه الله العظيم إذ يقول ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [1] ، وقد أعطى السياق اللفظين معاني متعددة أهمها : التبسم و القهقهة أو المسيس و الزنا[2] ، وهي أيضا مساحة بين التركيب (ممثلا في حذف الموصوف و الاجتزاء بالصفة) ، و المعجم (ممثلا في معنى الصغر والكبر) ، و السياق ممثلا في القائمة المفتوحة للموصوفات التي يمكن أن توصف بالصغر و الكبر وهي متعددة بقدر ذنوب البشر .

6- مقام المحـادرة :

يمثله وضع الفتية يعد أن أفاقوا من نومتهم و أرسلوا واحدا منهم في طلب الطعام قال – تعالى – حكاية عنهم : ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فالينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحد ...** ﴾ الآية 19.

ونريد أن نقف في هذه الآية على أثر الوضع النفسي الذي كان عليه الفتية في تشكيل خطابهم و بالتالي في فهمه حيث نقرأ في قولهم "ابعثوا أحدكم" التماسا بالإعفاء من أداء هذه المهمة من قبل المتحدث ، وكأن الجملة قد قيلت بعد أن لم يبادر أحد إلى النهوض بالمهمة ، وفي جملة "وليتلطف" أمر صريح بالتلطف و المحاذرة و لكن المتحدث آثر ضمير الغيبة بالرغم من حضور المخاطب وكأنه تفاعل مع الحدث و تصور الرسول قد وصل المدينة و أخذ في ما بعث من أجله فانتقل في ذهن المتحدث من الحضور إلى الغياب ، وهذا يشحن الدليل "يتلطف" بزيادة في الدلالة عن معناه المعجمي ، و في قوله : ﴿ **لا يشعرن بكم أحدا** ﴾ تتجلى حالة الخوف التي كانوا عليها في صيغة التوكيد بنون التوكيد الثقيلة والإطلاق المفهوم من لفظ "أحدا" لأن الكل محذور وفي كل ذلك إشباع للدلالة بمعنى الحيطة و الحذر.

وبذلك تكون الحالة الانفعالية التي كان عليها الفتية وراء هذا الحرص و التأكيد وهي التي تجعلنا نفهم أن الأمر في "ابعثوا" ليس على وجه الحقيقة ولكنه التماس لتساوي الآمر والمأمور منزلة ، وأن "التلطف" هو الحذر وحسن المعاملة و أن "أحدا" تعني كل الناس ممن كان على عهدهم.

7- مقام الاعتراض

يظهر في أقوال موسى عليه السلام :

---

[1] – ق : الآية 18.

[2] – ينظر : الزمخشري ؛ الكشاف ، مصدر سابق ، 393/2.

- ﴿...**أخرقتها لتغرق أهلها** ... ﴾ الآية 71.
- ﴿...**أقتلت نفسا زكية بغير نفس** ... ﴾ الآية 74.
- ﴿...**لو شئت لاتخذت عليه أجرا**... ﴾ الآية 77.

فالآية الأولى استفهام لو أخرج من سياقه لأمكن أن نفهمه على الحقيقة أو المجاز دون أن يكون لأحد الاحتمالين ترجيح ، لكن حين يوضع في النص فإن السياق ينفي احتمال فهمه على وجه الحقيقة و يبقى على المجاز لتدل العبارة على استنكار موسى عليه السلام فعل العبد الصالح و بخاصة حين يصرح ﴿ **لقد جئت شيئا إمرا** ﴾ ناسيا ما كان منه من تعهد بعدم الاعتراض .

وبالمثل في الآية الثانية يستبعد السياق الحقيقة و يحصر الاستفهام في الإنكار كذلك لأن موسى –عليه السلام– يعلم أن الغلام لم يأت ذنبا يستوجب قتله وإنه –ظاهرا– لمنكر عظيم ما كان لموسى أن يسكت عليه حتى و إن سبق منه العهد بعدم الاعتراض .

ومن ثم فإن الدلالة المعجمية في ألفاظ العبارتين ما كانت لتؤدي المعنى المقصود بعيدا عن المقام إذ في إخراجها من مقامها دلالة عكسية حين يفهم الاستفهام على الحقيقة فيبدو موسى – عليه السلام – جاهلا بالأمر يطلب من معلمه أن يبرز له أفعاله ولكن الأمر ليس كذلك لأن موسى كان معترضا رافضا و مستنكرا لخرق السفينة .

ويفهم من الجملة الأخيرة معزولة عن سياقها أنها عرض أو اقتراح من موسى بأخذ الأجرة على إقامة الجدار ولكن المعنى ليس كذلك إنما هو اعتراض أخرج مخرج العرض والملاطفة لشعور موسى بالحرج من الاعتراضين الأول و الثاني ، و بخاصة قوله ﴿ **إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني** .. ﴾ الذي يعكس طبيعته الانفعالية ومزاجه العصبي[1] ، لذلك فإن المعنى السياقي للجملة يختلف عن محصلة المعاني المعجمية لكلماتها.

8- مقام العتاب :

نبين عنه من خلال تحليل قول العيد صالح : ﴿ **هذا فراق بيني وبينك** ﴾ الآية 78 حيث لا يمكن فهم اسم الإشارة "هذا" بعيدا عما يشير إليه ، ولا يمكن أن [illegible] لا يتعدى كونها جملة خبرية تترجم رغبة العبد الصالح في إنهاء الرحلة نتيجة اعتراض موسى

[1]– سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 14 ، (1413 هـ – 1993 م) ، 200.

الأخير : ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرا** ﴾ ، ذلك أن العبارة في سياقها تتجاوز الإعلان عن انتهاء الرحلة إلى عتاب موسى – عليه السلام – و تحميله المسؤولية إذ لولا اعتراضه لما كانت ستتوقف عند هذا الحد ، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قال : << رحمة الله علينا و على موسى لو لا أنه عجل لرأى العجب و لكنه أخذته من صاحبه ذمامة ، قال : ﴿ **إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا** ﴾ ولو صبر لرأى العجب>>[1].

ثم إن في العبارة معنى آخر هو تذكير بصدق فراسة العبد الصالح حين قال لموسى –عليهما السلام– في بداية اللقاء ﴿ **إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾.

وما كنا لنفهم كل هذا إلا في هدي مما كان عليه موسى وصاحبه من بداية اللقاء إلى نهايته ، وتصور لواقع معلم حازم إزاء متعلم صعب المراس.

9– مقام الشدة و الصرامة :

نمثل له بقوله تعالى : ﴿ **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ الآية 29 و هي تلقين من الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه و سلم – الكيفية التي يخاطب بها الناس ونريد أن نتناوله كخطاب توجه به النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس امتثالا لأمر ربه .

وظاهر العبارة أن أمر الإيمان أو الكفر اختياري إرادي متروك لأهواء الناس وأمزجتهم كما يفهم من قوله "فمن شاء" ، و لكن هل فعل هذا هو مقصد الآية ؟

لا نريد أن ندخل في جدلية الجبر و الاختبار ولكننا نقف في فهم الآية عند حدود النص من خلال ما فسر به من التهديد و الوعد و الوعيد[2] الذي ليس في ظاهر النص ما يشير إليه إلا باعتبار الجملة "إنا أعتدنا للظالمين نارا" استئنافا بيانيا للجملة محل التحليل[3] والمقام الذي يأمر الله – تعالى – رسوله أن يكون فيه عند خطابه الناس وهو مقام العزة والصرامة لأن << الحق لا ينحني ولا يثني إنما يسير في طريقه قيما لا عوج فيه قويا لا ضعف فيه ... فمن شاء ~~فليؤمن ومن لم يعجبه الحق فليذهب~~ >>[4] ، و << لأن العقيدة فيها إنما هي ملك لله و الله غني عن العالمين >>[5].

---

[1]– صحيح مسلم : مصدر سابق ، 1851/4.

[2]– ينظر: ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق 4/146 و الطاهر بن عاشور؛ التحرير و التنوير، مصدر سابق، 307/15.

[3]– ينظر : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[4]– سيد قطب : الظلال ، مصدر سابق ، 2269/4.

[5]– المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

فالآية إذن خطاب الصراحة و الصرامة ممن يبلغ ما أنزل إليه ولا يخشى في الله لومة لائم ، و في ضوء هذا المقام و هذه المكانة يمكن أن نفهم أن الانتساب إلى الإيمان أو البقاء على الكفر ليس موكولا إلى أهواء البشر ونزواتهم ، وأن الآية إنما تقرأ من باب تحميل المسؤولية عن كل اختيار فمن شاء فليؤمن و ينتظر جزاء إيمانه ، و من شاء فليكفر وليتحمل عاقبة اختياره.

10- مقام العرض :

نفهمه من قوله تعالى : ﴿...**فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا** ﴾ الآية 94.
إذ ظاهر التركيب استفهام ، و لكنه مستعمل في العرض لأن << المعنى أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالا يعطونه إياه >>[1] ، والمقام هنا مقام عرض و رجاء لأن سكان منطقة بين السدين توسموا في ذي القرنين القوة و الصلاح فأرادوا أن يدرؤوا به خطر يأجوج ومأجوج ، و وضع القوم إزاء يأجوج ومأجوج يجعلنا نقرأ في هذا الاستفهام رغبة شديدة لدى القوم في استجابة ذي القرنين لعرضهم و هو ما يقصر عن تأديته المقال إن هو عزل عن مقامه.

11- مقام التعفف :

يظهر في رد ذي القرنين على عرض القوم : ﴿ **ما مكني فيه ربي خير**... ﴾ الآية 94 ، حيث يفيد ظاهر العبارة أن مكنة ذي القرنين في الأرض خير مما عرض عليه القوم من خراج ، نعم هذا مما يفيده الكلام و هو صحيح ومقصود ، لكن المعنى كذلك أن ذا القرنين تعفف عن أخذ الخراج و رفضه بلياقة و حسن أدب و << عفة و ديانة وصلاح وقصد للخير >>[2] ، مؤثرا ما عند الله على ما عرض عليه من مال.

وما كنا لنفهم هذا دون أن نضع في الحسبان مقام ذي القرنين من القوة و الصلاح ومكانة القوم من العجز وقلة الحيلة .

تلك هي بعض المقامات التي ظهر لنا أثرها في توجيه الدلالة واقتصرنا على التمثيل لها من خلال النماذج التي عرضناها ، آملين أن نكون قد وفقنا ولو
السياق عامة و السياق الانفعالي خاصة في فهم النص و الاهتداء إلى مقاصده .

---

[1]- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ، 171/4.

[2]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الخـاتمـة

الآن وقد صرنا إلى هذه المرحلة من الدراسة وارتقينا من أدنى مستويات الدلالة إلى أعلاها في معالجة نص السورة نقدم تلخيصا لأهم النتائج التي قادنا إليها البحث :

1- المدخل :

- تسمية السورة بسورة " الكهف" أو سورة "أصحاب الكهف" توقيفية لما ورد فيها من أحاديث عن الرسول صلى الله عليه و سلم.
- كان نزول سورة الكهف استجابة لرغبة الرسول صلى الله عليه و سلم و نصرة له زيادة عما فيها من أخبار و عبر.
- لم تخرج سورة الكهف عن مألوف القرآن المكي في تناول موضوع العقيدة.
- لسورة الكهف علاقة موضوعية و إيقاعية بالسورة التي قبلها و بالسورة التي بعدها.
- يجمع بين قصص السورة و أمثالها الصراع بين الحق و الباطل و انتصار الحق على الباطل و كذا الدعوة إلى النفاذ إلى جوهر الأشياء و عدم الاكتفاء بالظاهر.

2- المستوى الصوتي :

- كثيرا ما تتناغم الدلالية المعجمية مع صفات أصوات الكلمة و يعكس امتداد الصوت أو تكراره دواما في الفعل أو تجدّدا كما في ألفاظ "أيقاظا" ، "رقود" ، "فرارا" ، "فراق" ، و هو ما يثبت أنّ التنوع الصوتي ترجمة للانفعال النفسي.
- تكرار الأصوات كان في الأسماء أكثر من الأفعال (82/78) ، و أكثر الأصوات تكرارا هي الأصوات المائعة (ل، م، ت) التي كانت حاضرة في كل الآيات و أعلى تجمعاتها كان في الآيات : 19 ، 21 ، 22 وقد أدت – انطلاقا من صفة تأثرها بجوارها- دور الجسور بين الأصوات الشديدة المعبرة عن الأفكار الجادة القوية والأصوات الرخوة المهموسة المشيرة إلى أفكار الرفق و اللين و الهدوء.
- تجاور الأصوات (ل ، م ، ن ، ر) في الألفبائية يعكس إدراكا لما بين هذه الأصوات من صفات مشتركة و ما تنهض به من وظائف متقاربة.
- لظاهرة التنوين في النص أهمية قصوى لأنها حققت اختزالا لغويّا على مستوى الجملة و أسهمت في وصل الكلام و تنغيمه خصوصا في الكلمات المبدوءة بالنون ، ووحّدت الإيقاع على مستوى الجمل و الفواصل انطلاقا من توفر التنوين على خياري المد أو السكون و بالتالي المقطع المتوسط المفتوح أو المغلق.
- بين صفات صوت الروي و الدلالة العامة للآيات علاقة كعلاقة تكرارية الراء روي الآيات : (67،68،69،70،71،72،73،74،75،76،77،78) بمراحل رحلة موسى – عليه السلام- التي تضمنتها هذه الآيات ، وقد أعطى تكرار بعض أصوات الروي

تجمعات صوتية ذات إيقاع مميز كالمثال السابق أو روي الباء في الآيات : (60،61،62،63) أو روي الدال في الآيات (19،20،21،22،23،24) .

- يشكل التكرار ظاهرة لافتة إن على مستوى القصة الواحدة كالجذر "ل.ب.ث" في قصة أصحاب الكهف أو على مستوى السورة كلها كالجذر "ق.و.ل" و قد أسهم التكرار في تثبيت المسموع وإثراء الإيقاع.
- كثير من التوافق الصوتي مرجعه إلى التوافق التركيبي كقوله تعالى : لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا" و قوله " بئس الشراب " ، " نعم الثواب".
- كثيرا ما تؤازر البنية التركيبية المعنى المعجمي (يؤمن–يكفر) ، (بئس–نعم) ، (الشراب–الثواب).
- لمفهوم الموازنة دور دلالي دقيق لأن الاتفاق في الوزن ضبط الإيقاع و الاختلاف في الروي كان معلما يؤذن بانتهاء الحديث في موضوع و ابتدائه في آخر.

3- المستوى الصرفي :

- أهم دلالات التعبير بالنكرة التهويل و الشمولية و التشويق و التأكيد و الوصف.
- مكّن الضمير و اسم الإشارة من اقتصاد كبير في المادة اللغوية.
- لحديث الله تعالى عن ذاته بضمير العظمة صلة بسعة علمه و إحاطته بالأحداث الغيبية التي جاءت في السورة.
- يشير تكثيف الضمائر العائدة على الرسول صلى الله عليه و سلم إلى محوريته في عملية التبليغ.
- أضفى تكثيف لفظ الجلالة و حضوره الدائم عبر كامل مساحة النص شعورّا مستمرا بهيبته و جلاله.
- ظهرت ثنائية الخير و الشر في بعض الأعلام : آدم / إبليس ، ذو القرنين / ياجوج وماجوج ، صاحب الجنتين / المؤمن ، عدن و الفردوس / جهنم.
- تنوعت دلالة التعبير باسم الإشارة بين الإشارة إلى البعد المعنوي بالبعد الحسي والتنبيه إلى أهمية المشار إليه و التمييز و تيسير الانتقال من كلام إلى آخر و بالاسم الموصول بين تعليل الإسناد المجاور للصلة و التهكم و شحن الموصولات عن طريق الصلات.

- المحلّي بالأداة أقل المعارف تعيينا.
- من دلالات الإضافة التنويه و التشريف و التذكير و التفظيع و القصر.
- كان المفرد حقيقيا تارة و دالا عن المثنى تارة أخرى و عن الجمع تارة ثالثة.
- ارتبط المثنى في النص بالذوات أو الأعضاء أو الطبيعة ، وعبّر الجمع عن التنوع وعظمة الخالق.
- هيمنت صيغة المذكر على قصص السورة و أمثالها ، و عدل عن المؤنث إلى المذكر حين كان القصد إلى التعبير عن القوة و الشدة كما في قوله : ﴿ **لم تكن له فئة ينصرونه** ﴾ ، و عن المذكر إلى المؤنث عندما كان القصد إلى التعبير عن معاني العطف والاستجداء كما في قوله تعالى : ﴿ **يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة** ﴾.
- أدى المصدر دورا بلاغيا و آخر إيقاعيا و عبر اسم الفاعل عن الثبات و المبالغة أو الاستقبال فيما دل اسم المفعول الوحيد عن اختصاص الرسل بالتبليغ.

أما الفعل فقد كان لتكثيف ماضيه علاقة بأحداث السورة الموغلة في الماضي وقد عبرت صيغة الماضي عن معاني عدة أهمها : تحقق الوقوع ، الترتيب ، فيما عبرت صيغة المضارع عن معان أهمها : التجدد و التكرار ، استحضار الحال ، تهيئة قلب الرسول صلى الله عليه و سلم.

و قد لا حظنا أن دلالة الفعل الزمنية لم تكن رهينة لصيغته الصرفية بقدر ما كان للسياق عليها السلطان الأكبر و أن بعض الأدوات تشترك في توجيه زمن الفعل ، وأما فعل الأمر فقد سجلنا فيه تكثيفا لأوامر الله تعالى الموجهة للرسول صلى الله عليه و سلم و قرأنا فيها إيلاء الأهمية الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه المخاطب الأول بالقرآن و بالمقابل لم تتعد أوامر الله للمشركين فعلا واحداّ مما يعكس هوانهم وقلة العناية بهم ، أما دعاء المؤمنين ربهم فقرأنا فيه حضورا دائما لله تعالى في أذهانهم.

و فيما يخص بناء الفعل للمجهول فإن أهم أغراضه اثنان ؛ الأول عدم تعلق الغرض بذكر الفاعل كالفعل "عرضوا" و الثاني كونه معلوما بحيث لا يحتاج إلى ذكره كالفعل "يوحي" من الآية الأخيرة.

أما صيغ الفعل فأهم ملاحظة لنا عليها أن صيغ التشريك أو المضارعة أو التكلف أو الطلب – رغم كثرة الصيغ في النص – لم تسند أبدا لاسم الجلالة أو ضميره لما فيها من دلالة عن الحاجة أو الافتقار إلى الغير لا يتناسب مع كمال الله تعالى.

4- المستوى التركيبي :

غلبت على النص التراكيب الفعلية و بخاصة الجمل ذات الفعل المتعدي التي بلغت 88% من الجمل الفعلية و في ذلك إشارة إلى حركية السورة و كثرة أحداثها.

- تعددت أشكال التركيب الاسمي و دلت في أغلب استعمالاتها على الثبات والدوام وخاصة فيما تعلق بالعقيدة.
- أسهم إضمار المسند إليه في الإيجاز ، وأضمر المسند إليه عندما كان ضمير غيبة وكل ضمائر الغيبة المضمرة تعود إلى أشخاص أو أمكنة و في ذلك إشارة إلى مطلقية الأحكام و عدم ارتباطها بأشخاص معينين أو أمكنة مخصصة.
- للمتمّمات أهميتها في كثير من العلاقات الإسنادية و قد تتوقف عليها الإفادة كما في قوله تعالى : ﴿ **ما فعلته عن أمري** ﴾.
- الإغضاء عن ذكر الفاعل كان عندما لم يتعلق الغرض بذكره أو كان من العلم به بحيث لا حاجة إلى ذكره و قد أفاد إضماره في إخلاء المكان لتقديم المفعول المهتم به كما في قوله تعالى : ﴿ **عرضوا على ربك صفّا** ﴾.
- إظهار عناصر التركيب أو إضمارها محكوم بتفاوت الوحدات اللغوية في الأهميّة والأولوية في الذكر أو التقديم للمهتم به.
- لم تطرد قاعدة الاشتراط بـ "إن" في غير المقطوع بوقوعه ، ولم تخالف "لو" قاعدة اختصاصها بالمقطوع بوقوعه.
- عكس تكثيف أداة الشرط "إن" وأداتي الاستفهام "أ" ، "هل" أصالة كل أداة في بابها واختصاصها به.
- لم يل أدوات الاستفهام إلاّ الفعل لأنه مناط الاهتمام و في ذلك تناسب مع طبيعة السورة الفعلية.
- أغلب الأساليب الاستفهامية (18 / 19) كانت مجازية.

- كان التقديم و التأخير في الرتب غير المحفوظة و أدى دورا بلاغيا و آخر إيقاعيا من خلال استغلال خاصية تركيبية هي إمكانية نقل المنصوبات من وسط الجمل إلى نهاياتها و تجلى ذلك في شكلين ؛ شكل اتحدت فيه الفواصل في المقاطع دون الروي وآخر اتحدت فيه الفواصل مقطعا ورويّا وأعطت تجمعات صوتية متناغمة معنى وموسيقى.

5- المستوى المعجمي و السياقي :

كان للسياقات المختلفة دور أساسي في توجيه دلالات الألفاظ.

- تآزرت السياقات المختلفة في حصر بعض الدلالات المعجمية كما الحال في لفظ "الصاحب" الذي تحكم في دلاته كل من السياق التاريخي والسياق اللساني و المعجم.
- أعطى السياق بعض الألفاظ ، دلالات لم تكن لها في أصل وضع اللغة كلفظ "السبب" الذي نقل السياق معناه من الحبل إلى الطريق.
- للوظيفة النحوية دور في تحديد معاني الألفاظ ، كوقوع " الجنة" فاعلا للفعل "تظلم" مما حول معناه من الجور إلى النقصان.
- السياق الديني محوري في فهم النص القرآني لأنه نقل كثيرا من الألفاظ إلى معان لم تكن أدلة عليها في أصل الوضع كما هو الحال في الكفر و الإيمان ... و "الحديث" الذي قصرت دلالته المعجمية عن الوفاء بالمعنى المقصود خصوصا في ظل القول بعدم خلق القرآن.
- من أثر السياق الديني تخصيص ما أطلقه المعجم كما في قوله : ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾ حيث انحصر مفهوم الهداية في الهداية إلى العقيدة و ما تعلق بها.
- يؤدي السياق الديني دورا في شحن الأدلة الفارغة بمعان دينية كلفظ " هذا" من قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا** ﴾.
- السياق النفسي وراء علاقة الإضافة في كثير من تراكيب الإضافة "ربي"، "ربنا" و هي إشباع للدلالة بمعاني التعلق و الرجاء.
- أنتج السياق النفسي خطابا متميزا يفتقر فهمه إلى العلم بالحالة النفسية المنتجة له كانتقال الفتية من حال الدفاع إلى حال الهجوم و التصدي في قولهم : ﴿ **لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾، و تنازع المتجادلين الاستئثار بالإضافة إلى الله "ربي" ، "ربنا" .

- في الاكتفاء بالصفة عن موصوفها تعاضد في تأدية المعنى بين الصرف و النحو والسياق ممثلا في القائمة المفتوحة للمعاني المعجمية كما في قوله تعالي : ﴿ **لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها** ﴾.
- نقل السياق النفسي دلالة التراكيب من معنى إلى آخر كقول موسى – عليه السلام – ﴿ **لو شئت لاتخذت عليه أجرا** ﴾ حيث نقل المعنى من العرض إلى الاعتراض ، وقول ذي القرنين ﴿ **ما مكني فيه ربي خير** ﴾ التي نقلها السياق من الخبر إلى الرفض المؤدب.

و في نهاية هذه الرحلة الشيقة مع النص القرآني أسال الله العلي القدير أن ينفعني بما علمني و يزيدني علما و يتجاوز عن ما كان من أخطاء عائذا بجنابه الكريم أن يكون في بعض ما كتبت اجتراء على كتابه العزيز متأسيا بقول رسول الله – صلى الله عليه و سلم – : " **من اجتهد و أصاب فله أجران و من اجتهد و أخطأ فله أجر واحد** ".

و إذ أعتذر لدى أساتذتي عما في هذه الصفحات من أخطاء منهجية أو معرفية تعود إلى ظروف البحث أو إلى تقصير صاحبه فإني على يقين باني سأجد في ملاحظاتهم و توجيهاتهم الكريمة ما أصحح به أخطائي و أتخذه زادا لمسيرتي العلمية التي مازالت في أطوارها الأولى.

و كفى بالله وليا و كفى بالله نصيرا.

قائمة المصادر و المراجع

أولا– المصادر :

– القرآن الكريم برواية حفص.

1– ابن جني (أبو الفتح عثمان) : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت، (1376 هـ – 1957 م).

2- **ابن حبان (محمد بن أحمد)** : صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، (1414 هـ-1993م).

3- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)** : تفسير القرآن العظيم ، ط 1 ، (1410 هـ-1990م) ، دار الثقافة ، الجزائر ، .1992

4-**ابن مالك (محمد بن عبد الله)** : ألفية ابن مالك في النحو و الصرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 (1425هـ - 2004 م).

5-**ابن عقيل (عبد الله بن عقيل)** : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة و النشر ، بيروت ، ط16 ، (1394هـ- 1974 م).

6- **ابن هشام (جمال الدين الأنصاري)** : قطر الندى وبل الصدى ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط11 ، 1963 م.

7- // // // : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، (1424 هـ 2003 م).

8- **ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش)** : شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت و مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

9- **أبو حيان (أثير الدين)** : البحر المحيط ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت.

10-**أبو هلال (العسكري)** : الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، 1406هـ-1986م.

11- **أحمد الحملاوي** : شذى العرف في فن الصرف ، ت مصطفى أحمد عبد العليم ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض، ط1، (1422هـ-2001م).

12-**الألوسي (أبو الفضل محمود)** : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

13- **البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله)** : صحيح البخاري، دار ابن كثير ، اليمامة بيروت، الطبعة الثالثة، (1407هـ1987م).

14- **البيضاوي** : تفسير البيضاوي ، تحقيق عبد القادر عرفات العشة حسونة، دار الفكر ، بيروت ، (1416 هـ-1996 م).

15- **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)** : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1410 هـ

16-**الجرجاني : (أبو بكر عبد القاهر)**: دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد ةالتنجي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ،1995م.

17-**الحاكم (محمد بن عبد الله أبو عبد الله)** : المستدرك على الصحيحين ، د ار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1411هـ-1990 م).

18-**الرازي (محمد بن عمر فخر الدين)** : التفسير الكبير، ميدان جامع الأزهر ، مصر، ط1، د.ت.

19-**الرضي (الأستربادي)** : شرح الرضي على الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الطبعة العثمانية، 1310 هـ.

20-**الزجاج (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)** : حروف المعاني ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1984م.

21-**الزركشي (محمد بن بهادر بن عبد الله)** : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، 1391هـ.

22-**الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)** : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان،د.ت.

23-**الطبري (محمد بن جرير)** : جامع البيان في تفسير القرآن ، مجمع البحوث والثقافة الإسلامية، الأزهر، مصر، د.ت.

24- **النيسابوري (أبو الحسن علي بن أحمد)** : أسباب النزول ، تحقيق وليد الزكري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، (1424 هـ-2004م).

25- **النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد)** : غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى لبابي

الحلبي و أولاده ، مصر ، ط1 (1384 هـ-1965 م).

26-**محمد الطاهر بن عاشور** : التحرير و التنوير ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية الكتاب ، الجزائر، 1984 م.

27- **مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن)** : صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

28-**الصبان محمد:** حاشية الصبان على شرح الأشموني ، المطبعة العامرة الشرقية، ط.2

29-**العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)** : فتح الباري ، دار المعرفة ، بيروت ، 1397 هـ

30-**الفرّاء (أبو زكرياء يحي بن زياد)** : معاني القرآن الكريم ، عالم الكتب ، بيروت، ط3، 1983 م.

31-**القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر)** : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط2 ، 1372هـ.

32-**القزويي (جلال الدين محمد بن سعد الدين)** : الإيضاح في علوم البلاغة ، دار إحياء العلوم ، بيروت، ط4 ، 1998م.

33-**السكاكي (أبو يوسف يعقوب)** : مفتاح العلوم ، المطبعة الأدبية ، مصر، ط1 ، د.ت.

34- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)** : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط3 ، (1408 هـ،1998 م).

35- **السيـوطي (جلال الدين)** : الإتقان في علوم القرآن ، تقديم محمد الشريف سكر ومصطفى القصاص، مكتبة المعارف ، الرياض و دار إحياء العلوم، بيروت ، ط1 (1407هـ-1987 م).

36- // // // : المزهر في علو اللغة و أنواعها، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، (1408 هـ -1987م).

37- **السيـوطي (جلال الدين)** : همع الهوامع ، تحقيق عبد العالي مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1979م.

38- هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي : اعتقاد أهل السنة ، دار طيبة ، الرياض ، 1402 هـ

ثانيا- المراجـع :

1-إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط5 ، 1979.

2- أبو السعود حسنين الشاذلي : المركب الاسمي الإسنادي و أنماطه من خلال القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ط 1، (1410هـ- 1990م).

3- // // // : الأدوات النحوية و تعدد معانيها الوظيفية – دراسة تحليلية تطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ط1 ، 1989م.

4- أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط5 ، 1998 م.

5- // // // : دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب، القاهرة، 1990 م.

6-أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، دار الفكر، بيروت ، طبعة مجددة 2003م.

7-الأزهر الزناد : نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1993م.

8- تمام حسان : الأصول ، عالم الكتب ، القاهرة ، (1420 هـ- 2000م).

9- // // : اللغة العربية- معناها و مبناها ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت

10- // // : مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء ، المغرب ، (1400هـ ،1979 م).

11- توفيق الزيدي : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984م.

12-حسن عباس : النحو الوافي ، دار المعرفة ، مصر ، ط8 ، د.ت.

13-خليل عمايرة : في نحو اللغة العربية و تراكيبها – منهج و تطبيق ، عالم المعرفة، جدة السعودية ،د.ت.

14-رجاء عيد: القول الشعري- منظورات معاصرة، منشأ المعارف، 1995م.

15-**الطيب البكوش** : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله و المطبعة العربية ، تونس ، ط2 ، 1987م.

16-**محمد إبراهيم عبادة** : الجملة العربية- مكوناتها، أنواعها ، تحليلها ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 2002م.

17-**محمد العبد** : اللغة و الإبداع الأدبي ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة، ط1 ، 1989م.

18-**محمد محمد داود** : الصوائت و المعنى في العربية ، دار غريب ، القاهرة ، 2001م.

19- **محمد أحمد نحلة** : لغة القرآن في جزء "عمّ" ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981

20- **محمود عبد السلام شرف الدين** : الإعراب و التركيب بين الشكل و النسبة ، دار مرجان ، القاهرة ، ط1 ، 1404هـ ، 1984م.

21-**المخزومي (مهدي)** : في النحو العربي – نقد و توجيه ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1964م.

22-**مصطفى جطل** : نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني و الثالث ، مديرية الكتاب و المطبوعات الجامعية، سوريا 1979 م – 1980م.

23-**الصابوني(محمد علي)** : صفوة التفاسير ، شركة الشهاب، ط5 ،(1411 هـ-1990 م.

24-**صبحي إبراهيم الفقي** : علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق – دراسة تطبيقية على السور الملكية، دار قباء، القاهرة، ط1، (1421هـ ، 2000 م).

25- **عبد الجبار توامة** : زمن الفعل في اللغة العربية ، قرائنه و جهاته- دراسات في النحو العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، 1994م.

26-**عبد اللطيف حماسة** : العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم و الحديث ، دار غريب ، القاهرة ، د.ت

27-**عبد المالك مرتاض** : نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة ، الجزائر .2001

28-عبد العظيم إبراهيم محمد المطعمي : خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، مكتبة وهبة ، القاهرة ، (1413 هـ-1992م).

29-عبد السلام هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل ، بيروت ، ط2، 1979م.

30-عز الدين علي السيد باكثير : التكرير بين المثير و التأثير ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2، 1980م.

31- فاضل صالح السامرائي : الجملة العربية - تأليفها و أقسامها، دار الفكر، الأردن ، (1422هـ-2002 م).

32- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق، القاهرة، ط11، (1405هـ-1985م).

33- // // : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة ، ط14، 1413 هـ

34- الشعراوي (الشيخ محمد متولي) : معجزة القرآن ، شركة الشهاب، الجزائر،1990م.

ثالثا- المعاجم :

1-ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط1 ، د.ت.

2-أبو حيان (أثير الدين) : البحر المحيط ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت.

3-**أبو هلال العسكري** : جمهرة الأمثال ، دار الفكر، ط2 ، .1988

4-إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب و الإملاء ، دار شريفة ، الجزائر، د.ت.

5-جرجس عيسى الأسمر : قاموس الإعراب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط7 ، .1979

6-الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) : مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، 1415هـ- 1995م.

7- محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، ط2 ، 1986م.

8- علي توفيق الحمد و يوسف الزعبي: المعجم الوافي في النحو العربي، الدار الجماهيرية للنشر ، الجماهيرية الليبية و دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط1 ، 1992م.

9-النيسابوري (أبو الفضل أحمد بن محمد) : مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

10-الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط.

رابعا- المجلات و الرسائل :

1-مجلة علوم اللغة ، دار غريب ، القاهرة ، 1999 ، العدد 4.

2-مجلة الأثر ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد1 ، 2002 م.

3-مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، الجزائر، العدد 2، 2002م.

4-مجلة فصول ، المجلد العاشر ، يوليو ، 1991 م.

5-رواية " الثلاثة " لمحمد البشير الإبراهيمي- دراسة دلالية – رسالة ماجستير، لبوخ بوجملين ، جامعة باتنة ، الجزائر 1993م-1994 م.

6-سورة الرحمن – دراسة دلالية – رسالة ماجستير ، زبيدة بن اسباع جامعة باتنة، الجزائر 2002- 2003

خامسا- المراجع أجنبيّة :

1- **Cressot (Marcel), le style et ces techniques, ed, P.U.F Paris 7eme ed , 1971.**
2- **Dubois (jean) et autres, Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse, 1989.**
3- **Lyons (John) , sémantique linguistique , tra. De J. Durand , Paris , 1980.**

فهرس الموضوعات

المقدمة :.....أ،ب،ج.

التمهيد :.....7-19.

الفصل الأول (المستوى الصوتي) .....20-59.

- علاقة أصوات الكلمة بدلالتها :.....21.

- تكرار الصوت و علاقته بالمعنى :.....28.

- الإيقاع الداخلي : (تكرار المقطع و علاقته بالمعنى) :.....37.

- الإيقاع الخارجي :.....45.

- الفونيمات فوق المقطعية :.....56.

الفصل الثاني (المستوى الصرفي) :.....60-114.

- **مدخل** .....61.

- **الاسم:**.....62.

- التنكير و التعريف :.....62.

- الإفراد و فروعه :.....77.

- المذكر و المؤنث :.....81.

- الاشتقاق :.....83.

- **الفعل** :.....87.

- زمن الفعل:.....87.

- الماضي :.....87.

- المضارع :.....92.

- الأمر :.....106.

- بناء الفعل :.....107.

- صيغ الفعل :.....111.

الفصل الثالث (التركيب) :.....115-159.

- مدخل .....116.

- الجملة الاسمية :.....120.
- الجملة الفعلية :.....130.
- التركيب الشرطي :.....144.
- التركيب الاستفهامي :.....149.
- الرتبة :.....154.
الفصل الرابع (المعجم و السياق) :.....160-192.
- مدخل:.....161.
- السياق اللساني (اللغوي) :.....161.
- السياق الديني:.....172.
- السياق الانفعالي (العاطفي) :.....181.
الخاتمة :.....193.
قائمة المصادر و المراجع :.....199.
فهرس الموضوعات:.....206.